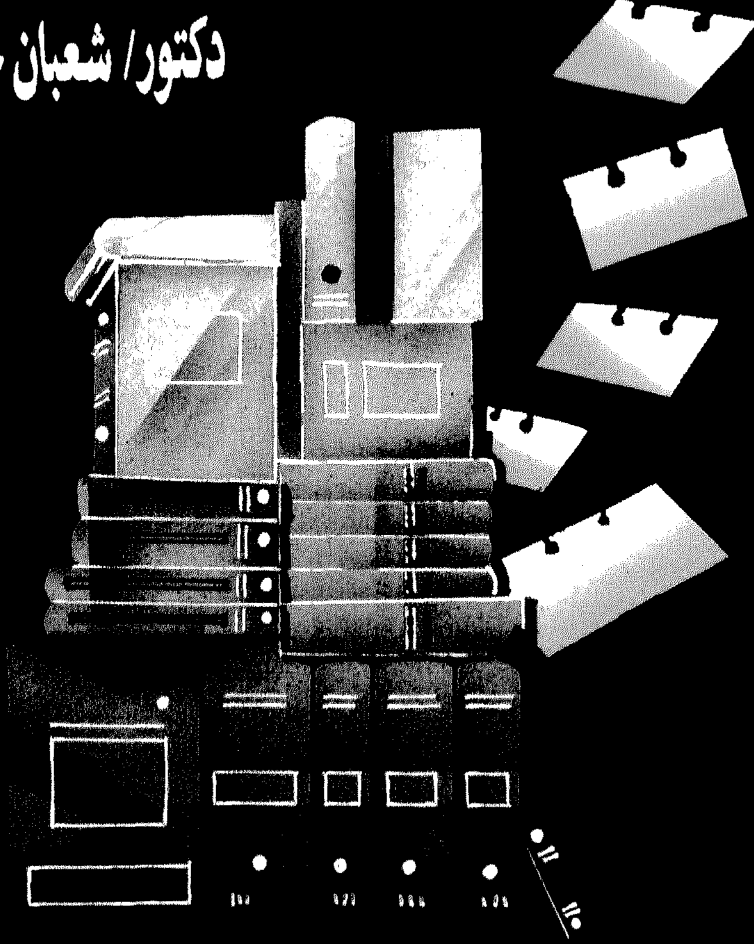
الفرد هيسيل

تاريخ المكتبات

تعريب

دكتور/ شعبان خليفة



المكتبة الأكاديمية

تاريخ المكتبات

تاريخ المكتبات

تأليف

الفرد هيسيل

نقله إلى العربية

دكتور

شعبان عبد العزيز خليفة

كلية الآداب - جامعة القاهرة

كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الناشر

المكتبة الأكاديمية

١٩٩٣

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير - الدقي - القاهرة

تليفون: ٣٤٨٥٢٨٢ / ٣٤٩١٨٩٠

تلكس: ABCMN U N ٩٤١٢٤

فاكس: ٣٤٩١٨٩٠ - ٢٠٢

المحتويـــات

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تـوطئــة

التـأريخ للمكتبـات هو تأريخ للفكر الانسـاني في مـسيـره ومـصيـره ، ذلك أن المكتبات كانت ومـا تزال وستظل معقلا لهذا الفكر تحافظ عليـه وتقدمه من جيل الى جيل على مر العصور .

والكتاب الذي أتشـرف بتقديمـه إلى قراء العربيـة ، كتاب أكاديمي بذل فيه مؤلفه جهداً مضنياً في سبيل تحري الحقيقة ، ويتضح هذا الجهد أكثر ما يتضح في الحواشي والمصادر الكثيرة التي رجع إليها المؤلف .

وقد ألف هذا الكتـاب باللغة الألمانية « الفرد هيسيل » ونقله الى اللغـة الانجليزية وأضـاف إليه «روبين بيس » ونقلته إلى اللغة العربية عن الترجمة الانجليزية .

وقد عالج فيه المؤلف تاريخ المكتبات معـالجة أفقية من أقدم العـصور حتى الوقت الحاضر مبتدأ بالمكتبات فى العالم القديم ، فى مصر وفى بلاد ما بين النهرين وفى بلاد اليـونان والرومـان . ثم تناول تاريخ المكتـبـات فى العـصـور الوسطى على امتدادها : العصور الوسطى الباكرة ثم من القرن التاسع إلى القرن الثانى عشر بعد الميلاد ثم .العصور الوسطى المتأخرة . بعدها يتناول الكتاب تاريخ المكتبات فى عصر النهضة الأوروبية وعصـر الإصلاح الدينى فى القرن السـابع عشر . ثم عالج تاريخ المكتبـات فى القرن الثـامن عشر أو مـا اصطلح على تسميته بعصر التنوير

ولم يغفل الكتاب تأثير الثورة الفرنسية على المكتبات فى القرن التاسع عشر . وقد خص الكتاب التطورات المكتبية فى القرن العشرين بالقسط الأوفر من المعالجة على اعتبار أنها محصلة كل العصور السابقة ، وقد عاشها المؤلف عن قرب وقد ربط المؤلف ربطا محكما بين كل عصر والذى سبقه مع عقد المقارنات اللازمة .

وبطبيعة الحال فلنا أن نتوقع من المؤلف أن يتجنب فى هذا الكتاب الشامل الصغير التفصيلات الدقيقة السردية إذ أن سياسة المؤلف كانت تهدف إلى معالجة نقدية تحليلية لتاريخ المكتبات وليس معالجة وصفية .

وجاءت معالجة تاريخ المكتبة العربية مختصرة سريعة جريا على سياسة الكتاب . وكانت نيتى قد انعقدت على إضافة فصل عن تاريخ المكتبات فى العالم العربى إلا أنه قد تجمعت لدى مادة علمية غزيرة فى هذا الموضوع أؤثر أن أخرجها مستقلة ورأيت أن تخرج الترجمة العربية طبق الأصل عن الانجليزية بدون زيادة .

والحواشى البيليوجرافية فى الأصل الانجليزى وردت فى نهاية الكتاب إلا أننى فى الترجمة العربية قد أثبتها فى نهاية الصفحات تسهيلا للاستفادة منها وجرياً على عادة الكتب العربية .

وقد رجع المؤلف الأصلى إلى ما لا يقل عن مائتى كتاب ومقال هام فى هذا الصدد وبلغت إشاراته البيليوجرافية حوالى ١٦٥ إشارة مع التعليق على معظمها مبيناً أهمية كل مصدر وقيمته فى الموضوع ، وقد رأيت معها أن أثبت إلى جوار

الترجمة العربية المصطلح الأصلى لها مما يلاحظه القارىء بكثرة فى ثنايا النص .

وإنى أهدى هذه الترجمة إلى روح روبين بيس ، المترجم الأمريكى الذى نقل الكتاب إلى اللغة الانجليزية ، وأحد أعلام مهنة المكتبات فى أمريكا والذى رحل إلى رحاب اللّٰه فى سن مبكرة .

ولا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أتقدم إلى الأستاذ أحمد أمين صاحب ومدير المكتبة الأكاديمية بخالص الشكر وأجزله على ما يبذله من جهد ومال فى نشر مثل هذه الأعمال المتخصصة وإثراء الفكر العربى بها .

وإنى لآمل أن ينتفع القراء بهذا الكتاب فى عالمنا العربى واللّٰه الموفق .

د. شعبان عبد العزيز خليفة

العالم القديم

يمكننا القول بأن إنشاء مكتبة الإسكندرية كان أهم حدث على الإطلاق في تاريخ المكتبات في الأزمنة القديمة(١). ويعزى تخطيط هذه المكتبة إلى بطليموس سوترPtolemy Soter (توفي حوالى عام ٢٨٣ ق.م) أول ملوك أسرة خلفاء الإسكندر في مصرDiadochian dynasty أما تنفيذ الخطة فينسب لابنه بطليموس فيلادلفوسphiladelphus ويبدو أن هؤلاء الملوك قد خصوا المكتبة بأموال ضخمة، إذ كانت غايتهم جمع أدب اليونان كله، ولم يكن يحول دون غايتهم حائل فقد قيل مثلا إنهم كانوا يصادرون ما تحمله السفن من الكتب عند رسوها بميناء الإسكندرية. وإنهم حين استعاروا من أثينا أعمال مؤلفي التراجيديا الثلاثة العظام، احتفظوا بالنص الأصلي وأعادوا نسخة منه فقط. وقد قدر عدد لفائف البردي التي جمعت في نهاية الأمر بعدة مئات من الآلاف وهو قدر هائل حتى وإن اتضح أن كثيراً منها كان مكررا وأن العمل الأدبي الواحد كان يقع في عدة لفائف. وكانت المكتبة مقسمة إلى قسمين. القسم الأكبر منها في القصر الملكي في حي البروكيوم Brucheum من المدينة، والقسم الأصغر في معبد سيرابيسSerapes، وبعد أن تهدم القسم الأكبر من المكتبة إثر غارة قيصر على الاسكندرية عام ٤٧ ق.م أصبح السيرابيوم المركز الحقيقي للكتب في المدينة.

وقد حاول المؤرخون جاهدين أن يكشفوا خلال أبحاثهم عن المؤسسات التي اتخذ منها البطالمة نماذج لمكتباتهم. وفي هذه المحاولة ذهب الباحثون، القدماء والمحدثون منهم، إلى عصر ماقبل الطوفان، ولكننا في بحثنا سوف نكتفي باستقراء القرون القليلة السابقة على تأسيس مكتبةالإسكندرية.

إن الخطوة المنطقية هي أن نتحرى أولا النموذج الأصلي لهذه المكتبة في مصر القديمة، فقد

(١) انظر Fritz Milkau= Geschichte der biblitheken im alten orient. Leibzig, 1935.
وفيه دراسة مسحية مستفيضة عن المكتبات التي وجدت قبل مكتبة الاسكندرية مع حواشي ببليوجرافية كثيرة تعطي تقييماً للمصادر في الموضوع، وليست لهذا الكتاب ترجمة بالانجليزية لسوء الحظ. وانظر في هذا الصدد،
J.W.Thompson = Ancient libraries, Berkeley, 1940.
وهو مفيد وخاصة في قائمة المصادر وانظر أيضا:
Fredrick kenyan = Books and readers in ancient Greece and Rome.London, 1955.
وهو كتاب قصير ولكنه أصيل ومركز.

كانت مصر مصدر مادة الكتابة القديمة، وهي البردي، وكان للمصريين إنتاج وافر من الكتابات في ميادين العلم والأدب، ولعل الكتابة لم تنتشر في تلك الأيام في أي مكان انتشارها في أرض النيل، وكان يوجد أيضا في مصر نظام ممتاز للمحفوظات والسجلات العامة يقوم عليها أمناء كثيرون، ولكنا لم نسمع شيئا عن وجود مكتبات يمكن أن تقارن بمكتبة الإسكندرية. كل ما كان هنالك ، أن المعابد كانت بها مكتبات متصلة بالمحفوظات، وكانت أساسا للأغراض الدينية والتعليمية.

وتقابلنا مجموعات مشابهة لهذه، في السجلات الإدارية وفي البقايا الأدبية، في معابد الحضارة الآشورية والبابلية وأهمها في الحجم والمضمون مكتبة آشوربانيبال التي كشف عن ألواحها الطينية أثناء عمليات التنقيب بالقصر الملكي في مدينة نينوي حوالي منتصف القرن الماضي. وكان آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م.) من ملوك أسرة سارجون آخر أسرة عظيمة من ملوك آشور وكان أكثر من أسلافه عناية بالأنشطة الثقافية. وكان هو نفسه على قدر كبير من التعليم حتى لقد كان يفخر بأنه «يستطيع أن يقرأ النقوش الحجرية التي ترجع إلى ماقبل الطوفان. ومنذ اعتلائه العرش أخذ في جمع آداب بابل وآشور جمعا منظما، وشفع ذلك بإصدار أوامره للحصول على النصوص اللازمة، وكان يعمل له عدد من النساخ، كما كان يصر على إجادة العمل. وكان لمكتبته هيئة من الموظفين المختصين بها، ورتبت بها الكتب بعناية تبعا لموضوعاتها وختمت بخاتم يبين موضعها من المجموعه[1] . كما كانت لها فهارس تيسر استخدامها. وكانت مقتنيات المكتبة من الأعمال الفكرية والوثائق، والرسائل والنصوص الدينية

---

(١) يقرر J. Menaut في كتابه La bibliothèque du palais de Nenève Paris, 1880. ص ٣٢» ان دراسة دقيقة للنقوش تبين أنها رتبت في المكتبة بطريقة منطقية تسهل إعادة بنائها كما يقرر:Carl Bezold مع ذلك بعد دراسة مضنية في كتابه:
Catalogue of the cuneiofomablets in the Kowyunjik collection of the British Museum, V. 8 London, 1889.

« إننا لانعرف شيئا عن الطريقة التي رتبت بها الألواح في مكتبه آشور بانيبال» ولكننا نريد ان نقول بأن هناك اتفاقا على أنه كان بالمكتبة نوع من الترتيب المنطقي، إذ إن كثيرا من الالواح التي وجدت تنتمي إلى سلسلة وكان ترتيب كل لوح منها يبين بواسطة تكرار السطر الأخير منه في بداية اللوح الذي يليه وكذلك يكون أول سطر فيه تكرار لآخر سطر في اللوح السابق عليه، كما أن هناك ألواحا تحمل عناوين السلسلة، كما نجد إحالات للسلسلة أو المجموعة التي ينتمي اليها أحيانا في حرد المتن، ومازالت الدراسات عن هذه المكتبة بعيدة عن الكمال» قارن:

R.C.Thompson and R.W. Hutchinson = A century of exploration at Nineveh, London, 1919.

وهو كتاب قصير عميق بكتاب Edward Chiera = They wrote on clay وهو مقدمة عامة شاملة عن الالواح المكتوبة بالخط المسماري وأهميتها التاريخية .

والتواريخ وغيرها مما كتب في فروع المعرفة المختلفة تدل على الغرض الذي جمعت من أجله وهو خدمة الدولة والكهنة وتخليد شهرة مؤسسها وتنمية المعرفة العلمية.

ولاشك في وجود شبه كبير بين مكتبتي نينوى والاسكندرية فقد كانت كلتاهما ذات طابع عالمي، كما أسسهما الملوك الحاكمون. وينبغي أن نلاحظ أيضا أن التنظيم الداخلي للمكتبة الهلينية يذكرنا بالمكتبة الآشورية، كما كان هناك تشابه كبير في معالجة المواد المكتبية في المكتبتين برغم اختلاف مادة الكتابة (الألواح الطينية في نينوى ولفائف البردى في الإسكندرية) إلا أنه فيما يبدو لي أننا لا نستطيع حتى الآن تأييد قيام صلة مباشرة بين الإسكندرية ونينوى، فقد كان يفصل بينهما أربعة قرون من الزمان، وهي فترة حكم ملوك الميديين الفرس الذين لم يهتموا بالمكتبات فيما نعلم. ولامفر من أن نترك للمستقبل الكشف عن هذه الصلات التي مازالت غامضة حتى الآن.

ويقودنا البحث في أحوال المكتبات في بلاد اليونان إلى نتائج خيراً مما وصلنا إليه، والواقع أن كلمة مكتبة في اللغات الأوروبية تشير إلى اليونان كموطنها الأصلي[1]. ولمَ تكن المكتبات معروفة في اليونان في العصور القديمة، أما ما يقال من أن بيزستوراتوس الاثيني Pesistratus of Athens وبوليكراتوس الساموسي Polycrates of Samon قد أنشآ مكتبات في تلك الأيام الأولى فلا يستحق التصديق. وليس ثمة شك في أنه كانت هناك تجارة رائجة للكتب في عهد بركليس Pericles ولكن لايبدو أن العادة جرت إذ ذاك بجمع مجموعات المخطوطات بواسطة المجتمع، كما لم يكن انشاء المكتبات الخاصة جزءاً متمما من البيوت الأرستقراطية في ذلك الوقت.

ومع بداية القرن الرابع قبل الميلاد أصبح من المألوف جدا أن يجمع العلماء والأدباء مكتبات خاصة بهم ومن أمثلة ذلك إشارة وردت في إحدى كوميديات أرستوفان Arstophanes تدل على احتمال وجود مكتبة لدى يوريبيدس Euripides[2] ومن هنا نستطيع القول بأن التقدم الفعلي للمكتبات اليونانية بدأ في الفترة التي شملت نشاط المفكرين العملاقين أفلاطون وأرسطو.

ويعود إلى الأكاديمية ومدرسة المشائين الفضل في إيجاد الحركة العلمية لا في اليونان

---

(١) المصطلح المستخدم في معظم اللغات الغربية مأخوذ عن الكلمتين اليونانيتين المدمجتين، Biblos (كتاب) و tbeke (مستودع أوإناء).

(٢) Aristophanes = Frogs.943,1409

وانظر ايضا Athenaeus, Deipnosophistae,1,3

حيث ورد: « لقد كان لدى يوريبيدس مكتبة من أعظم المكتبات في العالم القديم».

وحدها بل في العالم القديم كله. فقد قام هنا للمرة الأولى «تنظيم للعمل المشترك على نطاق واسع بقيادة رجل فرد» وقد نهض أفلاطون بالبحث المنظم في ميادين الرياضيات والعلوم الطبيعية وجاهد أرسطو بقدر ما استطاع أن يجمع ويضع على أساس سليم الحقائق المتصلة بجميع فروع المعرفة كما أصبح أبا لدراسات النقد في فقة اللغة والتاريخ الأدبي. ولاشك في أن عمل أفلاطون وأرسطو اقتضى« وجود مكتبة ضخمة، وفيما يتعلق بأفلاطون فليس لدينا أي دليل محدد لمثل هذه المكتبة وعلى العكس من ذلك فإننا قد سمعنا أن أرسطو كان يجمع المخطوطات جمعا منظما كما نعلم أيضا التقلبات التي أصابت مكتبته التي خلفها وراءه».

هذا، وقد فتح الإسكندر الأكبر تلميذ أرسطو آفاقا جديدة للتاريخ القديم خلال ما قام به من حملات، فاتسع نطاق الثقافة اليونانية حتى غدت حضارة عالمية ووجدت طبقة عالمية من المتعلمين وأصبح العلم والاطلاع من العوامل المهمة في الثقافة اليونانية، كما أخذت البذور التي غرسها أرسطو تؤتى ثمارها اليانعة، مع وجود اختلاف في الاتجاه العلمي إذ أخذت وحدة المعرفة التي خلفها الأستاذ تتراخى أكثر فأكثر، وبدأت فروع المعرفة المختلفة في الاستقلال، واقتصرت الأبحاث على موضوعات خاصة محددة وحل جمع المعارف الموروثة عن الأجيال السابقة محل الإبداع في كثير من الأحيان. أضف إلى هذا أن الشكل الخارجي للتعاون الفكري اتخذ شكلا آخر، فتحولت مدرسة الفلاسفة الحرة إلى مؤسسة ملكية وذلك أن اليونان اتخذت مملكة ديادوكي Diadochi شكلا للدولة واعتقد هؤلاء الأمراء أن واجبهم تدعيم الثقافة اليونانية ونشرها.

ولقد توفي الاسكندر الأكبر نفسه مبكرا دون أن يتسع له الوقت فينظم الدراسات العلمية على نطاق واسع، ويجعل منها برنامجا حكوميا، وقد نهض بذلك بطليموس الأول الذي اتخذ من ديمتريوس الفالرمي Demetrius of Phalerum مستشاراً روحياً. وأنشأ المتحف على النمط الأثيني واستدعى أكبر علماء العصر إلى البلاط المصري وسرعان ماأصبحت الإسكندرية مركز التعليم الهلينستي. وكانت المكتبة أنشط الوحدات العاملة في المتحف، فدرست الآداب اليونانية دراسة منظمة ووثقت النصوص عن طريق النقد اللغوي والتاريخي وبحثت مشاكل أصالة الكتب وصحة نسبتها إلى مؤلفيها، وحددت أقسام الأعمال الأدبية ومداها وفي نفس الوقت كان لمدرسة الإسكندرية أثر تاريخي في ميدان فنون الكتب كلها فقد انتجت نسخا مقننة لأفراد المؤلفين وللأنواع الأدبية المختلفة، وكان ينسخ هذه المؤلفات عدد كبير من النسّاخ ثم تطرح للبيع. وهكذا يعود إلى المتحف والمكتبة احتكار الإسكندرية لتجارة الكتب وهو الاحتكار الذي استمر حتى أيام قيصر.

ومن اليسير أن ندرك مما سبق أن إدارة مجموعات الإسكندرية لم يكن يوكل إلا إلى العلماء المبرزين وخاصة أنهم كانوا يشغلون في نفس الوقت منزلة مربي القصر تلك المنزلة الرفيعة، وكان أول هؤلاء النحوي العظيم(زينودوتس) الافيسوسي Zenondotus of Ephesus (توفي حوالى ٢٦٠ ق. م) وقد بدأ ترتيب الكتب وأفتتح نشر الأدب اليوناني بطبعته عن هوميروس Homer ومن بين خلفائه ينبغي أن نذكر إيراتستين Eratosthenes ذا العقل الجامع الذي وعى الفنون والعلوم جميعاً وعرف فوق ذلك كله بأنه منشئ علم التوقيت الزمني والجغرافيا الرياضية، ونذكر أيضا ارستوفان البيزنطي Aristophanes الذى كان علم المعاجم أهم ما أسهم به، كما احتل كاليماخوس السيريني Callimachus of Cyrene مكانة خاصة في هذه القائمة من أمناء مكتبة الإسكندرية. ومن الباحثين من لايعتبره إطلاقا عضوا من هيئة موظفي المكتبة، على حين يعتبره البعض الآخر ذا صلة ما بالمكتبة وتعتمد منزلة كاليماخوس العلمية على فهارسه اللوحية pinakes وقد أخرجها حوالى منتصف القرن الثالث ق.م. ولعله استعان بمخطوطات المكتبة وقد فصل فيها بين الشعراء والناثرين ثم قسم مؤلفات كلتا الطائفتين تبعا لموضوعاتها ورتب المؤلفين داخل كل قسم ترتيبا هجائيا وقدم لكل كتاب بذكر عنوانه واستهلاله وعدد أسطره. وبقيت هذه الفهارس اللوحية تحتل منزلة رفيعة وكانت أساس جميع الأعمال الببليوجرافية في العالم القديم.

أما عن تقسيم مكتبة الإسكندرية من حيث المباني فلا نعلم عنه شيئا علم اليقين وذلك يزيد من قيمة ماوصلت إليه الحفائر الألمانية في برغامة Pergamum في نهاية القرن الماضي وكانت المكتبة هناك من إنشاء الاتاليين Attali ويعتبر يومينس الثاني Eumenes II (١٩٧-١٥٨ ق.م) مؤسساً لها، فقد اكتشفت بالقرب من معبد أثينابولياس Athena polias ردهة مكشوفة يحيط بها رواق ذو أعمدة مكون من طابقين والحقت به أربع قاعات. وقد وجد في كبرى هذه القاعات تمثال كبير لاثينا على قاعدته نقوش عن بعض كبار الكتاب في آسيا الصغرى ومنها نص منشور عن هوميروس. ويتمثل في هذه المكتبة نمط بناء المكتبة القديمة، فالرواق فيها كان يمثل قاعة الدرس؛ والمدخل تجمله التماثيل والقاعات الباقية تخزن فيها الكتب والمبنى كله ملحق بمعبد (١).

ولم يصلنا من المعلومات إلا النزر اليسير عن المكتبات التي انشأها البطالمة الآخرون من أسرة خلفاء الإسكندر مثل مكتبات سيليوسيد Seleucids التي يبدو وأنها كانت هامة وعلى العموم فالمصادر عن هذه الفترة من الضآلة بحيث يكاد التطور الذي مرت به المكتبة الهلينستية يكون

(١). من أجل المزيد من الأوصاف والايضاحات عن المكتبات القديمة انظر:
Brent Gotze = Antike Bibliotheken jahrbuch des deutschen archaologischen institutes, L11 (1937), 125-247.

مجهولا . على أن الظواهر كلها تدل على أن مجموعة المخطوطات في الإسكندرية كانت في الأصل أداة بحث متاحة لجماعة محدودة من العلماء، ولابد أن عدد المنتفعين بالمكتبة قد اطردت زيادته، وليس ببعيد أن مكتبة الأكاديمية الأثينية القائمة داخل حدود البطوليميومptolemeum أصبحت أقرب إلى المكتبة الجامعية الحديثة وتقدمت إلى الأمام خطوة هامة حين أضافت إلى دائرة العلماء الضيقة دائرة أوسع من عامة المثقفين. واتخذت المكتبة لأول مرة طابع المكتبة العامة حقا ولم تعد مجرد مكان للدرس بل أصبحت- كما قال فيتروفيوس -Vitrvius« لمنفعة الجميع» (ad communem delectationem) ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا ان هذا النمط من المكتبات كان شائعا في الفترة الهلينستية لأنه النمط الذي أورثته حضارة شرق البحر المتوسط لغربي المتوسط في نهاية القرن الأول قبل الميلاد بحيث يصدق قول الشاعر القديم«إن اليونان المغلوبة قد قهرت فاتحها البربري»(١). ويرى الباحثون المحدثون أن ثقافة الامبراطورية الرومانية ليست إلا امتداداً وتطوراً للثقافة الهلينستية.

ومنذ أواسط القرن الثاني قبل الميلاد اخذ القواد الرومانيون يأتون إلى بلادهم بالمكتبات اليونانية فيما يأتون به من أسلاب. وكان ايميليوس باولوسAemilius Paulus أول من فعل ذلك ثم حذا حذوه سولاSulla ولوكولوسLucullus في القرن التالي، وما كاد القرن الأول قبل الميلاد يقترب من نهايته حتى كان حب الكتب قد انتشر بين الأرستقراطية الرومانية، وكان شيشرونCicero يعتز بمجموعته اعتزازا كبيرا ويعتبرها درة بيته، وكان صديقه أتيكوسAtticus أول الناشرين الرومانيين الكبار حتى لقد وجد في نفسه الجرأة لينافس الإسكندرية في تجارة الكتب. وكان اتيكوس على حظ كبير من التعليم وقد استخدم عددا من المعاونين الذين يلمون الماما تاما بفقة اللغة وكان منهم فاروVarro الذي وضع رسالة جعل عنوانها(عن المكتبات)De Bibliothecis(٢).

وقد حرص على أن يستأثر بمعونة فارو حتى يمكنه أن يؤسس مكتبة للدولة عساه أن يجمع بين حكم العالم وبين آدابه، كما يقول مومسنMommsen ويبدو أن محاولات قيصر من الناحية الثقافية كانت متأثرة بالنماذج الهلينستية. وهناك من الدلائل مايشير إلى أنه كان ينوي نقل مكتبة الإسكندرية إلى ضفاف التيبرTiber على أن المكتبة العامة الأولى في روما لم تنشأ إلا بعد وفاته وكان إنشاؤها في Atrium Libertatis وقد تم ذلك على يد أسنيوس بوليوAsinius Pollio

(١) Graecia capta ferum vicorem cepit . Horace. Epistles, 11,i,156.

(٢) Felix Reichmann: The book trade at the time of the Roman Empiro Library Quarterly, viii(1838),40-76.

أحد أصدقاء قيصر الحميمين فكان «أول من جعل ثمرات العقول ملكا عاما»(١) ونحا أوغسطس هذا المنحى فأسس مجموعتين إحداهما في بالاتين Palatine بمعبد أبو للو والأخرى في العاصمة بلغ عددها ثمانية وعشرين مكتبة على أننا لانستطيع أن نحقق منها إلا عددا يسيرا ولكننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن الأسواق والحمامات الرومانية الكبيرة لم تخل من مجموعات الكتب. وكانت أهم المكتبات مكتبةألبيا Ulpia قرب عمود Porticus Octaviae . وفي بداية القرن الرابع الميلادي وجدت المكتبات العامة في تراجان(٢). وكانت كغيرها من المكتبات مقسمة إلى قسمين يوناني وروماني كما كانت تعتبر دار محفوظات لوثائق الدولة الهامة. وكان على رأس هذه المكتبات أول الأمر علماء ممتازون في مرتبة (أمين أول)procurator، ثم ميز فيما بعد بين الموظفين الإداريين وبين المديرين العلماء، وكان يعمل تحت إمرتهم عدد من الرقيق ومن العتقاء بلغ حدا من الكبر مما اقتضى أن يكون لهم طبيب خاص.

ولقد حاولت مدن إيطاليا ومقاطعاتها أن تحذو حذو روما، على أن الإشارات العابرة فيما بقي من المصادر الأدبية ونتائج الحفائر التي أجريت في الأماكن المختلفة لا تكفي لإمدادنا حتى بتقدير تقريبي لعدد المكتبات العامة في أرجاء الإمبراطورية الشاسعة، ولكن يغلب على الحدس أن أغلب المدن الكبيرة بالأقاليم التي كانت تهتم بالنشاط الفكري كانت بها مكتبات(٣).

وكان إنشاء المكتبات في بعض الأحيان يأتي نتيجة أريحية أحد الاباطرة وبهذا أهدى الإمبراطور هادريانHadrian المحب لليونان مكتبة رائعة لأثينا لازالت بقاياها تروع الناظرين حتى الآن ولكن انشاء المكتبات في الأعم الأغلب كان سخاء وهبة من المواطنين، وقد كان هؤلاء القوم يقدرون المكتبات حق قدرها ذلك أن حب الكتب كان أمرا شائعاً في زمن الإمبراطورية الرومانية، كما كان من لوازم الأمور آنذاك ألا يخلو القصر الارستقراطي بالمدينة أو أية فيللا كبيرة من مكتبة. ومن هنا كانت عبارةSeneca« سنيكا» اللاذعة« أصبحت المكتبة اليوم حلية ضرورية يزين بها البيت، كما تزود الحمامات بالمياه الباردة والساخنة(١)». وقال في مكان آخر: « ما قيمة العدد الذي لا يحصى من الكتب والمكتبات إذا كان السيد طول حياته لا يكاد يقرأ عناوينها(٢) وقد كانت هناك مكتبات خاصة تحوي ٣٠٠٠٠ بل و٦٠٠٠٠ لفافة، وكان سيد البيت

(١) "Primus ingenia hominum rem publicam fecit" Pliny, Naturalis Historia xxxv,10

(٢) من أجل مزيد من المعلومات عن المكتبات في روما انظر كتاب:

C.E.Boyd =Public Libraries and Literary Culture in Ancient Rome. chicago. 1916.

(٣) لوصف مثل هذه المكتبة انظر:

H.F pfeiffer = "Roman Library at Timgad" Memoirs of the American Academy inRome ix (1931)157-165

يحتفظ بعدد من الارقاء المتعلمين لينسخوا له الكتب أو كان يحقق طلبته عن طريق تجارة الكتب التي بلغت حداً كبيراً من الرواج في ذلك العصر. وكان المتعلمون يفضلون المؤلفين اليونانيين على غيرهم. وحجتنا في الاستدلال على محتويات المكتبة الرومانية قائمة في الكشف المشهور عن لفافات الكتب في الهركولانيومculaneum Her والتي تعتبر الآن من أنفس محتويات متحف نابولي.

لقد كان التنظيم الداخلي للمكتبات الرومانية يتبع على العموم المبادئ التي عرفناها من مكتبة برغامة وإن كان ذلك بالطبع لا ينفي وجود اختلافات فردية ومن ذلك ما كشفت عنه الحفائر المتأخرة في إفيسوسEphesus فقد وجدت فيها قاعة كتب ليس لها رواق بل لها واجهة محلاة بالأعمدة ودرج خارجي (٣) وكان فيتروفيوسVitrovius يصر على أن تواجه القاعات المشرق حتى تتمتع بضوء الصبح، ولكن تعاليمه لم تكن تتبع دائما. وكان يبنى جدار خارجي حول الجدار الداخلي حفظا للفافات البردي من أن تصيبها الرطوبة ولذلك نجد ممرا ضيقا بين الجدارين. وفيما عدا ذلك كانت المكتبات تشبه في عمارتها مباني العصر الأخرى من حيث الحجر والطراز المعماري والزخرفة الفنية، ويبدو أنه كان هناك دائما تمثال لأحد الآلهة يقام في منعزل من القاعة الكبرى وحوله تماثيل نصفية ولوحات بارزة للعلماء والكتاب « التي تنطق أرواحهم الخالدة في مثل هذه الاماكن».Immortales animae locis iisdam loquuntur

وكان في المكتبة قدر كبير من الزخرفة ولكنها خالية من التذهيب إبقاء على الأعين، وكان يختار لتغطية الأرضية نوع من الرخام يميل إلى الخضرة. وكانت لفافات الكتب وهي تحمل بطاقات بعناوينها توضع في عيون الحوافظ الخشبية. وكثيرا ما كانت هذه الحوافظ تودع في طاقات في الحائط، وكان يوجد صفوف من هذه الطاقات الواحد فوق الآخر إذا اقتضت الضرورة ذلك، وكان يتوصل إلى الصفوف العليا بواسطة شرفات تستند على أعمدة ولا نستطيع أن نقطع بشيء فيما يتصل بترتيب الكتب إذا لم يصل إلينا إلا النزر اليسير من الفهارس، وكان بعض المكتبات يسمح باعارة الكتب. أما الإدارة فكانت في الأغلب موكولة إلى القساوسة لأن المكتبات كثيرا ما كانت ملحقة بالمعابد.

---

(١) Iam enim inter balnearia et thermas biblibotheca quoque ut necessarium domus ornamentum expolitur seneca. De tranquillitate animi,Ix,4.

(٢) Quo innumerobiles libros et bibliothecas, Quorum dominus vix tota vita indices indices Perlegit" Ibid.ix.7

(٣) See Götz:op.cit.

إن تاريخ المكتبات اليونانية الرومانية يمتد فترة تقترب من ستمائة عام وقد كان ما حققه العالم المسيحي الغربي مبنيا على أساس ما تحقق من تقدم في المشرق على مدى فترة تبلغ ثلاثة أضعاف الفترة الغربية. وسنرى فيما يلي إلى أي حد ظلت المكتبات القديمة تعتبر مثلا أعلى في أعين المهتمين بأحوال المكتبات في العصور التي تلت.

* * *

العصور الوسطى
الى عهد شارلمان

يتجنب المؤرخون وضع حد فاصل بين العالم القديم والعصور الوسطى، ويقترحون فترة انتقال بينهما تدوم خمسة قرون، وعلى ذلك لانستطيع أن نحدد متى زالت المكتبة القديمة من الوجود ومتى بدأت مكتبات العصور الوسطى ويجب على العلماء أن يقنعوا أنفسهم بالوقوف فقط على العوامل الاساسية التي حددت خصائص هذا النمط الجديد من المكتبات وتتبعه في مراحل تطوره(١).

كانت لفائف البردي من خصائص المكتبة القديمة، وحلت الرقوق محلها في مكتبة العصور الوسطى، وقد رأينا في الفصل السابق كيف كان البردي يستخدم كمادة للكتابة في العصور القديمة، والواقع أن الرق آنذاك كان أيضا يستخدم لأغراض أقل أهمية، ولكن الشواهد الفنية والأدبية تدل على أن الرق لم يصبح مادة الكتابة الشائعة إلا في القرن الثالث الميلادي، ولم يكد يأتي القرن الخامس الميلادي حتى كان الرق قد حل محل البردى تماما. وعلى ذلك فقد تم في هذه الفترة نقل أكثر الآثار الفكرية من مادة البردى إلى مادة الرق. ولهذا النقل أهميته فيما يعني به فقه اللغة الحديث من نقد النصوص، وحين استعمل الرق بدلاً من البردي في تلك القرون ترتب على ذلك تغير الشكل المادي للكتاب، فبعد أن كان لفائف من البردى أصبح مخطوطات من رق ذات غلاف يابس على هيئة الكتب، ومن المتوقع أيضا أن انتشار استعمال كتب الرق أدى إلى تغيير في البناء الداخلي للمكتبة على أن هذه التغييرات لم تكن جذرية في طبيعتها كما تدل على ذلك قطعة موزايك من القرن الخامس وصورة مصغرة من القرن السادس، ففيهما نرى أن كتب الرقوق تحفظ في خزائن على نحو ما كانت تحفظ لفائف البردي سابقا. وإذا كان حفظ الكتب في شكلها الجديد قد احتاج إلى مكان أكبر فقد عوض ذلك أن مخطوطة الرق الواحدة تسع من النصوص ما تحويه عدة لفائف من البردي.

---

(١) عولجت الفترة التي نغطيها الفصول الأربعة التالية من هذا الكتاب بتفصيل أكثر في كتاب j.W.. Thompson = The medieval library . Chicago, 1939. وهو أحدث وأوسع كتاب بالانجليزية في هذا الموضوع . ولكن ينبغي قراءته بنوع من الحذر . كما أن = C.P.Farrar and A.P Evans. Bibliograhy of English tramslations from medieval sources, New york,1946. يعطي قائمة مفيدة للإنتاج الفكري لهذه الفترة. أما كتاب= Falconer Madan Books in manuscript, 2nd ed. London, 1927 فليس إلا كتابا قديما محدودا في مجاله.

وكان لمزايا الرق الحقيقية من قوة احتمال أكبر، وسهولة التناول وإمكان الكتابة على الوجهين، وبعض الخصائص الأخرى، أثر حاسم في تغلب كتب الرق على لفائف البردي، وينبغي لنا أيضاً أن نلاحظ في نفس الوقت العوامل غير المادية التي تدخلت في الأمر، ويبدو كذلك أن الشكل الجديد للكتاب كانت تدعو له المسيحية وهي القوة الدينية الصاعدة، بينما تمسكت الوثنية وهي في موقف دفاع بالشكل القديم المألوف، ولعل التنافس بين المكتبتين المسيحية والوثنية وقع في نفس هذا الوقت.

وكان مصير المكتبة الوثنية مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بمصير الثقافة القديمة، فحين تدهورت تلك الثقافة وراحت مدارس أساتذة البيان تغلق واحدة إثر أخرى، وأخذ عدد غير المثقفين يتزايد تزايداً سريعاً، أفقرت تلك الأماكن التي اعتاد المهتمون بالثقافة والعلوم الوثنية أن يجتمعوا فيها، ونجد اميانوس مرسيلينوسAmmianus Marcellinus في القرن الرابع ينعي «المكتبات التي أغلقت إلى الأبد وأصبحت كالمقابرBybliothecae selulchrorum ritu in perpetum elaustrae (١).

وجاء الخراب على الأثر، على أننا لا نكاد نجد المصادر الوثيقة عن تشتت المخطوطات وهدم المباني، ويبدو أن مكتبة الإسكندرية وقعت فريسة للتعصب المسيحي في نهاية القرن الرابع، ويقال إن جريجوري الأكبرGregory the Great الذي طالما خطب «الخطب الجنائزية» المشهورة آسفاً على روما التي قهرها اللبومبارديون هو نفسه الذي أمر بإحراق مجموعات الكتب الإمبراطورية، وإذا كان ذلك من روايات العصور الوسطى المتأخرة فلا شك أنه ينطوي على بذرة الحقيقة الكامنة في كل أسطورة.

لقد حاكت المكتبات المسيحية المكتبات الوثنية في تكوينها، ولما كان كثير من المكتبات الوثنية القديمة يقع في المعابد، فقد كان من الطبيعي أن تلحق المكتبات المسيحية بأماكن العبادة حتى تكون في حماية الكنيسة، وكانت كتب التوراة والإنجيل أساس مجموعة المكتبة في كل مكان ثم أضيف إليها مؤلفات الطقوس الكنسية وشروح الكتاب المقدس، وحين اتسع نشاط المدافعين عن المسيحية زخرت المكتبات بأعمال رجال اللاهوت ومعارضيهم من الوثنيين، وأخيرا كانت الحاجة إلى الدنيوية.

ومكتبات الكنائس التي وصلت إلينا أنباؤها كثيرة وخاصة في أفريقيا حتى قبل حكم ديوقليد Diocletian، وقد وقع كثير منها فريسة اضطهاده، ولكن منذ اعترف الإمبراطور قسطنطين بالكنيسة كمنظمة ترعاها الدولة، أصبحت الواجبات النظامية والتنظيمية والعقيدية تحتم على كل

---

(١) Ammianus Marcellinus, xiv, 6, 18.

قسيس أن يحتفظ بمكتبة متوسطة الحجم على الأقل، وفي بداية القرن الخامس بنى القس بورلينوس في نولاPaurlinus of Nola قاعة مسيحية للقراءة في كنيسة الأسقفية ونقش عليها هذه العبارة:«هنا يستطيع من اتجهت أفكاره إلى قوانين الله أن يجلس ويتأمل في الكتب المقدسة»(١).

وكان ترتوليانTurtullian (حوالي ٢٢٠م) واحداً من آباء الكنيسة الذين نستطيع أن نصور مكتباتهم اليوم، ولدينا أيضا تفصيلات عن مكتبة قيصرية Caesarea المشهورة بفلسطين، وكان أقدم جزء من محتوياتها يتألف من مخطوطات اوريجنOrigen التي قام تلميذه بامفيلوسPamphilus(توفي ٣٠٩م) بنسخها وزيادة عددها، وبعد ما يقرب من قرن انتفع جيرومjerome بهذه المخطوطات وذكر أن رجلين من الأساقفة قاما بنقل مخطوطات بامفيلوس من لفائف البردى إلى الرقوق، وكان جيروم نفسه شغوفا بجمع الكتب، كما ترك معاصره العظيم أوجسطينAugustine أيضا مجموعة ثمينة من المخطوطات للكنيسة في هيبوHippo . وكانت المكتبات الخاصة لهؤلاء العلماء تنقسم بالطبيعة إلى ثلاثة أقسام، قسمان دنيويان يختص كل منهما بلغة والثالث يختص بالدين المسيحي، ولم يعد آباء الكنيسة يستخدمون الآداب الدنيوية بالطريقة الكلاسيكية، فقد كان إيمانهم يحول بينهم وبين التغلب على النفور العميق من الآداب الوثني، وإنما كانت الآداب الدنيوية عندهم وسيلة وأساسا يبنون عليه المعرفة المسيحية.

وقد حل مع القرنين الخامس والسادس الانهيار السياسي للإمبراطورية الرومانية وإنشاء الدول الجرمانية في الولايات الغربية، وتميل أكثر الدراسات الحديثة – بحق – إلى تحديد أثر هذه الأحداث فى التطور العام للثقافة، كما تفكر – أولا وقبل كل شيء – النظرية القائلة بأن قيام الدول الجرمانية كان نذيرا بحلول كارثة عامة، فعلى عكس ما حدث في القرون السابقة نلاحظ تدفقا مطرداً من الشعوب الجرمانية التي وجدت نفسها إزاء لغة وثقافة غريبتين، ونشأ عن ذلك أن نوع التعليم الذي كان سائداً في العصور القديمة أصبح أقل انتشارا بين العامة وبالتالي استطاعت الكنيسة ان تعزز مكانتها من حيث القوة الروحية السائدة في ذلك العصر.

وعلى خلاف ما حدث في الامبراطورية الغربية ظلت الإمبراطورية الشرقية محتفظة باستقلالها لفترة، ونتج عن ذلك بقاء تراثها لمدة أطول، على أن القرون التالية صحبها من الخسارات في قوة الدولة الخارجية ومن الانقلابات العنيفة الداخلية ما جعل الثقافة البيزنطية

(١) Si quem sancta tenet meditandi in lege voluntas. Hic potrit residens sacris intendere libris.

تميل إلى الأخذ بطابع القرون الوسطى.

بنى الإمبراطور قسطنطين مكتبة إلى جانب الأكاديمية التي شيدها في بيزنطة Byzantium، وكان شديد الاهتمام بالنصوص المسيحية، وقد عني خلفاؤه بتوسيع المكتبة حتى أصبحت تحوي قبل الحريق الكبير عام ٤٧٧/٤٧٦م عدداً كبيراً جدا من الكتب، وقد عمرت حالا على أثر الحريق، على أن هذه الفترة أعقبتها حقبة تدهورت فيها الحياة العقلية ولم تنتعش إلا بعد الخلاف على تكسير التماثيل والإيقونات، وفي خلال هذه الفترة فقد كثير من الاثار الأدبية القديمة، وما بقي منها – وهو كثير أيضا – قام بجمعه العالم الكبير فوتيوسPHotius(المتوفي ٨٩٨/٨٩٧م) كما حلل في قائمته الببليوجرافيةMyrobiblion ٢٨٠ مؤلف اتحليلا نقديا وألحق بها تراجم مختصره لمؤلفيها، وجاء بعده عصر الإنسكلوبيديينencyclopedists البيزنطيين العظام، ولا نعلم ما إذا كانت المكتبة الإمبراطورية قد حطمت عن آخرها ولا كيف أعيد بناؤها فيما بعد، ولكننا نستطيع أن نقول إنها ظلت قائمة منذ ذلك الحين وطول مدة الكارثة الصليبية اللاتينية إلى أن استولى الاتراك على القسطنطينية.

وكان يوجد إلى جانب المكتبة الإمبراطورية مكتبات كنسية مثل مكتبات البطريركيات ومكتبات الأديرة وهي أهمها جميعا، ففي خلال العصور المسيحية الأولى كان الزهاد والرهبان قد تمكنوا في الشرق من دراسة سلسلة المخطوطات ونسخها، وعملت الأديرة اتباعا لمبادئ باخوميوسBachomius على اقتناء مجموعات الكتب الخاصة بها، وقد وضع الأب تيودور، رئيس الدير في ستوديومAbbot Theodore of Studium(المتوفى ٨٢٦م) والمصلح العظيم لحياة الرهبنة البيزنطية، الطراز الذي ساد العصور الوسطى وشملت القواعد التي وضعها غرفة الكتابة بالدير؛ المنسخ(Scriptorium) والمكتبة وواجبات الأمين، ونشأت في ديره في ستوديوم مدرسة نموذجية للخط، ويستطيع المرء أن يتبين حتى الآن أثر تيودور في أديرة جبل آثوسMt Athos وإن لم يعد بها الا بقية ضئيلة من ثروتها السابقة من المخطوطات.

ويجب علينا أن نتوقف لحظة لفحص حالة الثقافة البيزنطية لأننا سنشير إليها فى أكثر من موضوع فيما يلي. على أن اهتمامنا الرئيسي– مع ذلك – يتركز في الغرب لأننا نستطيع أن نتلمس حلقات الاتصال بين المكتبات التي وجدت هناك في بداية العصور الوسطى وبين المكتبات القائمة في الوقت الحاضر.

كانت البابوية تعتبر تنمية التراث المسيحي التقليدي في الغرب من أهم أهدافها وبذلك يمكن أن يعود تاريخ المكتبة البابوية إلى ما يقرب من ألفي عام، وإذا كان الغموض يكتنف نشأتها، فإن لدينا تقريرا يعود إلى أوائل القرن الثالث يدل على اهتمام أحد البابوات بحفظ أعمال

الشهداء، ومن ذلك الوقت الذي ظهرت فيه المكتبة إلى الوجود يبدو أنها كانت على صلة دائمة بالمحفوظات، وقد جمع دماسوس Damasus (المتوفى ٣٨٤م) بينهما في كنيسة سان لورنزوSan Lorenzo بروما، وفي القرن السابع على الأكثر تم نقلها إلى كنيسة البابا الأسقفيه المكرسة للقديس يوحنا بروما. وفي ذلك الوقت كان أكثر الانتفاع بالمكتبة يتصل بالمجامع المقدسةSynods الرومانية، وكانت مؤلفات آباء الكنيسة ومؤلفات الملاحدة تستعار منها. وفي القرن الثامن فإننا نواجه لأول مرة الوظيفة المهمة لأمين المكتبة Bibliothecarius التي شغلها في القرن التالي أناستاسيوسAnastasius الذي كانت ترجماته للمؤلفين اليونان موضع الثناء العاطر، وكانت روما إلى ذلك الحين سوق الكتب العظيمة التي يقتني منها الغرب مخطوطاته ونستطيع التسليم بأن الأساقفة الإيطاليين الآخرين – بعد عهد قسطنطين – على الأقل – كانت لديهم مكتبات كبيرة أو صغيرة، وكما كان الحال في الشرق ارتبطت هذه المكتبات آنذاك بمكتبات الأديرة، ومن المتعذر أن نعتبر القديس بندكتst - Benedict مؤسس المذهب البندكتي، أبا لمكتبات الأديرة الغربية وان كان قد ورد في تعاليمه «مخطوطات» المكتبة «Cadices de bibliathece وحث الإخوة على « أن يشغلوا أنفسهم بقراءة الكتب المقدسة» Occupori in lecrione divina (١).. وعلى أية حال لم يكن يدور بخلد الأب بندكت أن يجعل من الرهبان علماء، لذلك لم يكن في الدير الذي أقامه على جبل كاسينو مجموعة هامة من المخطوطات في البداية، ومثل هذه المجموعة تكونت في دير كاسينو في النصف الثاني من القرن الثامن حيث أصبح الدير مركزاً بعيد الأثر للدراسات العلمية وآوى بين جدرانه الشماسBoul the Dea Con الذي سنشير إليه في سياق آخر.

ويرجع الفضل في جعل الدير موئلا للثقافة الغربية إلى كاسيو دوروسCassiodorus، وكان نبيلا رومانيا وسياسياً في خدمة تيودرويك ملك الغوط العظيم، ثم اعتزل في دير فيفاريومVivarium الذي أسسه في جنوب إيطاليا في أواسط القرن السادس، وهناك أنشأ على نمط ما حدث في الشرق نوعاً من الأكاديمية المسيحية وألف لها كتابه Institutiones divinarium et saecularium litterarum الذي يعتبر بحق الأساس العلمي لنظام الدير وفيه دليل منهجي لدراسة كتاب الكنيسة والمؤلفين الكلاسيكيين أيضاً، وفي نفس الوقت يحيل إحالة مستمرة خاصة إلى مكتبة الدير، ويحث الإخوة على الاجتهاد في نسخ النصوص، وقد ورد في إحدى الفقرات قوله:«إن الشيطان يناله من الجراح بقدر ما ينسخ الراهب من كلمات الله »، وكان الأسقف

(١) See cardinal Gasquet`s translation = The rule of saint Benedict, London. 1925.

قيساريوسCaesarius of Arles قبل هذا الوقت بقليل أول من وجه راهبات الدير الذى أسسه إلى أن «يقمن بصنع نسخ جميلة من الكتب المقدسة « Libros divinos pulchre scriptitare ولكن كاسيودوروس كان حقيقة أول رجل في الغرب يحرص على جمع مجموعة منظمة من المؤلفات الأدبية الدينية والدنيوية، بل إن النصوص اليونانية كانت تستقدم من الشرق وتترجم في فيفاريوم. وكان كاسيودوروس يعنى بأن تكون المخطوطات ذات مظهر خارجي مقبول، ولكن أكبر همه كان يتركز في صحة النصوص، وهذه الجهود تصله بعلماء الإسكندرية قبله وبشرلمان ومستشاريه العلماء فيمن جاءوا من بعده، وأهم ما ندين به لكاسيودوروس نقل كثير من الآثار الأدبية من الحضارة القديمةإلى العصور الوسطى.

وينبغى أن نضع في صف كاسيودوروس القس الاسبانى ايزودور الأشبيلي Isidor of Sevi-ble (المتوفى ٦٣٦م)، ولعل القوط الغربيين كانوا أسرع القبائل الجرمانية في التأثر بالرومان، وقد امتازت الكنيسة في شبه جزيرة أيبريا بحياة روحية ناهضة دامت إلى الفتح العربي، وكان من بين رجال الدين هناك كثيرون شغفوا بجمع الكتب، ويأتي إيزدور الإشبيلي في مقدمة هؤلاء جميعاً، فقد كان أعلم أهل زمانه ومثالاً يحتذى به في سعة الاطلاع، وقد جمع في موسوعته المسماةEtymoligiae نتاج المعرفة المعاصرة، فكان صاحب أول دائرة معارف مسيحية، وقد استمد مادتها من مكتبته الغنية، ونستطيع أن نحقق صورة واضحة منها بفضل الأسطر التي بقيت إلى الآن، وكان إذ ذاك تحلى الخزائن والجدران التي تعلق عليها أيضاً - جرياً على عادة القدماء - صور بارزة النقوش، ويبدو أن الباب كان عليه نقش يقول:«هناك كثير من المقدسات وكذلك كثير من الدنيويات»(١) . وتشير النقوش التي على الخزائن والجدران إلى الكتاب المقدس والآباء الشعراء المسيحيين، ومؤرخي الكنيسة والمشرعين القدماء وخصت قاعة النسخ ببيتين من الشعر.

وكان التقدم في بلاد الغال Gaul أقل حظا منه في أسبانيا برغم ما حدث في تلك المقاطعة الرومانية من بعث للبيان والشعر الكلاسيكيين في القرنين الرابع والخامس حين وجدت فيها بعض المكتبات ذات الشأن(مثل مكتبة الوالي تونانتيوس فيريولوس Tonantius Firreolus ، ومارست حركة أدبية حية يدل عليها سرعة انتشار حياة سانت مارتينSt,Martin ، ولكن الثقافة

(١) Isidori Opera Ommia Rome, 1803, vii, 179. Quatedin j.W.= The care of books cam-bridge. 1909p.46.

على العموم – أخذت في الانحدار منذ قيام حكم الفرنج، ومضى وقت طويل قبل أن تحدث نهضة جديدة، وحتى هذه النهضة احتاجت إلى عون خارجي كان الإيرلنديون أول من قدمه.

ونشأت في جزيرة الزمرد Emerald isle التي بقيت بعيدة عن هجرات القبائل العاصفة، حياة رهبنة من نوع خاص اقترن فيها تقى الزهاد بالاهتمام الدائب بالفن والعلم، فكانت هذه الجزيرة الواقعة في أقصى الشمال الغربي تغني بمعرفة حقيقية للتراث اليوناني، وكانت الكتب تلقى عناية شديدة وتحلى بالكتابة والرسوم الدقيقة مما يدل على إحساس أصيل بالجمال. وكان لفظ «الكاتب» لقباً للشرف ويقترن غالباً برئاسة الدير، وكان الإيرلنديون تحركهم همة تبشيرية رائعة، وحيثما قادتهم حماستهم « للسعي في الأرض لخدمة المسيح » كانوا يجلبون مخطوطاتهم معهم.

وفي عام ٥٩٠م نزل بأرض الغال سانت كولومبان St Columban أهم المبشرين الأيرلنديين وأسس دير لوكسوىLuxeuil . وتلا ذلك تأسيس عدد من الأديرة منها دير كوربي Corbie، وسانت غالSt Gall ، وفي هذه المؤسسات جميعاً بعثت فنون الخط والكتاب من جديد، وقد أسس المبشر الإيرلندي دير بوبيوBobio في شمال إيطاليا، ويبدو أنه هو الذي وضع أساس المكتبة هناك، والتي لم تلبث أن أصبحت من أهم مكتبات إيطاليا، ولعل جزءاً كبيراً من ذخائر مخطوطات فيفاريوم قد نقل إلى بوبيو، وبذلك حفظ للأجيال التالية. وإذا علمنا أن أكثر ما نعرفه من الطروسpolimprests (الرقوق تمحى كتابتهاو تستخدم مرة أخرى) قد جاءت من بوبيو أدركنا مدى اهتمام كولومبان بتنمية مجموعتهم عن طريق النسخ ولا نعرف شيئاً أكثر من هذا بطريق مباشر عن الحقبة الأولى لتاريخ المكتبة. على أننا نجد في لائحة الدير عام ٨٣٥ م هذه العبارة « أمين المكتبة مسؤول عن جميع الكتب وعن المطالعة والنساخ »[١]. ويدل أقدم فهرس للمكتبة ويرجع إلى القرن العاشر أو الحادي عشر، على أن محتوياتها تبلغ ٦٥٠ مجلداً وتلك مجموعة مدهشة بالقياس لزمانها.

وقد دخلت انجلترا المسيحية على أيدي المبشرين الإيرلنديين والرومان في نفس الوقت، وسرعان ما استطاع الأنجلو ساكسون النابهون أن يتمثلوا ويتقنوا تمت هذا التأثير المزدوج ما جاء به أساتذتهم . وقد حمل رسل البابا الأوائل المخطوطات معهم، وبعد قليل ذهب الحجاج الأنجلوساكسون إلى روما وعادوا بذخائر أخرى معهم ، وقد عبر بندكت بسكوب-Benedict Bi

---

(١) bibliothecarius omnium libarum curam habeat, lectionum et scriptorum CF.C. cipolla codice diplomatico del

scop وئيس ديرى وير مـوث Wearmouth وجـارو jarroW جـبـال الألب خـمس مـرات حـتى لقد استطاع وهو على فراش الموت أن يعهد إلى إخوانه الرهبان « بأنبل وأكبر مكتبة أتى بها من روما Bibliothe - can quom de Rome nabilissim am Copiossimanque . وفي هذه الحقبة عاش إلى عام ٧٣٥ القديس بيد edvexerat venerable Bede والذي فاق معاصريه جميعاً عالماً ومعلماً (٢) . وقد بنى عمله على عمل إيزودور وإن اختلف عنه اختلافاً واضحاً، فقد أراد إيزودور – وهو روماني المولد – أن ينقل الثقافة التي ورثها إلى مواطنيه الجدد الذين لا تربطه بهم رابطة الدم . أما بيد الانجلوسكسون فقد كانت تملؤه الرهبة التي تملأ الجرمان المحدثين من الثقافة القديمة المتفرقة ، وتدل طريقته في محاولة تمثلها على طابع من العصور الوسطى تماماً.

وقد شارك الانجلوساكسون الأيرلنديين في حماستهم التبشيرية واقتفوا أثر أساتذتهم إلى القارة، واختار سانت بونيفاسSt. Boniface ألمانيا التي لم تكن قد اعتنقت المسيحية بعد ميداناً لجهوده التبشيرية، وهكذا حمل معه عبر البحر مع الدين الجديد الثقافة التي نمت في انجلترا كما تبدو في الخط والرسوم الانجليزية على أقدم المخطوطات التي ترجع في أصلها إلى شرقي الراين Rhine وشمالي المين Maine، وكان بونيفاس يملك من البداية مجموعة من الكتب وقد أضاف اليها – كما تدل رسائله – ما كان يجلبه من بلاده، وقد احتفظ بهذه الكتب إلى أن استشهد ، وكان لدير فولدا Fulda الذي أنشأه بونيفاس واعتز به الألمان غرفة منتجة للمطالعة في عهد أول رؤسائه شتروم Strum (المتوفى ٧٧٩م).

وليس أدل على طابع هذا العصر الذي نصفه من تنقل المخطوطات وانتشارها من دير إلى دير أولا من الجنوب إلى الشمال ثم تعود ثانياً في الاتجاه العكسي. وفي نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع أحضر امبراطور الفرنج العظيم مجموعة من المخطوطات كانت إلى ذلك الحين مشتتة في أرجاء الغرب (١).

وقد اتجهت جهود شارلمان اتجاهاً واعياً إلى رفع مستويات الديانة والتعليم عن طريق الربط بينهما وبين التراث المسيحي في أواخر العصور القديمة، واستهدف قبل كل شيء أن يجعل من

---

(٢) monasterio di s. Columbano di Babbio 1.Roma 1918.p/140.

من أجل معلومات أكثر عن بيد وأديرة ويرموث وجارو انظر كتاب:

Bede, His life, Times and Writings . Essays in commemoration of the twefith Centenary of his death , ed. by Alexander H. Thompson. Oxford 1935.

(١) Emil sesne = les livre, " Scriptoriae, etbibliothèques du commencement du viiie a la fin du siecle ecle. lille. 1938.

وهو دراسة قيمة جدا عن فرنسا أساساً، ولكنه يشتمل على معلومات عن بعض المكتبات التي تقع الآن داخل حدود ألمانيا وسويسرا.

رجال الكنيسة معلمين للشعب وأن يزودهم بقدر معين من المعرفة يحتفظون به طول حياتهم. ورغبة في تحقيق ذلك استقدم إلى بلاطه العلماء من البلاد المجاورة التي كان لها حظ أكبر من الثقافة في ذلك الحين. وهكذا قدم بول الشماس paul the Deacon من إيطاليا وجاء الكوين Alcuin من انجلترا يحمل معه عبر الخليج تعاليم بيد Bede(١). وقد تولى الكوين إدارة مدرسة القصر التي أصبحت نموذجاً يحتذى في تنظيم المدارس في جميع الكنائس والأديرة، وبذلك تحققت الأهداف التي سعى إليها القادة من أمثال كاسيودوروس وبيد وبونيفاس، وأصبحت شائعة في امبراطورية الفرنج كلها ، وتعهدت الحكومة المركزية بإنشاء المناسخ في المؤسسات الدينية ، وطالبت بأن يكون العمل متقناً في شكله ومادته. وتم في القصر إصلاح للكتابة وسايرت تحلية الكتب المثل الجديدة للجمال، وتلا ذلك جمع منظم للكتب وغربلة للأعمال الكنسية والعلمية على أساس من النقد اللغوي السليم طبق فيه مبدأ «إن ماء المنبع أنقى من ماء الجدول ». وكانت المخطوطات الإيطالية تشمل أجود النصوص ، فأعدت نسخ موثقة منها وبذلت العناية الواجبة لتوزيعها وعلى هذا النحو حفظ العلماء في عصر شارلمان جانباً كبيراً من تراثنا.

وقد أتى غرس هذا الإمبراطور العظيم أجود ثمره في عهد حفيده شارل الأصلع Charles the Bald الذي يسمى بحق أول أمير مغرم بالكتب بين الأمراء في العصور الوسطى، وتعتبر المخطوطات التي أعدت تحت إشرافه من أبدع المخطوطات في ذلك العصر، وقد استدعى لمدرسة القصر الفيلسوف العظيم جون اسكوتسjohn Scotus وكلفه بترجمة الآثار الهامة من اليونانية، وفي ذلك الوقت أيضاً كان اللغوي العلامة لوبيوس فيريير Abbot Lupus of Ferriers يتعقب مخطوطات المؤلفين الكلاسيكيين ويتحقق من الأستاذية في فنه ما لم يتح إلا للعلماء المحدثين.

ونستطيع أن نخلص مما أوضحناه عن الاتجاهات والنتائج الخاصة بما يسمى النهضة الكارولنجية Carolingian Renaissamce بأن شؤون المكتبات لقيت عناية خاصة، وقد كان شارلمان يطلب من العلماء الأجانب أن يأتوا معهم بالمخطوطات من بلادهم ، ونحن مدينون لبول الشماس بكثير من آثار الكلاسيكيين ولالكوين « بإزهاء بريطانيا » كما تقول المصادر، وقد أنشأ الأخير مكتبة أبرشية في سانت مارتين بتور ST. Martin of Tours ، وكانت كلية على النمط الإنجليزي، وكانت مجموعة تور تعتبر مثالا تحتذيه المؤسسات الدينية الأخرى إذ أصبحت كل مؤسسة

(١) هناك دراسة صغيرة مفيدة عن الكوين وعمله هي: A.F.West"Alcuin and the rise of christian schools New York, 1892

جديدة تحس بضرورة إنشاء مكتبة إلى جانب المدرسة، وعلى أية حال كانت مكتبة القصر مركز حركة المخطوطات ، فكانت تودع فيها النصوص المعتمدة ويتاح الاطلاع عليها لكل من يهتم بذلك، وكان شارلمان حريصاً على أن يجعل مكتبته وشاملة قدر المستطاع، وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول إن العبارة التالية الموجهة تامة إلى الإمبراطور تشير إلى المكتبة وهي :«من ذا الذى يقدر أن يعد مجموعات الكتب التي جمعت بتوجيهك من بلاد كثيرة!»(١)

وكان يوجد – عدا مكتبة القصر – مكتبة أخرى شخصية للإمبراطور، وكان لحفيدة شارل الأصلع مكتبة مثل هذه أيضاً، بل إن اينهارد Enhard وهو من العامة كان يملك مجموعة قيمة كان لوبوس يستعير منها المخطوطات التي يختارها من فهرس كان تحت تصرفه دائماً، على أن هذه البدايات الطيبة في تكوين المجموعات الخاصة لم تلبث أن اندثرت لأنها ، شأنها في ذلك شأن كثير مما أوجدته النهضة الكارولنجية، كانت تسبق عصرها فلم يتح لها أن تتطور ، وقد زال مازال من أعمال الإمبراطور ، ولكن بقي شيء على مر الزمن هو أن المكتبات ظلت منذ أيامه أداة لا غنى عنها من أدوات المؤسسات الدينية وخاصة الأديرة طوال عصر امبراطورية الفرنج.

---

(١) Quis saltm poteritserime enumerare librerum Quos tuo de multis Copulatsententis terris - Monementa Cermaniae Historice - poetae Latinimedii aevi,1,98.

مابعد العصر الكارولنجي
من القرن التاسع
إلى القرن الثاني عشر

ورد في نهاية فهرس لإحدى مكتبات الأديرة يرجع إلى عام ٨٣١ العبارة الآتية: « هذه إذن ذخائر الدير ، هي الثروة التي تغذي الروح بحلاوة الحياة الإلهية » (١). ومثل هذا الإكبار لاقتناء الكتب يظهر فيما أورده أحد المؤرخين المتأخرين بعد أن وصف حريق إحدى المكتبات إذ قال:«لقد فني عدد لايحصى من الكتب فتركنا وقد سلمنا أسلحتنا الروحية»(٢). ولعل أصدق تعبير عن هذا الشعور العبارة التي صيغت حوالي عام ١١٧٠م وهي:«إن الدير بدون خزانة كتب مثل القلعة بلا سلاح »(٣). وكل اقتباس من تلك الاقتباسات يصلح أن يكون شعاراً لهذه الفترة من تاريخ المكتبات التي تمتد من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، فقد كانت فترة تسودها مكتبات الكنائس والأديرة. وسوف نعرض لبعض هذه المؤسسات حتى نستطيع أن نخرج من وصف الملامح الفردية التي تبدو هنا وهناك بالنتائج الهامة التي نريد الوصول إليها.

وقد رأينا في الفصل السابق كيف بدأت مكتبة فولدا بداية طيبة، على أن هذه المكتبة لم تبلغ أهميتها القصوى إلا بعد عام ٨٠٠م حين حكم رابانوس موروسRabanus Maurus مدينة فولدا أربعة عقود، فكان رئيس المدرسة أولا ثم رئيساً للابرشية كلها بعد ذلك. ويسمى موروس بحق مؤسس طريقة العصور الوسطى في التربية بألمانيا، إذ تابع عمل الكوينAlicun في أرض الفرنج الشرقية وتحت إشرافه أصبح المنسخ في فولدا عامراً بالحيوية والنشاط وعاد ذلك بفائدة خاصة على المكتبة، وتشهد عبارة رابانوس نفسه على غنى مجموعة المكتبة وتعدد جوانبها قال:«هناك تجد كل ماأرسله الله من السماء إلى الأرض لفائدة الإنسان من كتب مقدسة ومن حكمة دنيوية تجلت على الناس في العصور المختلفة»(١).

(١) Hae ergo divitieae claustrales, haesunt opulentiae Caslestis Vitae dulcedine animam sagi-nantes - from the catalogue of the monastery of st. Riquier, reprinted in E.Edwards Memories of libraries...297-301.

(٢) liq- . Inexplicabilis libranimcapia periit, nosque spiritualumnostri armorum inarmes re uit Claustrum sinc armorio quasicastrumsine armentario.

(٣) Geoffrey of st. Barbein Theasaurus no vus anecdotorum ed. F. martene and m. Durand. Paris, 1711. 1,511.

وعلى نحو ما كانت فولدا لمينفرانك mainudrankin ، وكانت كورفي Corvey لساكسونيا Sao-ny حيث كانت كوربى Corbie كبرى أبرشياتها وهي جالية تفرعت عن لوكسوي- تحتفظ بمنسخ ذي إنتاج خصب حتى نهاية القرن الثامن، وكان يعمل هناك حتى بداية القرن التاسع قريبان لشارلمان وعضوان في بلاطه هما أدلهارد Adelhary ووالا Wala وكذلك الباحث العظيم باسكاسيوس رادبيرتوس pashasius Radbertus وفي الحقيقة كان هذان القريبان أول من ترجم تقاليد الفرنجة إلى منطقة نهر وزرWeser وذلك في عام ٨٢٢م. وبفضل الأسرة الحاكمة في ساكسونيا نشطت كورفي بحيث أصبحت عاصمة الثقافة في المقاطعة، ومن المرجح أن أساس مكتبتها إنما جاء من مجموعات كوربي، ففي عام ٨٤٧م أهدى إليها أحد القساوسة «مجموعة كبيرة من الكتب»(magna capia libarum) وعلى الرغم من أن التقارير عن مجموعاتها النهائية غير متوفرة، فإننا نستطيع تقديرها عن طريق الاستقلال السياسي، فنحن نعلم أن ويدوكند Widukind كتب حولياته القيمة خلال القرن العاشر في كورفي، ونرجح أنه إنما استمد المصادر التي استعان بها في كتابته في مكتبة الأبرشية، وبعد ذلك بقرنين من الزمان نجد ويبالد wibald الصديق الحميم لكونراد الثالث Conrad 111 راهباً هناك. وتكشف مراسلاته عن رغبته الجامحة في إمداد المكتبة ببعض المخطوطات القيمة وخصوصا مؤلفات شيشرون.

وأخرج العصر الكارولنجي مكتبتين هامتين لديرين وذلك في شرق بلاد الفرنجة إحداهما في ويزنبرج weissenburg وطن الشاعر الحماسي المتدين أو تفريد Otfried والثانية في لورك Lorch. ولم تبلغ أي من الأبرشيات في ذلك الوقت ما بلغته هاتان المكتبتان من تقدم وازدهار سريع ، فقد نمت مجموعات المخطوطات في لورك بدرجة عظيمة سواء في العدد أو القيمة أو حسن التنظيم بحيث فاقت كل ما عداها في الأبرشيات الأخرى.

ومن أبرشيات أسوابيا Swaboa يجب أن نذكر أبرشية سانت جال St. Gall فهي أحسن مثال على الثقافة الديرية في ألمانيا في الفترة ما بين عصر شارلمان وبداية القرن الحادي عشر، وكان بها مدرسة نموذجية تقلد تلاميذها كثير من المناصب الكهنوتية، ومن بين الباحثين والكتاب المبرزين الجامع نوتكر بالبولسNotker Balbulus مؤلف ملحمة Waltharius Ekkehard واللغوي نوتكر لابيو N. Labeo وأخيراً اكهارد الرابع Ekhard Iv مؤلف Casus S. Golli الذي يعطينا

(١) Quidquid ad arcedues cocli direxit in arbem in arben Scripturae sanctae per pia verba viris illic invenies, quidquid sapientia Mundi protulit in mundum to mporibus variis - "Hrabani Mauri Carmina xxiii: Gerhohum prestiberum" in Monu enta Germaniae historica. poetae latini medii aevi, il, 187.

صورة واضحة عن العصر الذهبي للدير. فقد بدأ المنسخ نشاطه حوالى منتصف القرن الثامن، وكان المؤسس الحقيقي للمكتبة هو القديس جريمالد Grimald(٨٤١ - ٨٧٢ بمساعدة خليفه هاردمت Hardmut ولقد ساعد كثير من النساخ والمتطوعين من أمثال الأسقف سالمون من كرنستا Bishop soloman of Constanie علي تنميتها ، ولقد وقفنا على أسماء أمناء المكتبة ومن بينهم نذكر نوتكر بالبوليس المشار إليه آنفاً. كما وصلتنا معلومات موثوق بها عن المدى الكبير الذي بلغته مجموعاتها متمثلا في الفهارس التي بقيت، كما وصلنا أيضا تقويم يبدأ بالقرن التاسع، ويستمر في القرون التالية ويسجل لحياة القديسين وقراءاتهم اليومية في المكتبة، ولم يذكر العلماء شيئا كثيراً عن أبرشية Alsatian في مورباخ Murbach، كما ذكروا عن سانت جال، على الرغم من عثورنا على قائمة ترجع إلى منتصف القرن التاسع تمثل مقتنيات هذه المكتبة في ذلك الوقت، وكيف كانت هناك جهود بذلت لإنماء هذه المجموعات وتطويرها.

كان هناك مركز ثالث للحياة الدينية في أسوابيا هو ريشيناو Reichenau الذي كان يتبادل المخطوطات على نطاق واسع مع سانت غال المجاور، ولم يكن يتردد في إمداد مورباخ بالكتب، ومنذ إنشائه جد الرهبان في جمع الكتب له، ولكن عصره الذهبي لم يظهر إلا في حكم شارلمان، وكان رجنبرت Riginbert الذي يطلق عليه أعظم أمين مكتبة في زمانه يعمل هناك، وقام بنفسه بإنتاج بعض النصوص لمؤلفين دينيين وعلمانيين ، وأشرف على قراءات الطلبة الجادين، وكان يجلب المخطوطات من الأماكن القريبة والبعيدة، من إيطاليا وغرب مملكة الفرنج (*) وقد ضمن فهارسه أعدادا من هذه الذخائر التي تجمعت، ففي أيامه بلغت مجموعات المكتبة مايربو على ٤٠٠ مجلد، بحيث يمكن القول بأن مجموعاتها ضارعت المكتبات الديرية الأخرى التي سبق الحديث عنها، ولم يكن إنشاء هذه المكتبات بمحض الصدفة، فهذه المكتبات قد صممت على نسق مكتبة القصر الإمبراطوري وبمساعدته، وهي في مجموعها تمثل روح ألكوين وعلمه ومدرسته، ولقد ظلت روح البحث مرتفعة لفترة طويلة في رشينا ، وحتى نهاية القرن العاشر الميلادي حين بدأت بعد ذلك تخفت رويداً وتحول الصيت العظيم إلى مدرسة المصورين. وعلى الرغم من ذلك فإن الأديرة الأخرى وخاصة فولدا ضربت لنا أروع الأمثلة في فن صناعة الكتاب، وكان هذا في عهد الإمبراطور آتو OTTO العظيم ، وإلى مصوري رشينا أرسلت البعثات ليس فقط من الأمراء والأساقفة، ولكن أيضا من البلاط الإمبراطوري، وكذلك من لدن البابا في روما.

(*) كانت في ذلك الوقت مقاطعة ألمانية على نهر الراين، ولكنها الان موزعة بين بادن وبافريا وفير تمبرع(م)

ومع بداية القرن الحادي عشر تصدت رجنز برج Regnesburg لقيادة التطوير الثقافي في ألمانيا ، ويمكننا أن نلاحظ التقدم العام في الأديرة البافارية خصوصاً بعد القضاء على الخطر الهنغاري في موقعة لشفيلد Lechfeld ، وكان القديس ولفجانج Wolfgang من رجنز برع أحد الشخصيات القائدة في حركة التطوير هذه، وإلى سانت أميرام .St. Emmeram استدعى رامولد Ramwold ليعمل على إحياء الأبرشية وخاصة عن طريق جمع الكتب فيها maxime in librarum Cultubus ولذلك نجد الفهرس الذي أعد لها تحت إشرافه يحتوي على ما يربو على الخمسمائة كتاب، ولم تمض عقود قليلة حتى نجد الخطاط العظيم أوتلو Othlo يعمل في سانت اميرام، وإن ترجمته الذاتية غير العادية لتعدد لنا سلاسل المخطوطات التي أخرجها والنماذج التي بقيت لنا من هذه المخطوطات لتدل على المكانة العظيمة التي احتلها بين معاصريه.

ومن رجنربرج أرسل جوزبرت Gozbert إلى دير تجرنسي Tegernsee ليكون راهباً، وكان عمله هناك يشبه عمل رامولد في سانت اميرام، وإن مراسلات ناظر مدرسته في فرموند Froumnd لتكشف لنا عن المصاعب التي تجشمها في سبيل الحصول على مخطوطات لنسخها لدير تجرنسي، وفي مقابل ذلك كان يعير بعض مخطوطات مكتبته لنسخها لنفس الغرض. وفي الأعوام التي تلت انخفضت سمعة الدير كمركز لإنتاج المخطوطات ، وإن الإمبراطور فردريك برباروسا Fredrick Barbarossa كثيراً ما أظهر رغبة ملحة في الحصول على كتاب الصلوات وكتاب القداس مما أنتج في هذا الدير، وذلك لما اشتهر عن رهبان تجرنيس «كنساخ مهرة» boni scriptores . ويتضاعف حظنا من المعلومات عن منسخ ميشيلزبرج Michelsbergفي بامبرج Bamberg فقد خلف لنا الأمين بورخارد burchard(ت١٠٤٩م) نوعاً من التاريخ المكتوب لمجموعة الكتب التي كانت منوطة به ، فهو يسرد علينا الكتب التي وجدها هناك ثم الكتب التى أضيفت عن طريق الإهداء والشراء والنسخ ، بل إنه ليذهب إلى أبعد من هذا فيسرد علينا أسماء النساخين وتقسيم العمل فيما بينهم، ويبدو أن منسخ ميشيلز برج قد أنتج مخطوطات لأغراض التصدير. ويمكننا تقدير ما وصلت إليه الحياة العقلية من تقدم في تلك الأبرشية في هذا الوقت عن طريق التنوع الكبير فيما كان بها من كتب، وليس فقط عن طريق الحولية الشاملة لهذه الحقبة والتي انتظم صدورها هناك آنذاك.

وخلال هذه الفترة التي ندرسها لم تكن المكتبات معدومة في الكاتدرائيات في ألمانيا، ولكنها على العموم كانت تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد مكتبات الأديرة. حقيقة أن الجهود الثقافية التي بذلها أتباع شارلمان قد أثرت على كلا النوعين من المكتبات :ففي ذلك الوقت قام كبير الأساقفة لوس Lullus من ماينزMainz وزميلاه هيلدبالد Hildbaldمن كولونيا Cologne، أرنو

Arnoمن سالسبورج Salzburg ببدايات طيبة للغاية في هذا الصدد، كما أن من جاء من بعدهم لم يهملوا هذه المجموعات. ولكن القديسين الألمان - كما بدا من تاريخهم - في الفترة من القرن العاشر إلى الثاني عشر كانوا يشتركون كلية في الشؤون السياسية إلى جانب واجباتهم الدينية. ومن هنا لم يكن لديهم متسع من الوقت لقيادة الحياة الفكرية وحل مشاكلها، ولم يكن يستثنى من ذلك سوى قديس واحد هو بيرنوارد من هيلدشيم Bernward of Hildeshim (ت١٠٢٢) الذي جعل من مسكنه مكاناً لدراسة الفنون والمعارف. كما أنه جمع على حد قول أمين مكتبته وكاتب ترجمته تانجمار Thangemar مكتبة كبيرة من كتب القديسين وكتب الفلاسفة Capiosam bibliothecam tam divinorum quam philosophi corum codicum. .

ولو أننا أردنا تصوير المكتبات في الدول الأخرى بنفس التفصيل الذي اتبعناه في المكتبات الألمانية، فإن هذا سوف يجرنا إلى تجميع التفاصيل الدقيقة دون الوصول إلى إطار واضح وسليم لطبيعة وتكوين المكتبات في ذلك الوقت. وذلك لأن ألمانيا في تلك الفترة كانت القوة الرائدة في اوروبا ليس فقط من الناحية السياسية بل أيضاً من الناحية الفكرية والثقافية. ولهذا سوف نكتفي بإعطاء بعض الأمثلة البارزة لنوضح كيف أن المكتبات في كل مكان - حتى ولو كانت بعيدة عن الحدود الألمانية - كانت على درجة من النضج لا بأس بها وخاصة حيثما وجدت أديرة تزخر بالحياة والنشاط.

ولنبدأ بالجنوب فنجد مصداق ما نقول مطبقاً على الأبرشية الأم في مونت كاسينو monte cassino، التى استطاعت في عهد القديس وسيد يريوس Disiderius أن تستعيد قوتها وازدهارها بعد طول انحلال وتأخر . ففي هذه الفترة بلغ الخط والتصوير في هذه الأبرشية أقصى درجات الكمال، كذلك أخذت عملية جمع المخطوطات الجديدة والقيمة تزداد يوماً بعد يوم على يد الباحثين والدارسين الذين أصبحوا مثالاً يحتذى حتى خارج الأبرشية وقد عاصر ذلك الوقت أيضاً القديس جيروم من بومبوز jerome of pomposal الذي لفت الأنظار إليه في شمال إيطاليا بالإصلاحات التي قام بها في أبرشيته وتزويد مكتبتها بعدد كبير من الكتب القيمة.

وابتداء من القرن العاشر فصاعداً تولت طائفة كلوني Order of Cluny توجيه الحياة الكنسية في فرنسا (١) ولقد جلب إليها مؤسسها أودو Odo مائة من المخطوطات وتولى أحد خلفائه من بعده، ويدعى ماجولوسMajolus الإشراف على الرهبان عند قيامهم بنسخها، وفي نهاية الفترة

(١) انظر joan Evans:Monastic life at Cluny, 910. 1157 London 1931. for France in general see lesne, OP . cit

التي ندرسها بلغ رصيد المكتبة ما يقرب من الستمائة مجلد، واقتنت الأديرة الأخرى التي قامت هذه الطائفة على إصلاحها مجموعات لا بأس بها من الكتب نذكر منها على سبيل المثال ديرفليري سيرلوار Fleury -- sur --Loire وإن القواعد التي وضعتها طائفة سانت فيكتور St fic-tor الباريسية لتستحق اهتمامنا وذلك لاشتمالها على قسم مستقل يعالج واجبات أمين المكتبة، وإن هذا الاهتمام الواضح بالكتب كان يغذيه باستمرار رغبة هذه الطائفة في البحث وحبها للعلم، وإن معهدهم ليعتبر بحق إحدى البذور التي نبتت منها جامعة باريس.

انتقلت روح النظام التي عرفت بها طائفة كلوني من فرنسا إلى انجلترا، ففي عهد وليم الفاتح تولى لانفرانكLanfranc كبير أساقفة كانتربري Canter bury حركة الإصلاح ، فقام على إحياء مكتبة كنيسة المسيح Christ Church ، وأصدر أوامره بتوزيع الكتب على الأديرة في فترات منتظمة ، وتشبع بهذه الروح أحد أقاربه وهو الراهب بول من دير سانت البانز St Albans فقام على تنظيم المنسخ هناك وخصص له دخلا منتظما وجلب إليه النساخ، وفي ذات الآن أمد المكتبة بهدايا عظيمة من الكتب القديمة، ومن ذلك الوقت حتى القرن الثاني عشر لقي المنسخ والمكتبة كل اهتمام من السلطات المسؤولة في الدير. وبهذا تجمعت أعداد كبيرة من المخطوطات مما ساعد على كتابة.التاريخ في سانت البانز في القرن الثالث عشر.

وكان مما يميز مكتبة العصور الوسطى عن مكتبة العصر القديم ومكتبة العصر الحديث على السواء ضآلة الموجود بها من الكتب فلم تكن فهارسها لتحوي أكثر من عدة مئات قليلة من المداخل(١). ومما تجدر ملاحظته في هذا المجال أنه ربما احتوى مجلد واحد على عدة كتب مختلفة، وكانت الموضوعات التي تمثلها هذه الكتب وهي عبارة عن الكتابات المسيحية والمخلفات القليلة من العصور القديمة بالإضافة إلى ما استحدث من مؤلفات دينية وعلمانية في الفترة ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، مما يمكن جمعه حقيقة في عدد بسيط من المجلدات كهذه.

وإذا ما أسس دير جديد فإنه كان يتلقى نصيبه الأساسي من الكتب أو على الأقل القدر

(١) Is. Beddie "The Ancient Classcs in the Medieval Libraries Speculum, V, 1930, 3020.وكتابه

"Libraies in the 12 ceutury, their catalogues and Content" in Anniversary Essays in Medieval History oF students of Charles Homer Haskins. Boston 1929.

الضروري من كتب الطقوس الدينية، من الأبرشية الأم، ثم تأخذ مجموعته في النمو عن طريق الهدايا التي تأتي من مصادر متنوعة، من الدوائر الدينية وغير الدينية، وكانت هذه الهدايا نتيجة طبيعية لالتقاء المتبرعين عند الصلاة ، كما كان الرهبان الجدد والطلبة الذين يلتحقون بمدرسة الدير يقدمون هدايا أيضاً، كما كان الشراء مصدراً آخراً لتزويد الدير بالكتب، وإن كان ذلك يتم في أضيق نطاق نظراً لارتفاع أثمان المخطوطات بشكل غير عادي، فكثيراً ما نسمع بأن مساحات بأكملها من الأرض، أو مزارع للكروم مثلا قد دفعت ثمناً لبعض المخطوطات، ولهذا كان من الطبيعي تزويد الدير عن طريق الهدايا الخاصة وفرض ضرائب وعوائد تحصل لصالحه بانتظام.

لقد كان هناك تبادل حيوي للمخطوطات بين الهيئات الدينية المختلفة، ومما ساعد على ذلك سهولة تبادل النسخ المكررة، كما كان ذلك أداة للحصول على النصوص التي تستخدم كنماذج للنسخ ، ونلاحظ دائماً وفي كل مكان وجود علاقة وثيقة بين المكتبة والمنسخ، فليس من العسير علينا أن نثبت أن محتويات المكتبة ونموها إنما كانا يعتمدان أساساً على صناعة وإنتاج المنسخ، ولم يكن نشاط المنسخ مقتصراً على نسخ المخطوطات وتحليتها بالصور، بل تعداه إلى إعداد مواد وأدوات الكتابة من الرق إلى الأقلام إلى الحبر إلى الأصابع إلى الألواح وغيرها، وإن هذه الأعمال التي كان يقوم بها الرهبان لتكشف عن الدور الذي لعبته الأديرة في هذا الصدد، فقد كان الرهبان يقفون الأسابيع والسنوات في نسخ الكتب أملا في ثواب الله ، وهذا الثواب الذي غالباً ما تردد ذكره في مناسبات عديدة (١)

ولعل هذا يفسر لنا لماذا كان الرهبان يتفانون في الحفاظ على مخطوطاتهم كما كانوا يفعلون مع ذخائر الدير، فإلى جانب قيمتها المادية وأهميتها كأداة للبحث يأتي العامل الروحي في كونها تحمل الشهادة على رضا الله، كما كان الإخوة الرهبان يتناولونها في رفق واهتمام بالغين، ومن هنا أيضاً كانت المخطوطات تهدى بفخر إلى الدير وهي تحمل علامات تدل على اسم صاحبها، كما جرت محاولات لحمايتها من السرقة عن طريق كتابة لعنة الكتب المزعومة بداخلها، هذه التهديدات بالعقاب الزمني يمكن تتبع أصولها في القرون السابقة، وخلال الفترة التي ندرسها كانت هذه التهديدات تكتب أحياناً نثراًوأحياناً أخرى تكتب شعرا .

---

(١) بهذا الشأن انظر الفصل الجاد الممتع الذي كتبه Florence E. de Roover بعنوان "The scriporium " in j. W. thompson = the medieval library.

وتطورت أساليب المحافظة على هذه الذخائر ، فبدلا من لعنة الكتب هذه اتخذت تدابير لمنع السرقة عن طريق التنظيم الإداري للمكتبة. فوكلت هذه المهمة إلى حارس armarius أو أمين li-prarius ، وهو موظف بالأبرشية يقوم بمهمته الجديدة بجانب وظائف أخرى يقوم بها مثل وظيفة الترتيل في الكنيسة، كما كان غالباً ما يشرف على المنسخ أو على الأقل يسهم في الإشراف عليه، أما عن مدى واجباته المكتبية فإن ذلك كان يتوقف على حجم المجموعة المنوطة به رعايتها.

وفي القرون الأولى وكذا المتأخرة كانت المخطوطات والذخائر تحفظ معاً في مكان أمين مثل حجرة المقدسات أو أحد المعابد، كما كانت في بعض الأحيان تحفظ مع الأوراق الرسمية والمستندات الأرشيفية. وإذا كان موجود المكتبة من الكتب قليلاً فإنها كانت تحفظ في دولاب أو أكثر ، وكانت هذه الدواليب إما في داخل الجدران نفسها وإما موضوعة بحذاء الجدران كما رأينا في مكتبات العصور القديمة. أما إذا كان موجود الكتب كبيراً فإنها كانت تحتاج إلى أماكن خاصة، ولم تكن هذه الأماكن الخاصة معروفة في العصر الكارولنجي . ولكننا نصادف مايسمى بتصميم سانت غال المعماري وهو تصميم نموذجي لتخطيط دير كبير في ذلك الوقت . ففي ذلك التصميم تكون «المكتبة عبارة عن مبنى يشبه إلى حد كبير حجرةالمقدسات في الموقع والحجم وتوازي الجانب الشرقي من المشيخية Presbyter وتتكون من طابقين، الطابق الأسفل يجهز ليكون منسخا والطابق العلوي يعد ليكون مخزناً للكتب ». ونعرف أنه في وقت متأخر كان الرهبان البندكتيون Cisercians يعزلون الكتب في مكان قريب من حجرة الطعام. أما في دير تجرنسي فقد «وضعت المكتبة في الكنيسة الجديدة فوق البازلكا نفسها super eandem basili-- cam armaria locatur وغالبا ما كانت كتب الطقوس الدينية اللازمة للعبادة تعزل عن بقية الكتب. وغالباً ما كانت الكتب تقسم فيما بينها إلى مجموعة داخلية خاصة بأعضاء الدير وأخرى خارجية خاصة بالمدرسة الملحقة بالدير، كما نصادف نوعا من الفصل بين كتب المراجع وكتب الإعارة.

وكانت لوائح بعض الطوائف الدينية تشتمل على قواعد صارمة فيما يتعلق بإجراءات إعارة الكتب. ففي يوم محدد من أيام السنة يجتمع أعضاء الأبرشية وينادون على من استعار كتباً فيما مضى ثم يطالبون بردها . وتبدأ إجراءات إعارة الكتب للسنة الجديدة. كل هذه الإجراءات من استرداد وإعارة كانت تتم تحت إشراف أمين المكتبة الذي كان من مهمته أيضا الاحتفاظ بقوائم بالكتب المعارة هذا فيما يتعلق بإعارة الكتب لأعضاء الدير . ولكن لم تكن الإعارة مقصورة على هؤلاء فقط بل كانت الإعارة جائزة لأشخاص من الخارج أيضاً كما أوضحنا سالفاً، وكان

على المستعيرين خارجيا أن يقدموا إيصالاً أو رهناً ضماناً لرد ما استعاروه فنجد رجنبرت من ريشينا يطالب الأعضاء « بألايستعيروا أي كتاب خارج الأبرشية إلا بعد تقديم رهن أو على الأقل تعهد بأن يردوا إلى المكتبة ما استعاروه في حالة جيدة» (١). وطالما أن مثل هذه الاحتياطات لم تحل دون إساءة استعمال الكتب ودون ضياع لبعضها فقد عدلت القواعد في نهاية الفترة التي ندرسها بحيث منعت الاستعارة الخارجية كلية.

وكان من واجبات أمين المكتبة القيام بتصنيف الكتب وجردها: ولقد كانت فهارس مكتبات الأديرة الكارولنجية الكبرى كما رأينا تشتمل على حقيقتين مهمتين: تشابه مجموعات الكتب في كل منها، وتوحيد التقسيم الموضوعي فنجد في البداية الكتابات المقدسة التي كتبها رجال الدين من آباء الكنيسة حتى القسس الجددmagistri moderni مرتبة حسب أسماء مؤلفيها ثم يلي بعد ذلك بقية الكتابات الدينية مما لا مؤلف له، يتبع ذلك الكتابات المتعلقة بأمور الدنيا بما في ذلك المؤلفات الوثنية وهذا القسم الأخير كان يجزأ إلى مجموعات موضوعية محددة» (٢) وتشير الأدلة إلى مكتبات العصور الوسطى المتأخرة التى اتبعت نفس النظام في ترتيب الكتب ولهذا يمكننا أن نقرر أن قوائم الجرد الكارولنجية تعتبر بمثابة قوائم رفوفـshelf --lists ومن جهة أخرى ليس هناك ما يشير إلى وجود عادة وضع المخطوطات على أدراج وربطها بالسلاسل حتى لا تنقل من مكانها وهي العادة التى شاعت فيما بعد في العصورالوسطى المتأخرة وإن الاشارات إلى «الكتب المربوطة «libri catenati إنما تتعلق بالقرون المتأخرة من العصر الوسيط.

وإذا أردنا أن نتعرض باختصار للتنظيم الداخلي لمكتبات الأديرة في الفترة من القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر، فسوف نجد أن الفهارس التي وصلتنا تتباين تبايناً كبيراً فيما بينها من حيث التنوع والدقةواكتمال البيانات بها ولم يكن ترتيب الكتب يتبع نظاماً معينا بالذات وإن كان يسير في أغلب الأحيان على النظام المسلسل أما عن القول بأن العادة قد جرت في ذلك الوقت أو من قبل على وضع علامات على كل مجلد تبين موضع الكتاب على الرف فهو قول يحتاج إلى بحث وتمحيص وشواهد تؤيده وعلى العموم فإن مكتبة العصور الوسطى فيما بعد العصر الكارولنجي لم تحقق تقدماً أساسياً يعتد به، هذا التقدم الذي لم يتحقق في العصور الوسطى إلا بعد الجهود التي قام بها فلاسفة الكلام في الشؤون المكتبية.

---

(١) Hoc ut nullus opus cuiquam concesserit extra ni prius ille fidemdederit vel denique pig-nus Dones ad has aedes, quoe accepit, salvaremittat- Quoted by W.Wattenbach = Das Schriftwesen im mittelalter 3 rd, leipzig, 1896. p. 527.

(٢) Dorothy M. Norris = A History of Cataloguing and Cataloguing Methods, london, 1939.

العصور الوسطى المتأخرة

رأينا فيما سبق كيف عملت الأديرة والمؤسسات الدينية الأخرى على جمع كنوز المخطوطات وتنظيمها على هيئة مكتبات. ورأينا أيضاً كيف أجهد الرهبان أنفسهم في العمل على زيادة هذه الثروة الروحية فكانوا ينسخون النص ويحلونه بالصور الجميلة وبذلك حافظوا على هذا التراث الإنساني وسلموه إلى الاجيال اللاحقة، ففي هذه الفترة كانت المؤسسات الكنسية هي الاماكن الوحيدة الصالحة لوجود تيارات ثقافية من نوع ما . فقد اكتسبت الكنيسة نوعا من حق الاحتكار للتعليم، وأصبحت المعرفة كلها نوعا من النصرانيات كما أصبحت اللاتينية هي لغة الدراسة والبحث في هذه المؤسسات ، ولقد نجد من الصعب علينا أن نقول بأن العلمانيين قد ساهموا بأي نصيب في الحياة الثقافية في ذلك الوقت.

وابتداء من العصور الوسطى المتأخرة بدأ نوع من التغيير يطرأ على الحياة الثقافية. فبدأ العلمانيون في تحرير أنفسهم من وصاية الكنيسة على الثقافة ، وكان من الطبيعي أن تبدأ طبقة النبلاء بهذا التحرير، فاختلقوا نوعا من الحياة الأرستقراطية المتميزة ،قوامها النزعة إلى قراءة الأدب وخاصة الشعر. ثم تلا ذلك ظهور الطبقة المتوسطة في المدن الاوروبية، وكلما انتشرت الصناعة وزادت التجارة اتسعت معرفة الناس بالقراءة أكثر وأكثر وبهذا استيقظت في الطبقة المتوسطة رغبة جامحة في الثقافة والعلم. هذه الرغبة لقيت اشباعها عن طريق الآداب الشعبية ذات الطبيعة نصف العلمية، والتي استغلت اللغات المحلية في تشعبها نحو آفاق أرحب وأوسع.

استقرت الطوائف الدينية الجديدة كالفرنسيسكان والدومنيكان في المدن، ولم تقبع هذه الطوائف في أبراجها العاجية مكتفية بالتأمل في الوجود، بل نزلت إلى زحمة الحياة ترشد وتعظ وتعلم الناس مما أثر في اتجاهات المعرفة، وبمساعدتهم أخذت كبرى الجامعات طريقها إلى حيز الوجود في نهاية العصور الوسطى ومن بينها جامعة بولونياBologana منبع الدراسات القانونية، وجامعة باريس قلعة الدراسات اللاهوتية والفلسفية وهما الجامعتان اللتان أصبحتا مثالاً يحتذى في الدراسات العامة studia generalia في إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا. هذه الملاحظات القصيرة فيما يتعلق بالتطور الذي طرأ على الثقافة الغربية يكفي لأغراض تقسيم

موضوعات هذا الفصل، فسوف نحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

أولا – ما المصير النهائي لمكتبات الأديرة؟

ثانيا – ما نوع المكتبات الذي استحدثته الطبقة الأرستقراطية ثم الطبقة المتوسطة؟

وأخيراً– كيف كانت الجامعات تغطي حاجاتها من الكتب؟

ففي ابرشية البندكتيين القديمة ضعفت مع مرور الوقت روح البحث العلمي والديني وبذلك ماتت الرغبة في جمع المخطوطات ونسخها. وحقيقة فإننا نلاحظ في كثير من الأحيان انحلالا تاماً للأديرة وتفككها وبذا أهملت المكتبات فيها ورهنت المخطوطات أو بيعت كلية مقابل أثمان بخسة. وكان لهذا صداه العميق في أحزان دانتيDante التي أطلقها عالية في القرن الثالث عشر الميلادي وفي كتابات ريتشارد دي بريRichard de bury في كتابهPhilobibluon في القرن الرابع عشر، وأخيرا في الوصف المؤثر الذي احتوته كتابات وأوصاف جماعة الانسيةHumanists في القرن الخامس عشر على الرغم من مبالغة هذا الوصف للمصير الذى آلت إليه هذه المكتبات وعلى الرغم من كل هذا يجب ألا نأخذ هذه الاتهامات ببساطة، بل دعنا نستعيد في أذهاننا مجموعات المخطوطات العظيمة التي كانت تقتنيها المؤسسات الدينية والأديرة حتى نهاية العصور الوسطى، وكتب التراتيل العظيمة التي حفظها لنا القرنان الرابع عشر والخامس عشر. لقد وصلتنا عن هذه الفترة بالذات تقارير تكشف عن إعادة تنظيم وبناء المكتبات كما تكشف لنا عن أسماء عدد من أمناء المكتبات المتحمسين من أمثال هنريش فون لجرزHeinrich von ligerz من اينزيدلنEinseiedeln الذي تستحق أعماله في هذا الصدد البحث والدراسة (١). ففي ألمانيا بصفة خاصة حض مجلس مقاطعة كونستانس على إصلاح الأديرة البندكتية، ومهما يكن من شيء فقد كانت نتيجة ذلك إحياء الرغبة في البحث مرة أخرى. وفي الجنوب أصبح دير ميلكMelk المثال الذي احتذته كل من النمسا بافريا وأسوابيا أما في وسط ألمانيا وشمالها فكان المثال هو دير كونغريغيشنCongregation في برسفيلدBrusfeld(٢) وكان قد انشئ في عام ١٤١٣م. وفي حالة هذه الأديرة التي امتدت إليها يد الإصلاح هناك مايشير إلى وجود مكتبات أعدت إعداداً طيباً وزودت بمجموعات من الكتب لا بأس بها.

ويجب ألا نغفل الطوائف الدينية الأخرى في هذا المجال فقد سمعنا على سبيل المثال عن وجود المكتبات لدى الكارثوزيينCarthusians والاوغسطينيين Augustiniansوسرعان ما تخلص

(١) Gabriel meier - Heinrich von ligerz, Biblibiothekar von Eiusiedeln im 14. johrhundert. leipzig, 1896.

(٢) دير جمعية الرهبان البندكتين الجدد.

الفرنسيسكان من كراهيتهم للكتب والدراسة فأقبلوا عليها . أما الأقليات الإنجليزية فقد كان لهم نشاط ثقافي ذو نتائج مثمرة. وكانت لهم مجموعات من الكتب القيمة في لندن وأكسفورد ولقد وصلنا سجل المكتبات الإنجليزيةRegistrum Librorum Angliae الذي يرجع إلى القرن الخامس عشر، وهو يشبه إلى حد كبير الفهرس الموحد ويشمل كتب ٨٥ مؤلفا في ١٦٠ مكتبة كنسية وقصد به أن يجيب عن أسئلة أعضاء منظمة الفرنسيسكان (١).. ولقد أقام الدومنيكان وهم المعروفون بالعمل على الصالح العام نظاما للتدريس الأكاديمي وانشأوا المكتبات من وجهة نظر عملية ولم يهتموا بالمظهر الخارجي للمخطوطات بقدر ما كان اهتمامهم بمحتويات هذه المخطوطات وهذا يعكس مبدأهم الأساسي بأن النفعية تسبق الفضول. ولقد وجدنا الأب همبرت دي رومانس Romonis de Humpert الاستاذ الخامس للطائفة (١٢٥٤ - ١٢٦٣م) يخصص قسما كاملاً في تعليماته الرسمية instruction officialium يوجهه إلى أمين المكتبة، الذي كان عليه إيجاد المكان الملائم ، والقيام بتصنيف عملي شامل للكتب ، وإعداد الفهارس ووضع علامات الرفوف على الكتب ووضع لائحة الإعارة والقيام بالجرد السنوي للمجموعة - وأخيراً بناء مجموعات المكتبة- ومنذ القرن الرابع عشر وردت في عدة فصول إشارات خاصة بمكتبات الأديرة ، وفي القرن التالي وضعت اللوائح المكتبية لكل الأديرة الدومنيكانية.

وقبل أن نجيب عن السؤال الثاني وجب أن نذكر كلمة عن المكتبات العربية في أسبانيا لأن هذه المكتبات قد أثرت على نحو ما في مكتبات الغرب المسيحي. وأن الرسالة التي حققها الإسلام بتوصيل الثقافة اليونانية والشرقية إلى أوروبا كثيرا ما يشار إليها . فقد كان جمع وتنمية ثقافة الشعوب المغلوبة جزءا أساسيا في رسالة العرب المنتصرين. ولهذا السبب كانت للكتب والكتابة أهمية خاصة ، وأنشئت المكتبات بكثرة لخدمة هذا الغرض ، ولسوء الحظ لم تلق هذه المكتبات القدر الكافي من الدراسة ولذلك سوف نتعرض هنا لبعض المعلومات القليلة في حرص وحذر.

لقد بدأ البزوغ العظيم للنشاط العلمي والأدبي في العالم الإسلامي حوالى نهاية القرن الثامن الميلادي. ولقد دفع هذا التطور صناعة الورق التي دخلت إلى العالم الإسلامي في ذلك الوقت في الشرق الأقصى، التي هيأت مادة رخيصة لإنتاج الكتب. ويبدو أن مكتبات الإمبراطورية الرومانية الشرقية كانت نموذجا احتذاه المسلمون في بناء مكتباتهم، فكثيرا ما

(١) See Norris, op. cit. 30-34

سمعنا ان هارون الرشيد أنشأ مكتبة في بغداد زودها بمخطوطات من بيزنطة وأماكن أخرى حصل عليها كجزية [1]. ولم يقل ابنه المأمون (ت٨٣٣م)عنه نشاطا في جمع المخطوطات، ويرجع إليه الفضل في دفع المشروع الحيوي لترجمة أمهات المؤلفات اليونانية والشرقية إلى اللغة العربية. ولم تقتصر المكتبات على بغداد فقد وجدت مكتبات أخرى في الكوفة والبصرة.

في الحقيقة لم تخل المساجد الكبيرة ولا الجامعات الاسلامية من مجموعات الكتب الخاصة بها كذلك تشير التقارير إلى وجود مكتبات مماثلة في بلاد فارس، فيذكر أحد الرحالة في نهاية القرن العاشر أنه شاهد مجموعات ضخمة من الكتب في قصر أحد الأمراء البويهيين في شيراز، كما يشير رحالة آخر في بداية القرن الثالث عشر إلى وجود ما يقرب من أثنتى عشرة مكتبة أنشئت في مدينة ميرف.

ولقد نافست هذه المكتبات مكتبات أخرى في الشرق الأدنى في شمال أفريقيا (في القاهرة والإسكندرية مثلا) وأكثر من هذا اسبانيا، ففي ظل الثقافة العربية وجد في شبه جزيرة أيبريا في تلك الحقبة المجيدة ما يقرب من سبعين مكتبة عامة، فقد اشتهر الخليفة الحكم الثالث - (ت١١٧) بمكتبته العظيمة التي انشأها وقدم إليها مكتبات أخيه وأبيه ووضعها في قصره في قرطبة، وجمع حوله العلماء والنساخين والمصورين وأرسل البعوث إلى الشرق الإسلامي بغية الحصول على مجموعات كاملة من المخطوطات التي جاءت هناك. وعلى الرغم من وجود بعض المبالغات في عدد المجلدات وحجم الفهارس وبناء المكتبات على وجه العموم، فإن هذا لا يمنع من أن تكون لدينا صورة واضحة عن طبيعة المؤسسات الاسلامية في الوقت الذي لم يعرف فيه الغرب المسيحي سوى مكتبات الأديرة .

لقد اشتهرت مدينة طليطلة Toledo بعد ذلك بكثرة عدد مكتباتها وخاصة بعدما أصبحت مركزاً لترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية . كما اشتهرت مدينة غرناطة Granada بعد ذلك بمكتباتهاالغنية. لقد انتشرت موجة حب الكتب بين الأرستقراطية الإسلامية وحتى الطبقة المتوسطة من المسلمين عرفت أيضا بحبها للكتب.

لقد كان لفردريك الثاني امبراطور هوهنزتاوفن Hohenstaufen صلات قوية بالعالم الاسلامي

(١) أنظر Ruth S.Machensen = Four great libraries of Medieval Bugdad. Library quarterly,II. 1932, 279, 299

وأنظر أيضاً الفضل الذي ساهم به S.K. padover

في كتاب T.W.Thompson The medieval Library

وكثيراً ما أمر بترجمة الآداب العربية. ومما لاشك فيه أنه كان يرمي من وراء ذلك إلى بناء مكتبة خاصة به . ومهما يكن من أمر فقد كان من أوائل الحكام الغربيين الذين كانت لهم مكتبة كبيرة والتي أوصى بها إلى جامعة بولونيا. أما عن الحاكم العظيم الثاني في القرن الثالث عشر والذي في عهده بلغت الثقافة الوسيطة في فرنسا أوج عظمتها فيذكر صاحب ترجمة لويس التاسع «أنه قد سمع عن سلطان عربي يجد في البحث عن جميع أنواع الكتب التي يحتاج إليها الفلاسفة العرب، فطلب إليه نسخها على نفقته الخاصة ووضعها في مكتبته لينتفع بها الباحثون كلما احتاجوا إلى ذلك [1]. وإلحاقاً بذلك وضع في حجرة المقدسات مجموعة من مؤلفات آباء الكنيسة التي كان يهتم بها وسمح بأن تكون في متناول من يرغب في استعمالها . يمكننا أن نقول بأن لويس هذا هو المؤسس الحقيقي للمكتبة الملكية Bibliotheque وإن كان الجزء الأكبر من فضل إنهائها يرجع إلى العالم فنست Vincent من بوفيهBeauvais كما أمر الملك بإنتاج بعض الأناجيل والمزامير الأنيقة وذلك بقصد وضعها لاستعمال الطبقات الفقيرة ممن لا يقدرون على الشراء. ومن هنا أيضاً نشأت طبقة المخرفين اليدويين Enlumineurs في باريس والتي انتظمت في نقابة جعلت من عاصمة فرنسا مركزاً أوروبيا لصناعة الكتاب.

وفي وصيته وزع لويس التاسع مكتبته على أربع هيئات دينية، ولم يبد خلفاؤه إلا قليلا من الاهتمام بجمع الكتب، ولم يأت التغيير إلا من بيت فالوا Valoi المحب للفنون في القرن الرابع عشر، فقدت ورث شارل الخامس Charles v عن أبيه قليلاً من الكتب عمل على إنمائها عن طريق الشراء، ولكن جزءاً كبيراً جاء عن طريق الإهداء وبهذا تجمع له ما يزيد على ٩٠٠ مخطوط وصفها كريستين دي بيسان Christine de Pisan بأنها «مكتبة نبيل .. تحتوي على أنفس المجلدات التي صنفها مؤلفون أجلاء في كل العلوم، وكتبت بخط جميل، وحليت بأحسن حلية (٢). وكان شارل نفسه فخوراً بهذه المجموعة، فوضع بخط يده على أكثر مجلداتها علامات تكشف عن ملكيته لها. ولقد أشبعت هذه المجموعة رغبته سواء لأغراض التسلية أو لأغراض القراءة الجادة إذ كان من بين هذه الكتب عدد كبير مترجم إلى الفرنسية، ومن بينها أيضا بعض مؤلفات

---

(١) "Audivit .... de quodam Sarracenorum Soldano quod omniaf librorum genera quae neces-saria esse poterant philophis Sarracenis dililgenter Faciebat inquiri Coptibs suis scribi et in armaiio suo, recond, ut litteroti eorum liborum sumptibus possent hobere, qnoties indiger-ent" Geobfroy de Beaulies = vita Ludovici Noni, xxii, (Recueil des historiens des Gouleset de la France, xx, 1840.15).

(٢) Lèapol Delisle= Recherches sur la librairie de chaetles v. paris, 1907.

أرسطو وأوغسطين. وفي عام ١٣٦٧/١٣٦٨م نقل الجزء الأكبر من هذه الذخائر إلى أحد أبراج اللوفر ووزع على ثلاث حجرات في حين ظل الجزء الباقي مشتتاً في قلاع عدة ولقد قام ماليه Mallet الذي نال الحظوة لدى لويس، بالإشراف على المكتبة، وقام بجرد مجموعاتها جرداً مفصلا للغاية. لقد كان الملك يعير كتبه للآخرين في سرور بالغ وكم كان يسعده أن يهدي بعضها ، وعلى الرغم من ذلك فقد بقي الجسم الأساسي للمجموعة سليما بل ربما زاد زيادة معقولة في عهد خلفاء شارل، وإن كان الاحتلال الانجليزي في القرن الخامس عشر قد عجل بزوالها (١).

وفي عهد شارل الخامس هذا انتشر بين طبقة النبلاء حب الكتب الفخمة، ولقد احتضن أبناء البيت الملكي على وجه الخصوص هذه الهواية. وكان أبرز حام لمزخر في الكتب وتجارها هو جون دوق بري duke john of Berry أخو شارل الخامس، والذي أنفق مبالغ طائلة واستخدم أحسن الفنانين، ولذا تعد مخطوطاته القوطية وكتبه الجذابة من أجمل ما أنتج المصورون المعاصرون. ونهج دوقات برغانديا Burgundy نهج أسرة فالوا في هذا التقليد حتى نهاية القرن الخامس عشر تقريباً. وقد أبدى الدوق الثالث فيليب الطيب philip the Good رغبته في أن يمتلك «أغنى وأنبل مكتبة في العالم la plus riche et noble librairie de monde فكان يعمل عنده باستمرار مجموعة كاملة من الكتاب والمترجمين والخطاطين والمزخرفين من بينهم الفنان المبدع متعدد المواهب أوبيرت Aubert ولقد حافظت المكتبة البرغاندية على شخصيتها طوال هذه الفترة . ولم تكن مؤثرات عصر النهضة القادمة من إيطاليا ذات تأثير محسوس، فنجد مثلا شارل الجسور الذي كان ينظر إليه كأبطال الأساطير القديمة لا يأبه بها .

وفي القرن الرابع عشر الميلادي كان يوجد في فرنسا مكتبة أخرى فخمة يملكها أحد الامراء، تلك هي مكتبة البابا في أفينيون Avignon، ولقد كشفت الدراسات الحديثة عن أهمية البلاط البابوي في النواحي الثقافية ، إذ اجتذب الدارسين والكتاب والفنانين وأرباب الحرف من كل البلاد المجاورة، ولقد سبق أن تكلمنا عن نشأة المكتبة البابوية في روما والتي كانت نهايتها مجهولة تماما إذ لم يبق من آثارها سوى قوائم الجرد التي وضعها بونيفاس الثامن Boniface VIII التي جمعت عام ١٢٩٥ وهي القوائم التي اشتملت على ما يقرب من ٥٠٠ مجلد من بينها أكثر من ٣٠ مخطوطة يونانية. وحين انتقلت البابوية إلى أفنون ظلت المكتبة في إيطاليا حيث لقيت مصيرها التخريبي. أما فضل بناء المكتبة الجديدة فيرجع إلى البابا جون الثاني والعشرين johnxxII(١٣١٦-١٣٣٤) الذي اشترى أعداداً هائلة من الكتب نماها خليفاه عن

(١) بيعت هذه المكتبة الى دوق بيدفورد في سنة ١٤٢٤ ونقلت إلى انجلترا

طريق النسخ. لقد كان هناك مصدر خصب لتزويد المكتبة بالمخطوطات ذلك هو حق استيلاء الدولة على إرث من لاوريث له the right of escheat ، وتبعاً لذلك فقد كان يؤول إلى الخزانة البابوية ما يخلفه رجل الدين من ممتلكات ومن بينها الكتب، وبهذه الطريقة ارتفع رصيد المكتبة من الكتب إلى ١٥٠٠ مجلد وكانت هذه المجلدات تتوزع بين فئات ثلاثة : المكتبة الأصلية، مكتبة البابا الخاصة، والمخزون ، وكتب هذه الفئة الأخيرة عزلت بقصد تزويد المؤسسات الدينية، ومن وجوه عدة كانت مكتبه البابا الخاصة تشبه في زخرفتها مكتبة شارل الخامس، وفي أفغنون كانت حركة الترجمة بسيطة والإقبال على القراءة قليلا، بعكس ما كانت عليه الحال في باريس فقد كانت مكتبة السوربون تغص بالمؤلفات اللاهوتية والفسفية – وسوف نتعرض لذلك تفصيلا فيما بعد– على أن مكتبة البابا من ناحية أخرى احتوت كثيراً من المؤلفات القانونية والدينية لإرضاء احتياجات البلاط البابوي.

وفي ذلك الوقت كانت براغ ، واقعة تحت تأثير كل من باريس افينيون فقد نجح شارل الرابع بمساعدة رئيس وزرائه جون فون نوماركت johann von Neumarkt أن يجعل بلاطه مركزاً حيا للفنون والعلوم. ولقد ظلت مدرسة براغ رائدة في مجال تحلية المخطوطات في أوروبا الوسطى حتى نهاية القرن الرابع عشر ولم يعدم كثير من الأمراء الألمان من أمثال لودفيج الثالثLudwig III (الأمير المنتخب)، اهتمامهم وحبهم للكتب، إلا أنهم عامة لم يرتفعوا إلى مستوى أندادهم الفرنسيين في هذا الصدد. وعلى العموم يمكننا أن نقرر أن ألمانيا قد فاقت جيرانها الغربيين في تطوير مكتبات المدن فيها.

وفي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ازداد نفوذ المدينة الألمانية وتبلورت شخصيتها، فشكلت الحياة العامة في ألمانيا في تلك الحقبة، ونشأ بذلك نوع جديد من كتب الطبقة المتوسطة ، جمعت بشغف عظيم. كما حدث حوالى عام ١٣٠٠ بالنسبة للشاعر هيجو فون تريمبرج Hugo von Trimberg مؤلف كتاب Der Renner والذي زادت مؤلفاته على المائتي كتاب. وقرب نهاية الفترة التي ندرسها نجد تقريباً في كل مدينة متوسطة الحجم أنواعا مختلفة من المكتبات لرجال الدين، والبلديات، والأطباء، ونظار المدارس وأيضا لبعض النبلاء وزوجاتهم. ولم يكن يملك الكتب الضرورية في مدارس البلديات التي بدأ إنشاؤها آنذاك سوى المدرسين لحاجتهم إليها. ومن جهة أخرى نصادف في كثير من الأماكن مكتبات البلديات التي قصد بها أن تخدم موظفي المدينة ومحاميها وأطبائها. ومعظم هذه المجموعات تكونت نتيجة لهدايا الأفراد ولم يمض وقت طويل حتى تحولت إلى مكتبات عامة من نوع ما على الرغم من عدم إمكانيه مقارنتها بتلك المكتبات العامة التي خلقتها النهضة الإيطالية والتي سنتحدث عنها في الفصل

التالي فنجد جون فون كير كدورف johann von Kr ichdorff في عام ١٣٩٩م يوقف منزله وكتبه لاستعمال سكان الزي ALzey كما تبعه في هذا السبيل راعي كنيسة أولم Ulm، نتهارت Nei-thart (المتوفى عام ١٤٣٩) فأوقف مكتبته ، وكانت آنذاك تحت إشراف أسرته للاستعمال العام وخصص لها مكاناً مستقلا قريبا من الكنيسة.

لقد قام النساخون بإغراق السوق بالمخطوطات بما سد حاجة الناس إلى القراءة وكان هؤلاء النساخون في بداية الأمر من رجال الدين وسرعان ما شاركهم العلمانيون في هذا العمل بل فاقوهم في هذا الشأن وفي خلال القرن الخامس عشر انتشرت تجارة الكتب أيضا في ألمانيا. فكانت الكتب تعرض للبيع على عوارض بالقرب من الكنيسة، كما كان المشترون يترددون على أسواق الكتب الكبيرة وخاصة سوق **فرانكفورت** (١). وفي جنوب ألمانيا قام ديبولت لاوبر Diebolt lauber في مدينة هاجناو Hagenat بمغامرة جريئة في إنتاج المخطوطات لم تلبث أن أصبحت على قدر كبير من الاهمية . وفي هولندا وشمالي ألمانيا قام « إخوان الحياة للجميع Brothers of theCommon life بإغراق السوق بالكتب، إذ كان مؤسسهم جير هارد جروت Gerhard Grood منذ البداية يوجههم نحو الاهتمام بالكتب فبدءوا أولا في إعداد مكتبات خاصة بهم ثم أخذوا بعد ذلك في إنتاج الكتب للبيع حسب الطلب لتغطية نفقات الخاصة . وكانت كتب التراتيل الكبيرة الغالية، وكتب العبادات الشعبية هي أول ما قاموا بإنتاجه وكان معظمها مكتوباً باللغة الألمانية، وكانت حجرة الكتابة في عهدة الناسخ Scripturarius الذي كان يشرف على المزخرف باللون الأحمر ru-bricator وكاتب الحروف المتداخلة ligator كما كان على عاتق أمين المكتبة librarius تقع مهمة الإشراف على المكتبة. وقد نصت اللوائح على تعليمات محددة لكل من هذه الوظائف.

لقد شغل الوراقون Stationari أنفسهم بإنتاج وتسويق الكتب العلمية فكانوا يتواجدون في معظم الجامعات، وأكبر عدد منهم كان يوجد في باريس مما جعل ريتشارد دي بري Richard de Bury يصف سوق الكتب هناك بأنه «الجنة الزاخرة بكتب الدنيا Virens viridarium universorum Voluminum لقد كانت تجارة الكتب لإمداد المدرسين والطلبة بالكتب الضرورية للكليات أو قاعات الطلبة، تلك المعاهد ذات الصبغة نصف الدينية والتي أسست في معظم الجامعات على شاكلة المعاهد الدينية التي أقامها الفرنسيسكان والدومنيكان.

---

(١) انظر المقدمة التاريخية التي كتبها ج. و. طومسون في معرض فرانكفورت للكتب, Frankfort Book Fair Chicago, 1991.

وهو ترجمة لكتاب: Henri Estienne = Francofordiense Emporium

وفي باريس كانت تخضع لرقابة صارمة من جانب السلطات الجامعية. ومن ناحية أخرى – وهذا يقودنا إلى سؤالنا الثالث – لم تشغل هذه السلطات نفسها بإقامة مكتبة جامعية، وذلك أن جامعة باريس شأنه شأنا كل الجامعات المبكرة لم تتقدم دفعة واحدة بل كان نموها بخطى وئيدة كبقية المعاهد التربوية المختلفة (١).

وحوالي عام ١٤٥٠م أسس روبرت دي سوربون Robert de Sorbonne راعي كنيسة لويس التاسع، الكلية التي حملت اسمه والتي أصبحت الآن أشهر من أن تذكر، وأهدى إليها مكتبته الخاصة وتدفقت عليها الهدايا بعد ذلك في سرعة هائلة وأعداد كبيرة مما جعل مكتبة السوربون تفوق إلى حد كبير المكتبات الأخرى في جامعة باريس وكانت الهدايا التي تأتي إليها لا تقل عن مائة مجلد وأحيانا تصل إلى الثلاثمائة مجلد، وكان من بين المتبرعين ألمان وانكليز وإيطاليون وأسبان. وجرت عادة بعض المؤلفين على أن يودعوا أصول مؤلفاتهم في مكتبة السوربون. أما المال اللازم لشراء المخطوطات فكان من الممكن الحصول عليه من الأوقاف التي كانت توقف على المكتبة أو من بيع النسخ المكررة. وفي عام ١٢٩٠ بلغ رصيد المكتبة أكثر من ألف مجلد، ، وفي عام ١٣٣٨م قفز هذا الرصيد إلى أكثر من ألف وسبعمائة مجلد، وكانت كتب اللاهوت والفلسفة تشكل القسم الرئيسي من هذه المجموعة. وكان أصدقاء الكلية يحملون مفاتيح المكتبة لاستعمالها إن شاءوا في حين كان لا يسمح لباقي الأعضاء بالجامعة بالدخول إليها إلا بشروط خاصة. على حين كان الغرباء في حاجة إلى من يصحبهم إلى المكتبة. ولقد قسمت المكتبة إلى قسمين الكبير magna؛ والصغير parva وفي القسم الأول كانت توضع المخطوطات مربوطة على ستة وعشرين درجا لاستعمالها داخليا فقط. واحتوى القسم الثاني على المخطوطات المكررة والمواد التي لاتستعمل إلا نادراً وكانت هذه المواد غالباً ما تعار للخارج ولفترات طويلة نسبياً نظير رهن كان في الأعم الأغلب عبارة عن كتاب آخر. وكانت الوظائف الإدارية المتعددة تتوزع بين أصدقاء الجامعة. وبالإضافة الى السوربون أنشئ في باريس حتى نهاية العصور الوسطى ما يقرب من خمسين كلية، وكان لكل منها مكتبتها الخاصة كبرت أم صغرت.

ولم يختلف تنظيم هذه المكتبات أساساً عن تنظيم مكتبات الكنائس والأديرة وحتى قاعات الكلية أنشئت على نمط هذه المكتبات الكنسية. ولكننا بمقارنة هذه المكتبات الكنسية. بمكتبات العصر السابق نجد أنها كانت تتجه أساساً إلى خدمة المعرفة ومعاهد الدراسة بطريقة عملية أكثر من ذي قبل. ولذا نجد الدراسات الأكاديمية بالجامعة، والتي لعب الدومنيكان دوراً كبيراً

(١) انظر العمل الذي انجزه: Rashdall and Schachner, op. cit

فيها، تفرض نوعا أفضل من التنظيم لهذه المجموعات ، وقد ربط هذا التنظيم بنظام التدريس الفعلي في الكليات والمعاهد التي تطورت كثيراً عما كانت عليه في العصور الماضية وذلك على يد كاسيودورس Cassiodorus و إزدور Isidor حتى الكوين Alcuinورابانوس ماوروس Rabonus Maurus, هذا التطور الذي كان وليد الظروف في القرن الثالث عشر وكشف عنه عرضياً في طريقة تصنيف الكتب رسخ الآن كمبدأ أساسي. ولم يكن أمناء المكتبات جامدين يطبقون الخطة الموضوعة بحذافيرها بل كانوا يعدلونها حسب الظروف ، فيضيفون أقساماً جديدة إذا اقتضى نمو المجموعة ذلك . وكانت الأقسام المختلفة كقاعدة، توضع متساوية الرتب قسما بعد آخر ولم تكن تقسم إلى شعب تتبعها أقسام وفروع وهو النظام الذي عرف لأول مرة في القرن السابع عشر تقريباً.

ومن الصعب أن نصل إلى نتيجة عامة فيما يتعلق بطريقة حفظ المخطوطات، وذلك لوجود اختلافات بينة بين بلد وآخر وطائفة وأخرى . كما أن الإشارات إلى هذا الموضوع من الغموض وعدم الدقة بحيث تفهم . وعلى الرغم من وصول كثير من مكتبات الكنائس والكليات إلينا، فإن ترتيبها قد تغير عما كانت عليه كلية، وكل ما أملك أن أقوله هو : إنه بالإضافة إلى الطريقة القديمة التي قضت بوضع المخطوطات في خزانات ،بدأ في أواخر العصور الوسطى نظام جديد يقضي بوضع المخطوطات على أدراج lectern System الذي يبدو أنه أخذ ينتشر أكثر وأكثر، وتبعاً لهذا النظام كانت المكتبة تشتمل على صف من المناضد لكل منها عدد من الرفوف توضع عليها الكتب مربوطة إلى قضبان حديدية (١) وكانت هذه المناضد والرفوف والمخطوطات تأخذ علامات معينة بالحروف أو الأرقام (كل منضدة بما عليها من رفوف ومخطوطات تأخذعلامة واحدة) وبجانب هذا كانت الكليات تتمايز في الألوان، وكانت قائمةالجرد تشبه إلى حد كبير قائمة الرفوف، كما كان يوجد بجانبها في بعض الأحيان كشافات هجائية وحينما تكون هذه القائمة مكتملة البيانات الوصفية وكان المجلد الواحد يشتمل على بيانات عن عناوين المؤلفات ، والاستهلال والختام، وعلامة الطابع ومصدر المخطوطة وثمنها، وفي بعض الأحيان كان يضاف إلى ذلك نوع الخط وطريقة الصناعة بصفة عامة.

وكان يوجد في جامعات إيطاليا - بطبيعة الحال - كما كان بجامعة بولونيا مكتبات لم تكن

---

(١) من أجل دراسة مفصلةوإيضاحات جيدة انظر :

B. H. Streeter = The Chained Libnary. bibrary. London, 1931.

على قدر كبير من الأهمية ، ربما لأن الوراقين أقاموا نظاماً للاعارة واسع النطاق. وكان الأمر يختلف عن ذلك في ألمانيا، فقد أسس شارل الرابع عام ١٣٦٦ في براغ أقدم جامعة «الجامعة الكارولينية Collegium Carolinum ، وأمدها بكميات كبيرة من الكتب. وعندما أنشئت كلية الأمة البوهيمية بعد هذا التاريخ ألحقت بها مكتبة لا بأس بها، ووجدت أيضاً مكتبات مشابهة في قاعات الكلية في الجامعات الأخرى المعاصرة، ومن بين هذه الأعداد نذكر بصفة خاصة مكتبة المعهد الذي أسسه أمبلنيوس من ايرفورت Amplonius of Erfurt (المتوفي ١٤٣٤/١٤٣٥) الذي كان عالما وجامعا ممتازاً للمخطوطات، وقد بقيت مخطوطاته إلى اليوم تعتبر أنفس مقتنيات المكتبة هناك، ولو أن الأمور في ألمانيا سارت سيرتها في فرنسا لأحرز الألمان قصب السبق في إنشاء مكتبات الكليات، كما حدث حين أنشأوا في وقت مبكر كلية الآداب ، وكان ذلك أولا في يلبرج Heidelberg سنة ١٣٨٦ ، وبعد هذا التاريخ مباشرة أنشئت مكتبة عامة واحدة لكل الكليات.

وفي إنجلترا مهد توماس كوبهان Cobhan Thomas ، أسقف ووستر Worcester الطريق لإنشاء مكتبة عامة للجامعة في أكسفورد في تاريخ مبكر هو عام ١٣٢٧ . ولكن نظراً لوجود بعض الصعوبات لم تبدأ هذه المكتبة الجامعية عملها رسميا إلا ابتداء من سنه ١٤١٢ . لقد وصلتنا عدة تقارير عن وجود مكتبة عامة للجامعة في كمبردج منذ بداية القرن الخامس عشر، ومن ناحية أخرى كانت هناك مكتبات لبعض الطوائف الدينية والكليات التي يعتبر إنشاؤها مبكراً إلى حد ما .

لقد قام ريتشارد دي بريRichard de Bury(المتوفى ١٣٤٥) بتخطيط الجزء الأكبر من مشروع اكسفورد بالرغم من عدم تحقيقه على أيامه. لقد كان ريتشارد هذا المعلم الخاص لإدوارد الثالث Edward III وأخيراً توصل إلى منصب أسقف دورهام Durham وقاضي قضاة انجلترا، وقام بعدة رحلات إلى القارة الأوروبية على رأس بعثات دبلوماسية هامة، ولا يعتبر دي بري أحد الباحثين المتازين فحسب، بل إنه يعد أيضا أحد محبي الكتب المخلصين في أيامه، فجمع حوله - كأمراء فرنسا - المزخرفين والنساخ، والمراجعين والمجلدين، وتعامل مع بائعي الكتب في فرنسا وألمانيا وإيطاليا، وأنفق المال بسخاء مدهش كلما زار سوق الكتب في باريس، وللرد على كثرة ما وجه إليه من هجوم بسبب حبه للكتب ألف كتابه philobiblion الذي يقرأ حتى اليوم بلذة فائقة. فهو يضمن هذا الكتاب نشيداً عذباً في مدح الكتاب، فعلي من قدره بوصفه منبع الصاق الأبدي ونور النفس الصادقة وسلاح الله يمنحه للقضاء على الهراطقة. وعنصر التشويق في هذا الكتاب إنما يتأتى من أنه تضمن نظرية مكتبية في غاية الأهمية ليست مسوح العصور الوسطى، وفوق كل ذلك يحمل هذا الكتاب تصويراً دقيقاً لشخصية مؤلفه ونشاطه الدائب في جمع المخطوطات.

عصر النهضة

انتهينا بالحديث في الفصل السابق عن ريتشارد دي بري، أما في هذا الفصل فنبدأ بالحديث عن بترارك petrarchs، وعلى الرغم من أنه كان أصغر قليلا من دي بري الرجل الإنجليزي وذا صلة شخصية به، فإنه كان ينتمي إلى ثقافة مختلفة تماما. فبينما كان دي بري ينتمي إلى جماعة الكلاميين scholasticism ، كان بترارك مؤسسا لجماعة الإنسانيين Humanism الإيطالية.

لقد أدار بترارك ظهره للعصر الوسيط وولى وجهه شطر الآداب الكلاسيكية التي لم ير فيها ماضيا ميتا – كما رأى معاصروه – بل رأى فيها حاضراً حياً. ويعزى إلى شيشرون هذا التأثير في إنتاج بترارك الأدبي وسلوكه هذا المسلك. فقد تملكه حب وشغف كبير للمؤلفين الكلاسيكيين . ولكي ينهل من مؤلفاتهم تمسك بكل الذرائع التي توصله إلى غرضه، ومن بينها الرحلات الواسعة، واتصالاته الشخصية الكثيرة. وكانت المخطوطات التي يتعذر عليه اقتناؤها بالشراء أو الإهداء يقوم بنفسه على نسخها، وهكذا كان يدرس المواد التي يجمعها في أناة ودقة ويكتب ملاحظاته في هوامشها، نجد في كتابه De remediis Utriusqus fortunae (١)، حواراً كاملا يدور حول عقم تجميع الكتب دون الانتفاع بها. وكان يعلق أهمية كبيرة على عنصر الجمال في صناعة المخطوط كما كان وضوح النص عنده أعظم أهمية مما عداه، وكان خدمه يحرسون المكتبة حراستهم للمنار المقدس، كما أنه كان يقوم بنفسه بالعناية بكتبها، كما لو كانت أصدقاء جديرين بالرعاية، فالكتب كما كتب ذات مرة «تشيع البهجة في نفوسنا، تحادثنا، تواسينا وهي مشدودة إلينا أينما كانت برباط وثيق »(٢). وذات صباح وجدوه ميتاً ورأسه ملقى على دفتي كتاب مفتوح كان يطالعه.

فبترارك – كما نرى – قد خلق نموذجاً للمكتبات الخاصة بقي محتذياً حتى عصر مكيافلي

---

(١) ليس هناك ترجمة بالإنجليزية كاملة لهذا المؤلف سوى ترجمة متقدمة هي:

Thomas Wyne = phisicke againse, fortune, as Well prosperous as advere London, 1579.

(٢) Libri medullitus delectant. colliquuntur, consulunt et vivaqn and aminobis atque arguta familiaritate iunguntur. Letter to Giovanni d`Incisa. See pettarca- la Familiare, ed . vittorio Rossi. Florence 1932, 1941.1 139.

Machiavelli، ولم يفقد تأثيره كلية بعد [1]. وفي نفس الوقت كان بترارك قد تشبع بالمعرفة عن المكتبات القديمة، فبدأ يخطط لمكتبة عامة كبيرة، ففي عام ١٣٦٢ أوقف مجموعة كتبه الخاصة على بازلكا سانت مارك في مدينة البندقية، عسى أن يجد فيها الأذكياء والنبلاء بعض مايشيع في نفوسهم البهجة [2]، وأعرب عن أمله في أن تقوم حكومة البندقية على رعاية وإنماء هذه المجموعة بطريقة تجعلها تضارع المكتبات القديمة، بالطبع لم تنفذ خطته ولكنها على أي حال مهدت الطريق للأجيال التي تلت.

وسار بوكاتشيو Baccaccio على منوال بترارك أستاذه وسيده ، فأصبح - بتأثير بترارك صياداً ناجحاً لا يتعب للحصول على المخطوطات ويذكر لنا بالمبالغة التي عرف بها الإنسانيون المتأخرون أنه صادف أثناء زيارته لمونت كاسينو مكتبة محترمة في حالة يرثى لها من الإهمال. ومثل هذا الحماس نجده عند سالوتاتي Salutati، قاضي قضاة فلورنسا، وكان يصغر بوكاتشيو بعشرين عاما. وكان يجد في البحث - شأن كثير من الدارسين في القرن الذي تلا - عن مخطوطة ليفي livy التي زعم أنها مخبوءة في مكان ما بأقصى الشمال. وكان حب الكتب في هذه الفترة يتخذ أحيانا أشكالا عجيبة مما عرضه لازدراء العامة واحتقارها. ومهما يكن من أمر فإن هذه الأفكار الجديدة والرغبات الطموحة التي تولدت في القرن الرابع عشر لم تؤثر إلا على قليل من الشخصيات، ولم يوجد من يستغلها على نطاق واسع إلا في القرن الخامس عشر، فما كان سابقا مجرد خطة أصبح الآن - في القرن الخامس عشر - حقيقة واقعة.

وكانت فلورنسا بفضل كازيمو دي مديتشي أهم مركز للأعمال الثقافية الفذة التي ندين بها للقرن الخامس عشر، ونحن لا نستطيع أن نقول بأنه خلق حاشية موسوية على شواطئ نهر أرنو Arno، ولكننا نعتبره وليها بأنبل ما تحمله الكلمة من معنى، فكان وزيره الأديب نيقولا Nic-coli معروفا برسالته عن «ضبط الهجاء» orthography ومجهوداته في تطوير خط النهضة الجديدة، وعرف فوق هذا كله بالجمع الدقيق المنظم للمخطوطات، فقد نمى مجموعة مكتبته الخاصة إلى ٨٠٠ مجلد، وكان كلما استنفد ماله سارع كازيمو الى مساعدته. ولقد وصف أحد

---

(١) تجد وصفا لإحدى المكتبات الخاصة العظيمة في القرن الخامس عشر في كتاب:
pearl kibro = the library of pico della Mirondola .N.Y. 1936.

(٢) Ad ingeniosorum et nobilium quos continget in talibus delecatari consoltionem. in p.
Nolhac = Petrarque et, L' humanisme. new edition paris, 1907. 1, 164.

المؤرخين المحدثين نيقولا هذا بأنه «قائمة تجارية » (١) بكل ما يتعلق بالمكتبات والكتب من أخبار. وكان يرسل وكلاءه في كل مكان بحثا عن المؤلفات الكلاسيكية، وفي هذا المشروع كان يستغل قوافل تجارة آل مديتشي إلى أبعد حد، ولقد وصلنا أحد أوامره بالبحث الدقيق عن المخطوطات في الأديرة الألمانية.

ولم ينفذ أحد أعمال ومهام نيقولا برغبة وحماس أكثر من بودجو Boggie فمن مجلس كونستانس constance الذي ذهب إليه كسكرتير بابوي قام بزيارة الأديرة الألمانية والفرنسية وخاصة ديري سانت غال وكلوني. وجرياً على العادة أرسل شكواه المرة ناعياً الحالة التي تدهورت إليها المكتبات في تلك البقاع، وأعلن أن من واجبه تحرير تلك الذخائر من قيودها، ولما لم يستطع أن يفعل شيئاً آخر سوى أن ينسخ المخطوطات، وعندما مل ذلك آثر أن ينقذها عن طريق سرقتها تحت عباءته، ومن شاء أن يأخذ فكرة طيبة وتاريخية وإن لم تكن كاملة ودقيقة عن نشاطه في هذا المضمار فليقرأ القصة الطريفة التي كتبها س. ف. ميير C.F.Meyer بعنوان Plautus im Nonnenkloster (٢) . ويجب أن نؤكد هنا أن بودجو وزملاءه هم الذين جمعوا الجزء الأكبر من المخطوطات الكلاسيكية اللاتينية التي استفادت منها الأجيال اللاحقة الشيء الكثير .

ولم يقل عن هذا أهمية الجزء الثاني من مشروع جماعة الإنسانيين الذي رمى إلى إنقاذ آثار الإغريق الأدبية بعد سقوط الامبراطورية البيزنطية، ففي البداية حمل المهاجرون من الشرق معهم ما أمكنهم من المخطوطات، ولكن الإيطاليين، الذين يدفعهم تعطشهم إلى المعرفة وحبهم إلى المغامرة، أسرعوا إلى هناك يبحثون عن المخطوطات. وكما كان بودجو يعمل في الشمال، كان أوريسبا Aurispaينقب هنا– في الإمبراطورية البيزنطية – عن المخطوطات في العقود الأولى من القرن الخامس عشر ويقول عن نفسه :«أذكر أنني تنازلت عن ملابسي لليونانيين في القسطنطينية مقابل الحصول على المخطوطات، ولم أستشعر من ذلك خجلا ولا ندماً»(٣). وكان كثير من نبلاء فينسيا مثل جوستنيا يجدون لذة فائقة في اكتشاف المخطوطات وكان طبيعياً أن

(١) الكلمة الالمانية لهذه الترجمة هي "Borsenblott"وهي مجلة تجارة الكتاب الألماني وقد ترجمها بيس إلى "trade list ". ثم ترجمناها نحن الى قائمة تجارية تبعاً للترجمة الانجليزية (المترجم).

(٢) ترجمت إلى الإنجليزية بعنوان "Plautus in the Convent " ضمن مجموعة-Germam dassics of the nine-teeth century ed. by kuno francke.

(٣) "Mèmini Constantinpoli Graeculis illis vestimenta dedisse ut codices acciperem, cuius rei nec pudet nec poenitat" Carteggio di Giovanni Aurispa = a cura Remigio Sobbadini Rome, 1931. 91.

تكون مدينة القنوات – فينسيا – بحكم علاقاتها بالشرق هي نقطة البدء بمثل هذه البعثات. وسرعان ما تحولت إلى مركز هام لتجارة المخطوطات اليونانية.

ولم يخفت هذا الحماس لجمع المخطوطات طوال القرن الخامس عشر، بل استمر حتى أيام لورنزو المديتشي Lorenzo وبوليتزيانو Poliziano، وفي نهاية هذا القرن أحدثت إعادة اكتشاف المخطوطات القديمة في بوبيو Bobbioأثرها في أحاسيس الناس بحيث عبر أحد الإيطاليين عن هذا بقوله «لقد انتهى عصر الاكتشاف البطولي»(١). ولم يلبث أن اكتشفت القيمة الكاملة لهذه الذخائر التي تجمعت مما أدى إلى خلق دافع قوي – خلال القرن الخامس عشر– إلى دراستها من الناحيتين الفيلولوجية والتاريخية ، حيث قام بالجزء الاعظم من هذه الدراسة عدد كبير من جماعة الأنسية من بينهم مفكرون عظام من أمثال بروني Bruni، فالا Valla وبيوندو Biondo .

وفي ذلك الوقت أيضاً تحقق مشروع بترارك الذي أثاره سالوتاتي بعد موته، والذي رمى إلى إنشاء مكتبة عامة كبيرة، فقد أوقف نيقولا في عام ١٤٣٠ مخطوطاته التي خلفها بعد موته «لاستعمال كل الناس « in publicaacommune utilitadi ognuno»، وأوجد لها كاسيمو مكاناً ممتازاً في دير سانت مارك قام على تشييده بنفسه، كما فعل ذلك بالنسبة لكثير من المؤسسات الدينية ، على أنه لم ينس أن ينشئ مكتبة خاصة به، كانت نواتها مكتبة أخرى هي مكتبة لاورنت Laurent والتي عمل حفيده لورنزو على تنميتها، وساعده في ذلك بولينز يانو – الذي سبق ذكره– ثم لاسكاريس الإغريقي the Greek - Lascaris الذي قام برحلتين متباعدتين إلى الشرق لهذا الغرض.

وبعد فينسيا (البندقية) كانت فلورنسا أعظم سوق لبيع المخطوطات الكلاسيكية ، وقد اتخذ تجار المخطوطات وموظفوهم مكاناً لنشاطهم أطلق عليه شارع تجار المخطوطات via degli li-broi ، ومن هؤلاء التجار تاجر اسمه فزباسيانودا بستيشيVespasifano da Bisticc الذي كان متجره ملتقى المهتمين بهذه الشئون . وكانت لديه معرفة واسعة بالكتب وجمع مخطوطاته من قريب ومن بعيد ليرضي عملاءه من النبلاء. ويذكر أنه استخدم ٤٥ نساخاً لينسخ مائتي مجلد في ٢٢ شهراً طلبها منه كاسيمو، وكان بستيشي يقوم بنفسه على تصحيح النصوص ما أمكن ، وراعى في مواد الكتابة: من خط وصور وحلية وتجليد أن ترضي ذوق عصر النهضة ما أمكن.

وكان فردريك من مونتفلترو دوق أوربينو – Frederick Montefeltro Duke of Urbino من أهم وأحسن عملائه. ويبدو أنه أنفق ما يقرب من ٣٠,٠٠٠ دوكات Ducat في بناء مجموعة مكتبته

(١) R, Sabbadini = Le scoperte dei Codici latini egrci ne secoli xiv exv1,164.

الخاصة، كما استخدم ٣٠-٤٠ نساخا قاموا على نسخ المخطوطات بها، واختار لهذه المجموعة النفيسة من المخطوطات عدة حجرات في قلعته التي كان قد أنشأها حديثاً. ولم يدخر فردريك وسعاً في أن يبلغ بمكتبته ما أمكنه من مراتب الكمال بحيث ضمنها كل فروع المعرفة، وكان يأمر بإحضار فهارس المكتبات الأجنبية حتى من مكتبة أكسفوردو يقارنها بمجموعاته، ويقوم بملء الفجوات فيها. لقد قصد بهذه المكتبة أن تخدم أغراض الدراسة والبحث، ويبدو ذلك واضحاً ليس فقط في تصميم الصالة التي صممت بحيث تسمح بأقصى قدر ممكن من الضوء، بل يبدو ذلك أيضاً من الإرشادات الموجهة إلى الأمين والتي وصلت إلينا شاهدة على ذلك. لقد كان فردريك يتطلب في أمين مكتبته أن يكون « متعلماً، حسن المظهر، على خلق، يجيد إجادة تامة لغة الكتابة واللغة العامية » (١). مما يساعده على حفظ نظام المكتبة وإعداد الفهارس، وحماية المجموعات من كل ضرر، وعليه وضع التسهيلات الممكنة أمام كل من يرغب في الانتفاع بها، وعليه في النهاية أن يحتفظ بسجل مفصل بكل الاستعارات.

وكانت تأتي إلى بستيشي في فلورنسا طلبات من البلاد الأجنبية أيضا، على سبيل المثال من ملك هنغاريا ماتياس كورفينوس Matthias Corvinas الذي تزوج أميرة من نابولي، وبذا قوى الروابط بين هنغاريا وإيطاليا. كما اجتذب إلى بلاطه عدداً من الباحثين ورجال الأدب والفنانين وأصحاب الحرف الايطاليين وقصد من وراء ذلك أن يجعل من هنغاريا إيطاليا أخرى Ponnonian alteran Italiam reddere على حد تعبير معاصريه ممن كتبوا عنه بعد وفاته. ولهذا السبب أثبتت مكتبته تفوقها في وجوه كثيرة على المكتبة الإيطاليه سواء من الناحية العلمية أو الفنية. وبعد موت كورفينوس في عام ١٤٩٠ تبددت مجموعته في بودا Budaشذر مذر حتى أننا نجدها الآن بين نفائس كثيرة من المكتبات الأوروبية الحديثة (٢). ولقد وجدت مكتبات أخرى مماثلة لمكتبات فلورنسا وأوربينو في بلاط كثير من النبلاء الإيطاليين في القرن الخامس عشر، في نابولي، وبافيا فيرارا وفينسيا (البندقية) على سبيل المثال. وكان حكام أرغون Argonفي نابولي من المتحمسين للثقافة الجديدة، ولذا اهتموا بالكتب والمكتبات اهتماماً خاصا. وكان هذا الحال مختلفاً عن الفيسكونت viscontiوالاسفورزيين Sforza الذين أضافوا بالتأكيد إلى مكتبة بافيا

(١) = "docto, de bono aspecto, de bonea natura et bona et expedita lingua" C. Stornajola Codices Urbinates Graeci bibliothecae Vaticanae. Rome, 1895, praef. xx.

(٢) من أجل نبذة تاريخية عن المكتبة انظر:
Geza Schütz "bibliatheca Corvina " library quarterly , iv 1934. 552, 564.

جزءاً من أسلاب الحرب ، ولكنهم اعتبروها أساساً جزءاًمتمماً لرونق بلاطهم.

أما مكتبة فيرارا فقد كانت ذات شخصية متميزة، وكانت أسرة است Esteالحاكمة هناك متمسكة بتقاليد الفروسية مع الثقافة الشائعة في عصر النهضة وانعكس هذا على طبيعة مكتبتهم، التي كانت تحتوي أيضاً على مجموعة من المخطوطات الفرنسية. وأخيراً فيما يتعلق بمكتبة سانت مارك Bibliotheca Marciana في فينسيا ، فيرجع الفضل في إنشائها إلى بساريون Bessarionالإغريقي الذي وصل الى مرتبة كاردينال ، وأصبح بؤرة عصر النهضة، وقد قام في عام ١٤٦٨ بإهداء مجموعته الثمينة التي تتكون أساساً من مخطوطات إغريقية إلى مدينة القنوات « حلقة الاتصال الطبيعية بين الشرق والغرب » وفتحت مكتبة سانت مارك أبوابها لاستعمال الناس على نطاق واسع ، إلا أنها بقيت حتى العقد الخامس من القرن السادس عشر تفتقر إلى مكان ملائم حتى نقلت إلى القصر الفخم الذي أنشأه سانسوفينوSansovino.

لقد كانت مكتبة الفاتيكان أهم وأكبر مكتبة على الإطلاق شهدها القرن الخامس عشر. وقد أنشئت أول ما أنشئت في أڤينون نتيجة لحماس البابوات واجتهادهم في جمع المخطوطات لها، إلا أنه قد قضي عليها خلال الانقسام الديني الذي حدث هناك. وعند عودتهم إلى روما كان على الأخبار العظام أن يبدءوا من جديد ، ففي حوالى عام ١٤٣٢ سجل فرد من جماعة الانسانيين عقب زيارته لمكتبة الڤاتيكان «لم أجد شيئاً على الإطلاق يستحق الذكرnihil omnino memoria ويعتبر نيقولا الخامس (١٤٤٧ – ١٤٥٠) المؤسس الحقيقي للمكتبة البابوية الجديدة. وهو الذي بدأ حياته قسيساً متواضعاً (متعطشاً إلى الكتب Cert inesplicobile setedi libiوخاصة المؤلفات الإغريقية، والتي بسببها غرق في ديون لا آخرلها . وقد اكتسب مثل صديقه بستيشي خبرة واسعة في شؤون الكتب والمكتبات. ولذا عهد إليه كاسيمو بوضع لائحة تنظيم العمل في المكتبات الكبيرة، وهذه اللائحة التي وضعها استخدمت كمثال يحتذى به في تنظيم الأعمال في مكتبة أورينو وكثير من المكتبات الأخرى(١).

وكان نيقولا - أعظم محب للكتب - من بين البابوات الذين اعتلوا العرش في روما . ولقد تسلم ممن سبقوه قرابة ٣٥٠ مخطوطاً أضاف إليها مكتبته الخاصة. وبعد العيد الخمسيني في عام ١٤٥٠ وقعت في يده مبالغ كبيرة من المال فأرسل البعوث في كل مكان حتى اسكنديناوة والأماكن القصية من الشرق بحثاً عن المؤلفات الكلاسيكية وبمساعدة أمين مكتبته تورتللي Tortelli وضع خطة لترجمة جميع الآداب اليونانية إلى اللغة اللاتينية، ولتنفيذ هذه الخطة جمع حوله حشداً هائلاً من الدارسين والنساخين، وعاد إلى روما سابق مجدها، وأصبحت مرة أخرى مركز العلم والثقافة في العالم، وكان إنشاء «مكتبة كبيرة وواسعة تصلح لأن يستعملها رجل العلم جزءا من برنامج البناء الذي رمى إلى إعادة تنظيم حي ليونين Leonine وكان نيقولا يأمل من وراء ذلك أن يقترن اسمه في هذا المجال ببطليموس (مؤسس مكتبة الإسكندرية) وتراجانTrajan (امبراطور روما في الفترة من ٩٨ - ١١٧م) الذى عرف بحبه للعلم والعلماء اشتهر بحب الشعب له) إلا أن موته المبكر قضى على كل المشروعات التي كان يرمي إلى تنفيذها . وعلى الرغم من ذلك فقد خلف ما يقرب من ٨٠٠ مخطوط لاتيني، وما يربو على ٤٠٠ مخطوط يوناني، وهي المجموعة التي تكونت منها الفاتيكان التي احتلت المكانة الأولى بين مكتبات إيطاليا .

وواصل سكستوس الرابع Sixtus(١٤٧١ - ١٤٨٤) مشروع نيقولا وأتمه على نحو ما . ولم يباشر بنفسه تنفيذ هذا المشروع، بل عن طريق رصد الأموال واختيار الأمير بلاتينا Platin الذي كان عضواً في جماعة الإنسانيين مما أوصله إلى الغاية المنشودة حتى قفز عدد المجلدات

(١) « عندما أراد كاسيمو المديتشي أن يمد دير سانت مارك في فلورنسا الذي بناه بمكتبة عول على خبير الكتب المشهو آنذاك توماس دي سارزانا Tomas de Sarzana ليعد له فهرساً يعتمد عليه في مشترياته واختيار الكتب. وأصبح توماس نفسه البابا فيما بعد، فانتشر فهرسه شرقاً وغرباً تحت عنوان:

The Inventory of pope Nicholas v, Which he, composed at the request of Casimo de Midici.

وقد اتخذ هذا الفهرس بجماله وترتيبه نموذجاً يحتذى عند إنشاء المكتبات الجديدة، وهذا الفهرس يبدأ بالكتاب المقدس كأشمل وأهم كتاب في اللاهوت يتلوه مؤلفات آباء الكنيسة، ويلي مؤلفي اللاهوت - كقسم ثان - الفلاسفة ويأتي أرسطو في بدايتهم. وتشكل العلوم الانسانية القسم الثالث ، ويحتل الشعراء القدامى فيه المكان الرئيسي. أما القسم الرابع وهو الشريعة، فهو مفقود للأسف من النسخة التي وصلت الينا . ولكن كما رأينا من الوصف السابق لمكتبة أوربينو التي رتبت تبعاً لهذا الفهرس ، يتضح أن هذا القسم - الشريعة - كان موجوداً في الفهرس الأصلي ».

Fronz Wickhoff = " die bibliothek julius 11" jahrbuch der preussischen kunstsammlungen xlv, 1893 53 - 54.

G. Stforza = Lapatria , jafamiglia. ele giainezza di Mapa Niccola v. Lucca 1884. appendixA

بمكتبة الفاتيكان إلى ٣٥٠٠ وأعدت لها حجرات فخمة صمم ديكوراتها أحسن الفنانين آنذاك ، وانقسمت المكتبة إلى قسمين: مكتبة عامة انقسمت بدورها إلى قسم لاتيني وقسم يوناني، ومكتبة الحفظ وقصد بها أن تخصص لحماية الكتب النادرة. وكان أمين المكتبة تفتح أبوابها للعامة، ولم تكن هناك صعوبات تحول دون إعارة الكتب أو الصحف والتي بقي بعضها حتى الآن شاهداً على ذلك . وبذلك . يقرر الشاعر آريوستو Ariesto بدون تحيز بأن « سكستوس قد جمع الكتب القديمة من جميع أنحاء العالم لاستعمال العامة »(١).

وإن مبدأ فتح المكتبات للاستعمال العام لإحدى الخصائص التي تميزت بها مكتبات عصر النهضة عن المكتبات في العصور الوسطى. ولكن هل كانت هناك فروق أساسية بين الاثنتين؟ الإجابة نى هذا السؤال جزئياً بالإيجاب وجزئياً بالنفي، فقد اختفى نهائياً جو العصر الوسيط، فلم يعد رجال الأدب والإنسيون يجتمعون في حلقات ببلاط النبلاء ، وينظرون إلى المكتبة على أنها مكان لتبادل وجهات النظر في الأفكار العلمية والأستمتا ع الفني ولكن كان الغالب بينهم الرغبة المتأججة إلى مصادر الآداب اليونانية والرومانية الأصيلة، وهي الرغبة التي أشعلها بترارك في القرون التي سبقت، ولكن حماس القرن الرابع عشر ترك جانباً لتحل محله موضوعية في التفكير أكثر هدوءاً ووضوحاً ، وعلى أي حال فإنه بسبب هذه الرغبة لم يكن مؤلفو العصور الوسطى يغادرون المكتبة.

وفي مكتبة نيقولا الخامس كانت المؤلفات الكلاسيكية والإنسانية والكلامية ومؤلفات الآباء الكنسيين، توضع جنباً إلى جنب على رفوف المكتبة. ولم تكن هذه الحقيقة لتصدق فقط على مكتبة الڤاتيكان، التي كانت أولا مكتبة للبابا، ولكنها كانت أيضاً تصدق على المكتبات الأخرى الكبيرة. ولقد استوحى الفنانون رسومهم التي زينوا بها جدران مكتبات العصور الوسطى من هذه الصفات العامة التي تميز بها العصر الوسيط كما فعل فنانو العصور الوسطى المتأخرة ومنهم ميلتزو دافورلي Melozzo da Forli الذي اختار وحدات رمزية تعبر عن الفنون الجميلة. وكليات العلوم في الجامعات واتخذها موضوعاً لظلماته (رسوم جصيّة) التي زين بها صالات

(١) Di libri antiqui ... per public, uso Sisto da tutto il mondo fe, racorre Ariosto "Saturo vl (vll) 139-141 in his opere Minori, ed Giuseppe Fatini . Florence, 1915 for an archaic translation see :Ariosto`s Satyres in Seven Fanaus discoureses .. in English by Garius Markham . London, 1708.

مكتبة أوربينو كما قام روفائيل نفسه بزخرفة مكتبة يوليوس الثانى Juluisii الخاصة المعروفة باسم Stanza della Signatura برسم تصويري يمثل فهرساً لكتاب (١).

وفيما يتعلق بالمجلدات الفردية في مكتبة عصر النهضة، فقد كانت تختلف إلى حد بعيد عن مخطوطات العصر الوسيط. وسبق أن رأينا كيف أن بستيشي كان يهتم اهتماماً بالغاً بصناعة الكتاب. إلا أن ترتيب الكتب على الرفوف وطريقة تصنيفها بقيت كما كانت في العصور الوسطى، إذا لم تكن هناك حاجة ملحة تستدعي تغيير النظام ، على الرغم من الزيادة الهائلة التي طرأت على عدد الكتب بسبب ما جد من المؤلفات الكلاسيكية ومؤلفات الإنسانيين، وكان ذلك كفيلا بتغيير الطريقة التي تعالج بها الكتب. ولم تحظ المطبوعات – التي بدأت المطابع تنتجها – باهتمام محبي الكتب من أمثال مونتفلترو. ولم يبدأ هذا الاهتمام حقيقة إلا في نهاية القرن الخامس عشر. تلك هي المعلومات التي أمدتنا بها المصادر التي تناولت بالدراسة مكتبات سانت مارك وفلورنسا ، وهذا ما نجده في مكتبة الفاتيكان، فالكتب المطبوعة والمخطوطات المربوطة لم تزل محفوظة في حالة سليمة في الحجرة الجميلة التي كانت بها منذ عصر النهضة في سيزينا cesenaوالتى أقامها مالا تستانوفيللو Malatesta Novello في عام ١٤٥٢ . وحتى مكتبة لاورنت التي شيدت تبعاً لتصميمات مايكل انغلو Machel Angelo بقيت على حالتها القديمة.

وقد بقيت مكتبة زوتفن Zutphen مثل مكتبة سيزينا على حالتها الأصلية لم تتغير ، وهذا مما ينهض دليلً على أن مكتبات شمال جبال الألب ظلت طوال هذه الفترة لم تغير من طريقتها في ترتيب الكتب. ولماذا يحدث العكس إذن؟ طالما كانت إيطاليا في ذلك الوقت هي رافدة كل تطور في شئون المكتبات ، وكانت كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا تتبعها فيما تحدث من تغييرات.

ولم تبد انجلترا إبان حروب الوردتين نحو الثقافة الجديدة إلا القليل من الاهتمام والتشجيع.

(١) تمدنا الرسوم الزيتية في Stanza della Signatura بصور مختلفة تمثل فهرساً لكتاب، وهو أمر ذو أهمية خاصة في حجرة صممت لاستعمالها في الأغراض اليومية... فالأشكال المجازية الجالسة فوق العرش في المكان الأعلى تمسك الكتب فى أيديها . وتمثال العدل وحده هو الذي يمسك في يده السيف والميزان. أما الأناجيل التي يرجع إليها المسيحيون فتحملها الملائكة الى المؤمنين، والآباء الأربعة المقدسون قد اجتمعوا حول العشاء الرباني يكتبون الكتب ويقرءونها ، وهناك أيضاً كتب بعثرت على الأرضية ، وقد ميز الديسون والعلمانيون عن طريق امتلاك الكتب، فمثلا هؤلاء الذين يستمتعون بالحضرة الموسوية نجد في أيديهم لفافات ومخطوطات، أما تلاميذ مدرسة أثينا فنجد في أيديهم الكتب والالواح. ان تأليف ونسخ وقراءة وشرح الكتب هي الطابع العام في كل أرجائها بحيث لا نخطئ تحديد كل ناحية من هذه النواحي في هذه الصورة . حتى الفيلسوفان العظيمان قد مثلا فقط هنا بكتابيهما المشهورين، فالبابا يمسك كتابا يتمشى مع قوانين الكنيسة، وجوستنيان يمسك بكتابه الشهير Corpus أمامه، وعلى الأصداف المنقوشة نجد الكتب في جانب في توابيت من مرمر، وفي الجانب الاخر كتب تحترق. ولا نجد تصويرا أعمق من هذا تلعب فيه الكتب الدور الأكبر حيث كل شيء فيه يبدأ وينتهي بالكتب. مترجمة عن : Eranz Wickoff, Loc. cit

ولقد باءت بالفشل كل محاولات شوسر Chaucer لتوثيق الصلات بين وطنه انجلترا وبين إيطاليا [1] ولا يستثنى من هذه القاعدة سوى همفري Humphery دوق غلوكسترو Gloucestor ابن هنري الرابع الذي كان شاذا في ناحية أخرى ، فأقبل بحيوية على دراسة المؤلفات الكلاسيكية ، واستعار الكتب من جماعة الأنسية الإيطالية، وسمح لهم بإهدائه بعض مؤلفاتهم . ولقد آلت مجموعاته الشاملة – عن طريق الإهداء – إلى مكتبة جامعة اكسفورد مما أدى إلى بناء مكتبة الدوق هنري في عام ١٤٨٨ .

وفي فرنسا أيضاً ظلت ثقافة العصر الوسيط مسيطرة خلال القرن الخامس عشر. لقد بدأ العصر الجديد هنا (في فرنسا) بسبب الحملتين اللتين قام بهما كل من شارل الثامن ولويس السابع على إيطاليا ، فقد استولى أولهما على أجزاء من المكتبة الأرغونية في نابولي، وعاد بها إلى فرنسا في عام ١٤٩٥ . وبعده بخمس سنين استولى لويس على مكتبة اسفورزا في بافريا كغنيمة حرب، واتخذت هذه المكتبة طريقها إلى قلعة بلوا Blais حيث أصبح للملك مكتبة زاهرة بذخائر الكتب ، وظهر في ذلك الوقت بين طبقة النبلاء الفرنسية بعض محبي الكتب، وأعظم مثال من بينهم كان راعي كنيسة لويس الكاردينال آمبواز Amboise ، الذي كان يظهر اهتماماً خاصا بالمخطوطات الإيطالية، وقام بشراء أجزاء أخرى من المكتبة الأرغونية. إلا أن الروح الحقيقية لعصر النهضة بدأت تنتشر إبان حكم فرنسيس الأول الذي أمر بنقل مجموعات قلعة بلوا إلى قصره الضخم في فونتين بلو Fontainebleau حيث أقام مكتبة تضارع من جميع الوجوه المكتبات الإيطالية الكبرى وعين العالم اللغوي ورجل القانون بيديه Bude رئيساً للمكتبة Maitre de la librairie ، بل وأكثر من هذا نجد في بلاطه لاسكاريس الذي ورد ذكره قبل ذلك في فلورنسا – والذي أخذ هنا يعنى بالمخطوطات اليونانية لفرنسيس الأول، كما كان يفعل سابقا لآل مديتشي. وعلى الطريقة الإيطالية فتحت المكتبة أبوابها لكل راغب في الاطلاع. وفي الحقيقة كان فرنسيس نفسه يقوم بالإنفاق على نسخ المخطوطات القيمة.

وابتداء من حكم شارل الثامن كانت المكتبة تحتوي على كتب مطبوعة، ولكنها لفترة طويلة كانت تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد المخطوطات. وعلى أي حال كان إدخال نظام الإيداع القانوني بواسطة الملك الفرنسي خطوة على جانب كبير من الأهمية طبقاً لما كشفت عنه البحوث التي أجريت حديثاً، فإن هذا النظام قد جاء نتيجة لعاملين، عامل الرقابة على

---

(١) هناك إنتاج فكري كثير عن تأثير إيطاليا على شوسر، ولكننا لا نعرف الا قليلا عن استعماله للمكتبات الايطالية، انظر:

R.A.Pratt = Chaucer and the Visconti Libraries ELH, A journal of English Literary Histo-

المطبوعات، وعامل الامتيازات التي كانت تمنح للكتب المطبوعة. هذان العاملان استخدما كوسيلة لإجبار المطابع على تقديم نسخ مجانية للملوك، ومن ثم لمكتباتهم. هذا ما نلمسه في قوانين فرنسيس الأول١٥٣٧/١٥٣٨ . وسوف نرى في الفصول القادمة كيف أن كثيراً من الحكام قد حذوا حذوه، حتى أصبح قانون حق الطبع copyright اليوم يشكل أعظم مصدر من مصادر تزويد المكتبات العامة الكبيرة.

ولكن تأثير القرن الخامس عشر الإيطالي Quattro -- cento على ألمانيا كان أعظم وأكثر استمرارا ودواماً عنه على كل من انجلترا وفرنسا (١). فإن التيارات الجديدة قد جعلت مجالس الإصلاح في كونستانس وبازل تتجه عبر جبال الألب إلى إيطاليا، وكان من بين الرواد جامعو المخطوطات الذين سبق ذكرهم ، ومن أبرزهم الشخصية الفذة أينوس سيلفيوس بيكولوميني Aeneus Silvius piccolomini (بيوس الثاني فيما بعد) وكانت جماعة الإنسانيين الألمانية ترفض تماماً وجهات نظر العصور الوسيطة، كما رفضت الأخذ بآراء أهل الكلام، واتجهت أول ما اتجهت إلى التعليم الرسمي والمعرفة الصحيحة من مصادرها الكلاسيكية الأصيلة. ولكن بالتدريج بدأ اتجاه أكثر قوة يأخذ مكانه، ولم تلبث الطبقات المتوسطة الألمانية أن شاركت بقوة أكثر مما في البلاد الأخرى في الحركة الإنسانية، وعملت على نشرها ووصلها مباشرة بالجهود التعليمية التي ذكرناها فيما بعد.

وكان للنظريات الإنسانية أيضاً تأثيرها القوي على شؤون المكتبات الألمانية، وإن التطوير الذي شهدناه في الفصل السابق وخاصة في المدن ظل كما كان من قبل مع زيادة بطيئة تدريجية في مجموعة الكتب ونسبة الكتب القديمة والإيطالية بها. وكان نيقولا من كوزا Nicholas of cusa (المتوفى ١٤٦٤) أمير الكنيسة العظيم والباحث الأصيل أول من فتح مكتبته للثقافة الجديدة، وكان ينافس الإيطاليين في جمع المخطوطات الكلاسيكية . ونذكر من أتباعه أوجسبري Augusbury وجوسمبروت Gosesmbrotوالبارون الفرنسي أولبدخت فون آيب Albert von Eyb، وفي مكتبة البلدية ومكتبات الكنائس في مدينة نورمبرج يمكن للإنسان أن يلاحظ ازدياد قوة الآداب الكلاسيكية والانسانية وذلك منذ الثمانينات في القرن الخامس عشر. وحوالى هذا الوقت فإن فيليب كونت بلاتين للراين شكل بلاطه في مدينة هيدلبرج تماماً على الطراز الإيطالي، واحتفظ بعلاقات ثقافية بينه وبين رجال على درجة كبيرة من الأهمية من أمثال فون دالبرج Von

ry, vl, 1939. 191- 200.

(١) هناك دراسة عميقة ودقيقة عن هذا التأثير على ألمانيا هي :

Heinrich Kromm = Deut sche bibliotheken unter dem einfluss von Humanismus und Re-

Dalbergواجـر يكولا Agricolaوغيرهما واكتسبت مكتبة بلاتين صبغة إنسية قوية في حين احتفظت مكتبة جامعة هيدلبرغ ، ونظيراتها من الجامعات الأخرى ، بتقاليد العصور الوسطى حتى القرن السادس عشر.

وكانت شخصية الطبقة المتوسطة من جماعة الإنسانيين تبدي رغبة ملحة في جعل الآداب اللاتينية والرومانية في متناول الطبقات الدنيا عن طريق ترجمتها إلى اللغة الوطنية. وكان نيقولا فون وايل Nicola von wayle كاتب مدينة اسلتجن Esslingenمن أشد المتحمسين لهذه الترجمات. وبالقرب منه كانت تعيش الأميرة بلاتين ميخت platine Mechthildالتي أنشأت لنفسها مكتبة في ضيعتها في روتمبرغ Rottembergفي طريق نيكار Nicar، وشغلت نفسها بجمع المؤلفات الألمانية القديمة.

وفي نفس الوقت كان اختراع جونتبرج قد انتشر شرقاً وغرباً بواسطة الطابعين الألمان، ففي نهاية القرن الخامس عشر ازدهرت تجارة الكتب ازدهاراً عظيما بحيث غطت اوروبا الغربية كلها تقريباً ، وكان مركزها الرئيسي مدينة بازل Basel حيث جمع زعيم جماعة الإنسانيين الشمالية أراسموس Erasmus جماعة بازل حوله. وعن طريقهم كان هناك تعاون تام بين الحركة العلمية والطباعة ، فعلى حين قام الانسيون بعمليات التحرير قام أتباع جوتنبرج وبخاصة فروبن Froben « أمير الطابعين الألمان » بنشر المؤلفات الكلاسيكية والإنسانية. ومن بازل انتشرت التيارات التجارية والثقافية الجديدة إلى ليونز Lyons مركز طباعة في اوروبا الغربية ، كما انتشرت أيضاً إلى فينسيا حيث كان يعمل ألدوس مانيتيوس Aldus manutius كما عاش في بازل أيضا اللغوى العظيم نجاردوس Sichardus الذي نعلم الشيئ الكثير على زياراته المنتظمة عن إلى الأديرة القديمة رغبة منه في الحصول على مخطوطات صالحة للنشر.

وعلى أي حال فإن اهتمامنا الأكبر سينصب على آثار الطباعة على حركة تطوير المكتبات، ويمكننا هنا أن نذكر أثراً مزدوجاً لهذا التطور : فحتى هذه الفترة كانت المكتبات والمناسخ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض في كل وقت كما بينا من قبل . ويكفي المرء فقط أن يتذكر الأكاديميات الوثنية والأديرة المسيحية، وجامعي الكتب في الأزمنه القديمة والعصور الوسطى، وأيضاً في عصر النهضة الايطالي، أما في خلال القرن السادس عشر فقد انفصمت العلاقة بين صانعي المخطوطات وجامعيها إلى الأبد، وهذه هي النتيجة الأولى للفن الأسود (الطباعة) . أما الأثر الثاني فيتمثل في الزيادة الهائلة في إنتاج الكتب، وظهور العديد من المشاكل المكتبية غير المتوقعة والمتصلة بهذه الزيادة. وكان أول شيئ يحتاج إلى التغيير هو نظام المطبوع ترتيب الكتب، وبذلك – كما سبق أن لاحظنا في إيطاليا وفرنسا – أخذ الكتاب المطبوع مكانه إلى جانب المخطوط.

ويصدق هذا القول أكثر ما يصدق على مكتبة المؤرخ الإنساني هارتمان اسكدل Hartmann Schedel من مدينة نورمبرج (المتوفي عام ١٥١٤) فإن جزءاً من مجموعته أتى من ضيعة ابن عمه هيرمان Hermann والباقي جمعه خلال رحلاته إلى إيطاليا وزياراته للأديرة الألمانية، وكثير من النصوص قام على نسخها بنفسه. ولكنا نجد من بين الـ ٦٠٠ عنوان التي يتضمنها فهرس مكتبته حوالي ثلثها مطبوعا . لقد كان اسكدل يحب دائما أن يزخرف كتبه بالأمثال والصور الصغيرة ويكتب بداخلها نبذات بيوجرافية (ترجمة حياة) عن مؤلفيها . ولقد حذا حذوه مواطن له ينتمي إلى جيل آخر هو بيركهيمرpirkheimer فقد كان مثقفاً ومتعلماً ، وأدار وجهه شطر إيطاليا ليستقي من نهضتها، ولكن بتفكير الطبقة الوسطى الألمانية، إن الطريقة التي أدار بها مكتبته الباهظة التكاليف والتي اشتملت بين نفائسها على المجموعة الكاملة لطبعات الدين Al-dineاليونانية ، هذه الطريقة تظهر بشكل عملي الشعار الذي كتبه على لوحات كتبه: له ولأصدقائهSidi et amicis ، وعلى قدر ما كان بيركهيمر لنورمبرج كان بوتنجر peutinger لاوربرغ، فقد كانت مكتبته موضع تقدير الانسانيين جميعاً ، إذ كانت حسنة التصنيف ، ، جيدة الفهرسة تربو مجموعاتها على ٢١٠٠ مجلد من بينها ١٧٠ مخطوطاً فقط.

وكان كل من بيركهيمر وبوتنجر صديقاً حميما لما كسيمليان الأول Maximilian الذي ارتفع ليصبح العصب العقلي للإنسانيين الألمان، والذي دفع بحماس فن الطباعة إلى الأمام، وليس صحيحاً ما ينسب إلى هذا الحاكم من أنه هو الذي أنشأ مكتبة البلاط الملكي في فيينا . فالكتب التي جمعها أيام كان أميراً والمجموعات التي ورثها عن أبيه والمجموعات التي أضيفت بعد ذلك ، احتفظ ماكسيمليان بجزء منها في وينر – نيوستادت Wiener - Neustadt وبجزء في إينزبروك Innsbruk ووزعت بقية المجموعة على قلاع أخرى . ويبدو أن فرديناند الأول Ferdinand هو الذي وضع الأسس الحقيقية لمكتبة فيينا .

ويمكننا لو شئنا في هذا المجال أن نعدد سلسلة كاملة من مكتبات الانسانيين.

لقد أصبح جامعو الكتب من الكثرة والشعبية بمكان بحيث وضعهم الشاعر الهجائي برانت Brant بين شخصيات شعره المضحكة. ولنذكر فقط مكتبة رشلين Reuchlin الغنية بالمخطوطات اليونانية والعبرية، ومكتبة بوتس رينانوس Beatus Rhenanus التي مازالت حتى يومنا هذا في حالة جيدة في مدينة شلتستادت Schlettstadtوأخيراً المكتبة التي أقامها القديس تريتهايم Tri-theimفي اسبونهايم Sponheim وهو الشخص الذي قارنوه بكاسيودوروس لأنه بذل قصارى جهده في حفظ ذخائر المخطوطات القديمة للأجيال التي تلت، فبينما يقف كاسيودوروس في بداية هذه النهضة يقف تريتهايم في نهايتها . وكاسيودوروس ، كما أشرنا من قبل ، هو الذي

قرب الفجوة التي كانت تفصل بين العصور القديمة والعصور الوسيطة ، وفي فيفاريوم أرسى النماذج الأولى لمكتبات الأديرة ، وتريتهايم على العكس من ذلك ، هو الذي بدأ المحاولة الفاشلة لنشر حركة الإنسانية في أسبونهايم. ومجموعات الكتب التي جمعها بالعذاب وشق الأنفس بددها من بعده خلفاؤه. ولم يطل الوقت حتى اختفت مكتبة اسبونهايم شأنها شأن بقية مكتبات الأديرة في طول البلاد الألمانية وعرضها.

الإصلاح الديني
والقرن السابع عشر

تشكل فترة الإصلاح الديني حلقة في تاريخ المكتبات، ففي هذه الحقبة أخذ كثير من مكتبات العصور الوسطى يختفي ويحل محله مكتبات جديدة بأعداد كبيرة. وعند انحلال الأديرة الألمانية والمؤسسات الدينية، كان مصير مجموعات الكتب التي جمعها الناس بحماس بالغ، الإهمال والضياع مثل الأدب البابوي وعجلت الحركات الثورية مثل حرب الفلاحين (١٥٢٤ – ١٥٢٥) بحلول الخراب، فمن الشمال من ثورنجيا Thuringia إلى الوسط في مين Main إلى أودنوالد Odenwald والغابات السوداء في سويسرا حل الخراب بالمكتبات الكنسية وتجشمت خسائر فادحة، وخرب بعضها عن آخره كما حدث في راينها ردسبرون Reinhardsprunn ونفس الشيء حدث خارجاً ألمانيا، ففي فرنسا حل الخراب بالمكتبات خلال حروب – الهاج Huguenot، ففي سنة ١٥٦٢ على سبيل المثال نهب جنوب كنديه Candè كنوز مكتبة فيلري سيرلوار Fleury - Sur Loire - أما الحالة في انجلترا فكانت أسوأ ، ففي خلال الثلاثين سنة التي اصطبغ فيها حوالى ثمانمائة دير وأبرشية بالصبغة العلمانية بقيت مجموعات من الكتب في إهمال شديد، وفي سنة ١٥٥٠ ذهب مبعوثو ادوارد السادس إلى أكسفورد وجردوا المكتبة من كل شيء حتى الأثاث باعوه هملا وسقطا .

وإذا كان لنا ألا نصمت على الأثر التخريبي الذي أحدثته حركة الإصلاح الديني فإن من الواجب أيضاً أن نركز على الدور البنّاء الذي أحدثته في هذا المجال : ففي البيان الدوري للوثر في عام ١٥٢٤ « إلى عمداء ورجال بلدية كل مدن ألمانيا » [١]. نصادف هذه العبارة الهامة «وأخيراً يجب أن نأخذ في الاعتبار ألا ندخر وسعاً في إقامة مكتبات طيبة في المباني المناسبة وخاصة في المدن الكبيرة التي تستطيع أن تحافظ على بقائها » وعمل ميلانكتن Melancthon «معلم ألمانيا » ما استطاع لتحقيق هذا الهدف . ويمكننا بتتبع الأعمال التي تلت هذا البيان في المقاطعات الألمانية إدراك أن المسألة لم تكن مسألة كلمات وخطب . ويكفي أن نستعيد في ذهننا النشاط الخلاق الذي قام به جون بوجنهاجن John Bugenhagen في كل شمال ألمانيا ، فقد

(١) وقد ترجم في الفصل السابع من :

An die Rotherren aller Stadte deutsches Lands F.V.N. painter, s Lunther on education, Phi-
»ladedelphia 1890.

جمع ما أمكن جمعه من مجموعات الكتب التي كانت تملكها المعاهد الكاثوليكية لتصبح نواة لمكتبات المعاهد التي تم إنشاؤها في ذلك الوقت.

وبهذه الطريقة انشئت إلى جانب مكتبات البلديات التي وجدت منذ القرن الخامس عشر مكتبات جديدة كما في هامبررج ونورمبرج وأوجزبرج، ولن نذكر شيئاً عن مكتبات الكنائس التي قامت لخدمة نفس الأغراض كما في بريمن Bremen وهالي Halle، وفي كثير من الأماكن انتقلت الكتب من أيدي الكاثوليك إلى البروتستانت دون أدنى تغيير. يضاف إلى هذه الأنواع من المكتبات مكتبات المدارس التي بدأت تظهر إلى حيز الوجود، وأبرز مثال على ذلك ما وجد منها في ساكسونيا، ولما انشئت الجامعات في هذا الوقت أيضا في كونغربرج ، هيلمزدت ، جيبا وماربرج وكذاليدن، اقتنت مجموعات الكتب التي احتاجت إليها ، ومن أهم تلك المكتبات كانت مكتبات جامعة ليبزج. وفي الأقاليم الكاثوليكية اتخذت إعادة بناء المكتبات أداة من أدوات الإصلاح الكبرى، وفي هذا الميدان بذل الجزويت وخاصة كانيسيوس Canisius قصارى جهدهم إلا أن المصادر التي تحت أيدينا حتى الآن تقصر عن كشف الدور الحقيقي الذي قاموا به (١).

كل هذه المكتبات يمكن اعتبارها مكتبات عامة، ولكنها لا تملك نظم الترتيب التي اعتدنا عليها في مثل هذه المؤسسات العامة، فالتردد عليها كالعادة كان مقصوراً على فئة متميزة، ولم تكن الإدارة والتنظيم الداخلي يخضعان لقواعد ثابتة، وكان نمو المجموعة يترك للصدفة إلى حد كبير، واعتمدت على أريحية المتبرعين الكرام. وبالطبع أدى اختراع جوتنبرج إلى زيادة هائلة نسبيا في عدد الكتب التي تدخل إلى المكتبات عقدا بعد عقد ولكن إدراك المكتبات للواجبات التى ألقيت على عاتقها نتيجة لهذا الاختراع لم يظهر إلا متأخراً، وأكثر من هذا فإن حاجة الناس في ذلك الوقت إلى مكتبات عامة يسهل استعمالها، قد سدها ذلك الفيض الهائل من المكتبات الخاصة.

وفي إحدى حوليات مدينة ميزن Meissen نقرأ « لقد أصبح حقا لكل النبلاء وأبناء الطبقة المتوسطة، حتى ولو لم يكونوا دارسين حقا، أن يقرءوا و يجمعوا في منازلهم مكتبات طيبة تجمع مختلف أنواع الكتب الدينية، وأن يجتذبوا إلى بيوتهم أحسن المؤرخين وأفضل الأطباء وغيرهم». ومما لا شك فيه أن عدد محبي الكتب من بين النبلاء في المدن الألمانية قد ازدار عن الفترة التي سبقت وسوف يعنينا هنا أن نذكر منهم اثنين ينتميان إلى أسرة فوجر Fugger

(١) أخيراً أمدنا جيمس برودريك بتقرير مفصل عن هذه النشاطات حيث يشتمل الفصل الاخير في كتابه التالي انجازات كانيسيوس في مجال التربية انظر:

James Brodrick = St: peter Cansisius London, 1935.

لقد انتشرت هواية جمع الكتب حتى بين أصحاب الحرف، ومما يدل على أنها قد أصبحت ظاهرة عادية، المجموعة ذات المؤلفات نصف العملية التي جمعها هانزساكس Hans Sacks ، ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض الأسر النبيلة التي زادت مكتباتها على عدة آلاف من المجلدات، ويمكننا أن نلاحظ بوضوح كيف أن المناقشات الحامية التي أثارتها جماعة الإنسانيين حول مسائل الدين المعاصرة جعلت كثيراً من طبقات المجتمع تقبل على الكتب وتهتم بها.

وفي القرن السادس عشر أيضاً ، كان كثير من أمراء الأقاليم يدرسون في الجامعات وواصلوا اتصالاتهم العلمية أثناء حكمهم، وراعوا عند إنشاء مكتباتهم أن تتمشى مع فخامة بلاطهم، كما راعوا إمداد موظفيهم بكتب تتعلق بواجباتهم الإدارية. كما كانت بعض المجموعات تغلب عليها الميول الفردية للأمراء ، وفي أحيان أخرى كانت الاتجاهات العامة تتدخل في تشكيلها ، ومهما يكن من أمر فإنه في تلك الحقبة تكونت مجموعة من المكتبات تعتبر الآن من أعظم مكتبات ألمانيا أهمية.

ففي الثلاثينات – على سبيل المثال – أقام ألبرت دوق بروسيا في قلعته بمدينة كونجزبرج Konigsberg مكتبة عامة وأخرى خاصة كما أن يوليوس julius حاكم برونزويك وضع في عام ١٥٦٨ أساس المكتبة الشهيرة في وولفينبوتل Wolfen Buttel كما سبقهما إلى هذا الفضل أوجست حاكم ساكسونيا وأسس مكتبة درسدن Dres - den الشهيرة ، وتبعه في ذلك وليام حاكم هيس Hesse، وأسس مكتبة في كاسل Cassel، ومنذ أصبحت المطابع تخرج فيضاً من المطبوعات أصبحت الجلود – جلود الكتب – وحدها كمظهر الفخامة والرفاهية وإننا لنرى كيف استخدمت فخامة التجليد مظهرا من مظاهر المباهاة والمفاخرة، بصورة واضحة في المكتبة الفضية في كونجزبرج التي سبق الحديث عنها [1] . وكان التجليد بالجلد مع التذهيب هو الطريقة المفضلة عادة. وإن أجمل الأمثلة على ذلك تلك النماذج التي أخرجها لنا المجلدون في وتنبرج Wittenberg، والتي أخرجها لنا أيضاً الصناع بإشراف أوت هنريش Ott Heinrich.

ولهذا الأمير المنتخب أنشد الشاعر «في كل وقت أحب الحكمة والفن [2]» ومن أصدقائه الحميمين جريكست Gercist ومحب الكتب اللامع أو لرك فوجر Ulrich Fugger. لقد ورث هنريش عن أسلافه مجموعات من الكتب لا بأس بها ، وعمل على زيادتها بهمة لا تعرف الملل حتى وافاه

(١) اقتبست من Hans Rott Ist auch allzeit gewesen Weisheit und , `kunst geneigt Ott Heinrich und die Kunst Heidelberg, 1905. 173 (Mitteilungen zur Geschichte des. Heidelberger schlosses v, 2--1.

(٢) نرى صدق ما نقول في مجموعة الكتب المجلدة بالفضة والتي أتت بها أنا ماري الزوجة الثانية لألبرت دوق بروسيا.

الأجل في عام ١٥٥٩ ، وتشهد على ذلك الأديرة القديمة على طول الراين وخاصة دير لورك . لقد تخصص أوت هنريش في المخطوطات الألمانية، ولقد نهج خلفاؤه نهجه فأحرزوا تقدماً كبيراً في هذا الشأن ومن ثمرات ذلك مكتبة أولرك فوجر القيمة والتى استفادت كثيراً من مميزات ، أسواق الكتب بمدينة فرانكفورت ، ومما يعتبر أمراً غير عادي آنذاك هو أن التردد على هذه المكتبة كان مباحا، بل وكان يسمح للعلماء بتحرير المخطوطات بها . وبهذه الطريقة وحتى نكبة ١٦٢٣ اعتبرت مكتبة البلاتين في مقام أعظم مكتبات ألمانيا على الإطلاق ، ولعبت دور المركز العقلي لكل الجنوب الغربي .

ومهما يكن من أمر فلقد كان إنشاء المكتبات وتعضيدها مقصوراً كلية على الأمراء البروتستانت ، وليس أدل على هذه الحقيقة من مكتبة البلاط في فيينا والتي اشتملت في نهاية القرن السادس عشر على ٩٠٠٠ مجلد من بينها ١٦٠٠ مخطوطة، وكان يديرها بلوتيوس Blo-tins، وإن أحسن دليل على ذلك ما قام به ألبرت الخامس دوق بافريا ، فقد كان على النقيض من ابن عمه الأمير المنتخب لايمت بصلة وثيقة إلى الفنون والمعرفة، ولكنه كما أشيع أخيراً كان يحب المباهاة والمفاخرة فأقبل على تقليد الحكام الآخرين في تزيين بلاطه بإنشاء مكتبة فخمة. وبالتالي يرجع الفضل في إنشاء مكتبة ميونيخ إلى جون يعقوب فوجر johh jacob Fugger الذي سماه الإيطاليون « أغنى وأعلم رجل في ألمانيا il primo ricce, I pui dotto di Germania فهو الذي استغل مشاريع أسرته التجارية الكثيرة للحصول على المخطوطات اليونانية لنفسه، كما أنه اشترى أيضاً مكتبة اسكدل التي سبق ذكرها . ومن مكرماته أنه أغرى ألبرت في عام ١٥٥٨ على شراء مجموعات رجل السياسة المستشرق ويدمانزتتر Widmanstetter وكانت مجموعة نادرة، ولم تلبث مجموعته هو شخصيا أن آلت إلى حوزة الدوق، ونقلت المجموعة التي بلغت ما يقرب من ١١ ألفاً من المجلدات إلى ملحق أنشيء خصيصاً تحت حكم ماكسيمليان الأول الذي وضع بنفسه تعليمات إدارة المكتبة، وفي سنة ١٦٠٢ أمر بنشر فهرس المخطوطات اليونانية ، وقد سن التشريع الذي استفادت منه مكتبة فيينا لفترة طويلة.

ويمكننا لأول وهلة أن نلاحظ ميل الدوق ألبرت إلى الفخامة والمباهاة، ولكن ذلك جزئياً فيما يختص بالأشياء الثمينة والنادرة ذلك الميل الذي تفشى بين الطبقة الأرستقراطية في أوج عصر النهضة ونما أكثر وأكثر حتى أصبح من أخص خصائص الأجيال التي تلت. فقد جرت عادة الأمراء في وقت مبكر على أن تكون ببلاطهم خزانة مملوءة بالقطع الفنية، وتلحق بالمكتبة خزانة الكتب النادرة، ولقد نصت لائحة المتاحف والمكتبات Musei sive bibliothecea لسنة ١٦٣٥ على أنه من المرغوب فيه أن تجمع معاً في صالة المكتبة « بعض الأشياء التي تشبع حب الاستطلاع

عند الرجل المتعلم مثل الآلات الرياضية، والمسكوكات، وقطع الآثار الخفيفة، وأيضاً غرائب الطبيعةوالفن »(١).

وصفوة القول ان المانيا في القرن السادس عشر كانت متشبعة بالكتب. وفي هذا الوقت كان المركز العالمي لتجارة الكتب يقع في المانيا كما كان فهرس سوق كتب فرانكفورت Frankurter me s sk at alog يمثل حصراً كاملاً للآداب الاوروبية، وأخيراً قام الألماني الطبيب والعالم كونراد جزنر Conrad Ge sner في عام ١٥٤٥ بعمل الببليوجرافيا العالمية Bibiotheca Univer-salis(٢). ومع ذلك فقد انكر على المانيا أن تبقى رائدة في هذا المجال، فإن الانحلال العام ثم الكارثة المخيفة التي تمثلت في حرب الثلاثين جعلت ألمانيا تتخلى عن زعامتها للقوى العظمى التي ولدت في الغرب. ومن هنا يتضح أن أهم وأعظم مجموعات القرن السابع عشر قد وجدت خارج ألمانيا . كما انه في هذه البلاد الأخرى ظهر نوع جديد من المكتبات يمكننا ان نطلق عليه اسم المكتبة العجيبة.

ففي الفصل السابق رأينا كيف أن عصر النهضة اتبع نفس طريقة ترتيب الكتب التي كانت سائدة في العصور الوسطى ، وهي الطريقة التي تمثلت بوضع الكتب مربوطة على الرفوف، وعلى أي حال كلما زاد إنتاج المطابع من الكتب زاد رصيد المكتبات من هذه المطبوعات، وازداد الشعور بقصور هذه الطريقة القديمة، وجاء الحل أولا من خلال طريقة جديدة فقد أصبحت الكتب توضع في صفوف في دواليب للكتب تمتد بطول الجدران، وعندما دعت الحاجة الى زيادة هذه الدواليب حتى السقف أدخلت «سندرات Galleries لتسهيل الوصول إلى الرفوف العليا ، وليست الحاجة فقط هي أم هذا التجديد، ولكنه أيضاً وليد ذوق ذلك العصر، ولما كان وسط القاعة يترك خالياً من الكتب فقد استغل لعرض الغريب والنادر، وبهذه الطريقة أخذت المكتبة أكثر وأكثر صفة حجرة العرض العجيبة.

وبقدر ما وصل إلى علمنا يكون أول من اخترع طريقة وضع الكتب على الرفوف الحائطية

---

(١) Nonulla quibus ingenua curiositas hommis eruditi delectari solet, tanquam proprio pastu animi liberalis, als da seien instrumenta mathematica. numismate antiquea, erudiqta rudera prisci temposis sowie quaedam naturea et artis miracula.. CF.C. Clement = Musei sive bibliothecae tam privatoe quam publicae extructio, insturction, cura usus. Lyon. 1635.376.

(٢) للحصول على معلومات أكثر عن جزنر وأعماله انظر:

T. Besterman = The Beginnings of systematic bibliography 2nd ed., London 1936.; Archer Taylor = Renaisance guides to books. Berkeley, 1945.

- وهما معا متفقان على أن الببليوجرافيا الحديثة تبدأ بجوهان تريتهايم (١٤٦٢ - ١٥١٦)

هذه هو هيرارا Herrera مهندس فيليب الثاني، المعماري العظيم .

ولقد شهدت السنوات ١٥٦٢ – ١٥٨٤ بناء الاسكوريال Escorial المظلم حيث عاش الملك نفسه راهباً في العلم. وتحت إشرافه الشخصي نمت المكتبة بسرعة خارقة للعادة، وقد جاء أغنى أجزائها إرثاً لرجل السياسة دي ميندوزا De Me ndoza وقد اتبع مونتانو Montano أمين المكتبة طريقة غير عادية في التصنيف : فقد قسم المجموعة أولا حسب اللغة ثم فصل المخطوطات عن المطبوعات ، ثم قسم كلا منها إلى ٦٤ قسماً موضوعياً.

ولم تتعرض المكتبة الملكية في فرنسا للإهمال تحت حكم خلفاء فرنسيس الأول، وإن كان هؤلاء الحكام قد أسرفوا في فخامة التجليد، ويرجع الفضل في ذلك إلى تقدم صناعة الكتاب في فرنسا ، فإن مجلدي الملك كانوا من الكفاءة بحيث يشبعون فيه حبه للمباهاة والمفاخرة، ولقد زاد رصيد المخطوطات القيمة أولا عن طريق مجموعة كاترين المديتشي ثم عن طريق مجموعة كاردينال مدينة أمبواز اللتين سبق ذكرهما . كما اتخذت خطوة هامة بنقل المكتبة من فونتينبلو إلى باريس حيث وضعت تحت إدارة الأمين ريجولت Regault الذي أتم فهرسها الأول عام ١٦٢٢.

وعلى الرغم من التقدم الداخلي والخارجي بها فإن المكتبة الملكية قد حجبت تماماً عن الضوء أمام المكتبة التي أسسها الكاردينال مازارين Mazarin وهو رجل السياسة القوي الذي غمس نفسه بشكل غير عادي في شؤون العلم والفن، ووقف بجانبه جابرييل نوديه Gabriel Naudè الدارس العظيم، والمثل الأعلى للمكتبيين ، وكتابه «مشروع لبناء مكتبة Avis pour dresser une bibliothèque (١) الذي نشر عام ١٦٢٧ يتضمن برنامجا لمكتبة عالمية ، مجهزة بأهم الكتب في كل فروع المعرفة في لغاتها الأصلية وترجماتها بالإضافة إلى التعليقات عليها ، والمراجع. ولطالما حارب نوديه التعصب الذي كان سائداً للكتب النادرة منادياً بمساواة الأدب الحديث بالقديم، حتى لقد طالب بحفظ كتابات الهراطقة . وإن مجموعة من الكتب غير المصنفة لاتستحق في نظره أن تسمى مكتبة كما لا يستحق حشد من الرجال أن يسمى جيشاً. وإن أحسن تصنيف في نظره هو التصنيف الأكثر سهولة والأكثر طبيعية laplus facile ,la plus natuerlle الذي يبنى على الكليات ويحتوي على تقسيمات معقولة. وكل هذه الفروض بناها على فكرة أن

(١) هناك ترجمة انكليزية لهذا الكتاب قام بعنوان:
Instruction Concerning erecting of a library. London, 1661 reprinted Cambridge, 1903, See also J.V. Rice Gabriel Naude, 1600-1653, Baltir ore, 1939.

أي مجموعة من الكتب يجب ألا ترضي الميول الفردية لصاحبها فحسب، بل أيضاً تشبع احتياجات العامة.

وبعد أن دخل نوديه في خدمة مازارين في عام ١٦٤٢وجد الفرصة مواتية لتنفيذ برنامجه، وجاءته الهدايا من جميع الجهات، وكلف الجنرالات والدبلوماسيين في الخارج بجلب الكتب لها . وقام نوديه نفسه برحلات طويلة إلى انجلترا وألمانيا وإيطاليا لهذا الغرض. وفي النهاية تجمع ما يقرب من ٤٠ ألف كتاب جلدت تجليداً فاخراً بالجلد المراكشي، وختمت بماء الذهب بشعار الكاردينال، وبينما ظلت المكتبة الملكية مغلقة في وجه الناس فقد فتح مازارين مكتبته لكل الراغبين في دخولها بقصد الدرس والتحصيل ». ولكن هذه المكتبة الممتازة الجميلة، ثامن عجائب الدنيا - كما كان يسميها - وقعت فريسة حرب الفروند Fronde في بداية الخمسينات من القرن السابع عشر، واغتصاب هذه الكتب على هذا النحو استصرخ نوديه صرخة ألم، لأنه أحب عمل يده كما يحب الوالد ابنه الوحيد (١). ولما لم تجد شكواه المملوءة بالعاطفة والفخر معاً أذناً صاغية في البرلمان، ترك المكان الذي فجع فيه وغادر فرنسا ليخدم في بلاد أجنبية. وعندما استرد مازارين قوته وأخذ في استرداد مكتبته، مات نوديه وهو في طريقة إلى فرنسا .

ولكي نفهم طريقة ومنجزات نوديه على حقيقتها يجب أن نضع نصب أعيننا أن حياته قد ارتبطت بالنمو الجديد للمعرفة البشرية، كما يمثلها اسكاليجر Fxcalgerودي ثـو Dethouوغروتيوس Grotius وهوبز Hoppes ، وجاليليو galileo وبيكون Baconثم ديكارت Descartes، وفي مثل هذه الفترة من السهل علينا أن نفهم لماذا ظهرت الرغبة، بين هؤلاء الذين جمعوا الكتب بقصد دراستها وبحثها، في إيجاد تنظيم منطقي وإدارة واعية لمجموعات من الكتب تعد بالآلاف وعشرات الآلاف لا بالمئات كما حدث سابقا ، وبالتالي ظهرت الحاجة الملحة إلى وجود مهنة أمين المكتبة المؤهل والمدرب عمليا، وهي الحاجة التي اشتدت في القرون التي تلت، وقد كان من حسن الحظ أن يلتقي مكتبي موهوب ببعض الأعوان المخلصين، وقد حدث فعلا أن استرشد نوديه بأمثلة ممتازة ، حدد منها بنفسه مكتبة بودلي Bodleian ومكتبة امبروز Ambrosian.

وأولى هاتين المكتبتين هي ثمرة العمل الكبير الذي قا مبه السير توماس بودلي Thomas Bodley الذي يعتبر مثالا لعصر الملكة اليزابيت في انكلترا ، وهو الشخص الذي امتزج فيه ذوق الناحية العملية بدراسة أنسية جيدة، ولقد تعلم بودلي وقام بالتدريس في اكسفورد. وعقد صلات وطيدة مع عدة بلاطات في القارة الأوروبية أثناء خدمته الدبلوماسية.

(١) See Gabriel Naudé = News from France, or description of the library of cardinal Mâzarin preceded by the surrender of the library. Chicago 1907, See also J.V. Rice op cit.

وكان يعتقد – كما كشفت سيرته الذاتيه – أنه في أحسن أيام حياته لايستطيع أن يقوم بعمل أحسن في اكسفورد من « أن يضع إمكانياته أمام باب المكتبة » بقصد إعادة تعمير المكتبة الجامعية التي كانت قد دمرت منذ عدة عقود مضت، ووضعها مرة أخرى لاستعمال الجمهور . وكان يعتقد أنه يملك الوسائل الضرورية – المنجزات العلمية والمبالغ الكافية والأصدقاء المخلصون، ووقت الفراغ المتصل – وبناء على ذلك قدم بودلي عام ١٥٨٩ طلبه إلى وكيل جامعة اكسفورد ، وبعد خمس سنوات من العمل – الذي لم ينفق عليه من ماله ولا جهده شيئا ، بل أتته المساعدات الفعالة من كل ناحية – كانت المكتبة قد عادت إلى سيرتها الأولى.

ونظراً للحماس البالغ والجهد المتواصل سميت المكتبة باسم مؤسسها بودلي الذي لم يخفت نشاطه عنها يوما. فقد استحث شركة الوراقة في لندن Stationer's Company على تقديم نسخ مجانية من كل كتاب تنشره إلى المكتبة، كما أوقف كل ممتلكاته على الجامعة، وتبعاً للائحة التى وضعها بودلي فإن المكتبة كانت تفتح خمس ساعات يوميا ، ومع ذلك فقد كان لطلبة الدراسات العليا وحدهم الحق في استخدامها، وكانت الكتب ترتب في أقسام كبيرة دون تفريغ. وظهر أول فهرس مطبوع لها في عام ١٦٠٥ والثاني في عام ١٦٢٠ وهو خير شاهد على هذا النمو الكبير لمجموعة الكتب بها، بحيث اتضح بعد وقت قصير قصور المبنى القديم عن استيعابها، وفي حياة بودلي أضيف جناح صغير إلى المبنى وفي السنة التي توفي فيها (١٦١٣) كان العمل قد بدأ في جناح أكبر كثيراً من هذا -(١) . هذه الإضافات كانت لها «سندرات » بسلالم تؤدي إلى الصفوف العليا من رفوف المكتبة، وهو نفس النظام الذي كان قد أدخل من قبل في مكتبة إمرورز ، ويمكن الإشارة بصفة عامة إلى هذه المكتبة الأخيرة على أنها الصنو الكاثوليكي لما أنشأه بودلي.

لقد رسم لنا منزوني Manzoni في كتابه (lpromessisposi) The Betrothed صورة حية لكبير أساقفة ميلانو فيدر يغو بور وميو Federigo Berromeo الذي اقتفى أثر قريبه وسلفه ، كارلو Carlo. لقد كان بوروميو نفسه عالماً ومؤلفاً خصب الإنتاج، فقد كد في تأسيس دراسة الكاثوليكية الجديدة على أسس راسخة ، ورمى من وراء إنشاء مكتبته إلى خدمة هذا الغرض. وطالما أن المكتبة في نظرة ليست مجموعة من العقول الميتة ولكنها مركز لنشاط خلاق، فقد وضع مكتبته تحت تصرف كلية الأطباء College of Doctors ، وأنشأ مطبعة مخصوصة لمطبوعاتها، وألحق بها أكاديمية للفنون ذات مجموعة طيبة في موضوعات الفن، وفي السنوات ١٦٠٣ –

(١) See Trecentale Bodleianum;a memarial volume for the three hundreth anniversary of the public funceral of Sir Thomas Bodly. Oxford, 1913.

١٦٠٩ أقيم بناء خاص يلم شمل كل هذه الأشياء . واحتوت المكتبة الأمبروزية على آلاف المخطوطات والكتب من بينها ذخائر دير بوبيو Bobbio وامتازت في الشرقيات خاصة. وتقرر أن تفتح للجميع بقصد الدرس والتحصيل Omnibus studiorum Causa poteat.

وتشبه هذه المكتبة تلك المكتبة التي أنشأها روكا Rocca الأوغسطيني في روما في العقد الأول من القرن السابع عشر تحت اسم الإنجيليكية Anglica، ولم تقل هذه المكتبه أهمية عن مكتبة الفاتيكان في أوجهها في عصر النهضة بالرغم من أن هذه كانت مختلفة جدا مع الأساليب التي اتبعت أخيراً ، وبهذا يقول مونتين Mantaigne « لقد دخلت المكتبة بدون صعوبة، ويمكن لأي شخص أن يدخلها بنفس السهولة، ويأخذ ما شاء من مذكرات (١) » ولكن مونتين لم يشهد المبنى الفخم الذي بناه سكستوس الخامس (١٥٨٥ - ١٥٩٠) للمكتبة بواسطة فونتانا Fontana وكانت مكتبة الفاتيكان في هذه الفترة تحظى باهتمام من ناحية التنظيم والإدارة، فقد كان من بين مديريها المؤرخ الكنسي المشهور بارونيوس Baronius وفي ذلك الوقت قام الإخوة رينالدي Rainaldi بإعداد فهرس المخطوطات بالمكتبة.

لقد حققت مكتبة الفاتيكان في القرن السابع عشر سلسلة من الانتصارات والمكاسب نذكر منها المكاسب الثلاثة الأكثر أهمية : ففي عام ١٦٥٨ ضمت مكتبة أوربينو التي أسسها فردريك من مونتفلترو ، والتي سبق ذكرها إلى مكتبة الفاتيكان وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاما اشتريت كتب كريستينا Christina السويدية وضمت لمجموعات المكتبة ، تلك المرأة المثقفة المشهورة التي أفرد لها رانكي قسما في تاريخه الذي كتبه عن البابوات، فذكر أنها خلفت والدها جوستاف أدولف ولم تتوان عن جمع الكتب والمخطوطات طوال حياتها القلقة. وعند انتقالها إلى روما حملت معها كل هذه الذخائر ، أما ثالث المكاسب وهو الذي أحدث دويا في عالم الثقافة ، فهو ضم مكتبة البلاتين إليها . إذ حدث بعد غزو هيدلبرج بجيوش تللي Tilly إن قام ماكسمليان حاكم بافاريا بإهداء المكتبة إلى البابا في سنة ١٦٢٣ لأسباب معظمها سياسية ، ولقد تم نقل هذه المكتبة إلى نهر التيبر بمنتهى العناية والحرص. والجلود القديمة التي تمزقت قبل النقل استبدلت بجلود جديدة، وكتب بداخل كل مخطوط العبارة التالية : «أنا (المخطوط)من المكتبة التي أخذها ماكسمليان دوق بافاريا غنيمة من هيدلبرج المهزومة وأهداها تذكار انتصار إلى

(١) Je vis La bibliothéque sans nulle difficulté, chacun la voit enisin et en extrait ce qu'il veut.. Montaigen = Journal de voyage en Italie par la Suisse et L'Allemagne en 1580 et 1581, ed Maurice Rot. Paris, 1942. 114.

– وهناك عدة ترجمات انكليزية له.

غريغوري الخامس عشر [1] ».

ولقد تعرضت أعمال الدوق هذه لانتقادات مريرة، وفي الواقع لايستطيع المؤرخ أن يقحمها في زمرة الأعمال السيئة، فتاريخ المكتبات من قيصر إلى نابليون يشير إلى أن المكتبات كانت تعتبر من بين غنائم الحرب القيمة، ولكن انتزاع ملكية مكتبة البلاتين لأسباب دينية يبدو لي أمرا خطيرا جدا كما لا يبرره أن بطل البروتستانتية ومنقذها جوستاف أدولف قد مارس مثل هذه الافعال على نطاق واسع في غزواته العديدة، فالمكتبات في كل مكان أخذت تنهب بهذه الطريقة واحدة بعد الأخرى، ومكتبات الجزويت بصفة خاصة تسترعي الانتباه. حدث هذا في سنة ١٦٢١ في ولايات البلطيق ، وبعدها بخمس سنوات في بروسيا . وفي سنة ١٦٣١ لاقت نفس المصير المكتبات في فيرزبرج، ايشفيلد، ماينز، ايرفورت، ريناو، وفي السنوات التالية في برسلو، بامبرج، ميونيخ. وبعد وفاة الملك السويدي نهج جنرالات السويد نهجه في حماس بالغ ، فانتهبوا المكتبات وخاصة في سليزيا، وبوهيميا، ومورافيا. لقد اكتسبت أفعال جوستاف أدولف صفة الشرعية إذ استغل الغنائم التي جاء بها إلى بلده لأغراض ساميه، فقد بدت وسيلة لرفع المستوى التعليمي والتثقيفي في بلده ، وبالتالي فقد وزع الكتب والمخطوطات على مختلف الاماكن في السويد، وخص مكتبة الجامعة التي أنشئت في أبسالا Upsala سنة ١٦٢١ بأكبر نصيب من هذه الغنائم.

وفي كل هذا لعبت ألمانيا دور الخاسر المقاسي ، فقد جالت كلاب الحرب وصالت في مقاطعاتها طيلة عقود ثلاثة، وإن كانت المدن المحصنة المنيعة قد قاست أقل مما قاسى الريف المفتوح، فإن الإمحال الروحي والجدب الفكري قد ابتلعا كل البقاع في طول البلاد وعرضها ، ولم يكن تشتيت المكتبات وتخريبها هو أعظم خطب بليت به ألمانيا ، بل الأسوأ من ذلك فقدان كل صلة واحتكاك بالكتب سواء من جانب الأفراد أو من جانب المجتمع، وهي الصفة التي ميزت ألمانيا في القرن الذي سبق ، والآن أصبح من المحتوم البناء والتعمير من جديد، وهنا كما في كل النشاطات الأخرى كان أمراء الأقاليم من اوائل المسارعين إلى سد احتياجات البلد.

أما مكتبة وولفنبوتل التي أسسها يوليوس دوق برونز ويك فقد قدمها حفيده فرديك أولرك إلى جامعة هلمزدت. وأنشأ الدوق أغسطس مكانها مكتبة جديدة أفخم منها، فقد تلقى تعليما راقياً ولما نشبت الحرب عاش في إيتاكا Ithaca كما كان يسميها فقط ليجمع الكتب ويدرسها.

---

(١) Sum de bibliotheca quam Heidelberga Capta spolium fecit et Grogorio XV trophaueum misit Maximilianus dex bavariae.

ولما اعتلى العرش في سنة ١٦٣٥ شغل نفسه بالعمل على إنعاش حال مقاطعته ، وخص المكتبة الأوغسطينية Bibliotheca Augusta بوقت فراغه كله. وكان ينفق عليها سنويا ١٦ ألف تالر Thal-er بحيث بلغ رصيدها عند موته ٢٨ ألف مجلد من بينها ٢٠٠٠ مخطوط مما حدا بالدوق إلى أن يفخر قائلا « إننا لم نجمع هذه المكتبة بالعناية البالغة والمال الكثير والجهد المتواصل فقط ، ولكن بوسائل متعددة لايمكن تصديقها استطعنا أن نجعلها على ما هي عليه من نظام حسن وترتيب جيد، من الصعب أن نجد لهما نظيرا في أوروبا كلها » ولقد كان هو نفسه أمين هذه المكتبة كتب فهارسها بخط يده، ولم يتبع في تصنيف مجموعته نظام الأقسام الكبيرة ثم الفروع الذي أوصى به نوديه، ولكنه قسم المجموعة على نظام أكسفورد إلى عشرين قسما مترابطة.

لقد كانت هناك عوامل أخرى ، غير تلك التي كانت متحكمة في برونزويك، وهي التي دفعت أرنست Ernest دوق غوتا (المتوفى ١٦٧٥) إلى أن يجند كل قواه لإعادة بناء دوقيته التي خربتها الحرب فأحسن تنظيمها من الناحية الإدارية . وعمل بجد لصالح الكنيسة والمدرسة بحيث لقب بالأمير بين المربين وبالمربي بين الأمراء، ولم يكن إنشاؤه للمكتبة سوى جزء من البرنامج التعليمي الذي هدف إليه. واشتملت المكتبة في البداية على الكتب القديمة فقط، ثم غنائم الحرب التي جلبها أرنست معه إلى الوطن من الغزوات التي اشترك فيها بالسويد، وأضيفت إلى المجموعات كتب أخرى عن طريق الشراء.

وتعتبر المكتبة التي أنشأها فردريك وليامز الأمير المنتخب الأعظم في برلين خير شاهد على النشاط الملكي إذ إنه « وسط عجيج المعركة وانتصارات الفرسان » أصدر الأوامر في سنة ١٦٥٩ من أرض جوتلاند jutland باتخاذ الخطوات الأولى، وتم افتتاح المكتبة بعد سنتين من سلام أوليفا peace Oliva الذي حقق به أمن بلاده . حقا لم يقع في يد الأمير مخطوطات ديرية كثيرة، ولم يخلف الأمراء الذين سبقوه أشياء ذات أهمية . ولكن بإشرافه الشخصي ، وتخصيص دخل ثابت لها ، وحث الناس على تقديم الهدايا استطاع فردريك أن يصل بمجموعة المكتبة الى ٢٠ ألف كتاب. مطبوع و١٦٠٠ مخطوط. وكان مدير المكتبة أستاذاً من فرانكفورت يدعى هندريتش Hendriech ، وهو الشخص الذي ظلت فهارسه التي أنشأها ونظام التصنيف الذي وضعه معمولا به أكثر من مائة عام، وقد وضعت المكتبة فى بداية إنشائها في جناح من القلعة خصص لها، وفتحت أبوابها للاستعمال العام. وبإختصار قبل موت الأمير أقيم بناء منفصل للمكتبة لم يتعد الدور الأرضي. لقد أغرق هندريتش فردريك وليام مدحاً وتقريظا بسبب مابذله في سبيل المكتبة، كما قال عنه دارس آخر بأسوب العصر الخطابي إنه حقق من المكرمات ما يضعه في مصاف حكام الإسكندرية وبرغاموم.

الفصل السابع

عصر التنوير

«كـان هناك طابع واحـد للشـخص المثـقف في أوروبا فـي مـجـال العلم والأدب والحـيـاة الاجتماعية منذ عهد ليبنتز Leibniz حتى آخر القرن الثامن عشر ، وكانت هناك جمعية مجهولة تنتمي إليـها تلك العقول المفكرة ... هذه الجمعية المجهولة لاوجود لها إلا في المكتبات وهناك ستظل تعيش . ذكر هارناك harnack هذه العبارة في «النشرة المركزية لعلم المكتبات» .

Zentralblatt fur bibliotheksweson, XL, p, 536

وفى الحقبة المسماة بعصر التنوير تقدمت العلوم التي وضعت بذرتها في الفترة السابقة عليها بشكل ملحوظ . ووجدت رغبة ملحة في البحث والدراسة لم تعرف من قبل إلا في عصر النهضة، ولكن المفكرين لم ينظروا إلى الماضي كما كان الحال من قبل ، بل على العكس لقد كسروا كل القيود الفكرية التقليدية ، ونادوا باستقلال العقل المنظم وتحريره، واجتهد المفكرون في إيجاد تفسيرات منطقية لظواهر العلم في كل فروع المعرفة ، هذا النظام الجديد للبحث المتخصص سار جنباً إلى جنب مع المنهجية في العلوم ومع نوع جديد من التعاون الفكري العالمي المنظم . كما أنه في هذه الفترة أيضاً انشئت معظم الجمعيات العلمية[١] ، وتدين المكتبات الغربية لهذه الحقبة بطابعها الفكري الحديث .

ولنبدأ حديثنا بفرنسا ، ففي هذا العصر لم تكن فرنسا مركز الثقل السياسي والحربي فحسب ، بل تزعمت عالم الفن والأدب ، وشكلت أسلوب الحياة العامة. على الرغم من أنها لم تكن الأولى دائماً في دنيا العلوم إلا أنها كثيراً ماقدمت المصطلحات والتعبيرات المستخدمة في ذلك الوقت .

ولقد شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر أيضاً الدراسات العملية الحقة للتاريخ في فرنسا ، وذلك عندما كان ديكارت يكوّن مذهبه وأتباعه ، وعندما كان بايل Bayle الشكي ينشر قاموسه . وبنشر Acta Sanctorum وضع الجزويت منهجاً علمياً لجمع ونقد مصادر البحث .

---

(١) See Martha Arn.stein =The role of scienifict Societies in the seventeenth Century. Chicago, 1928 .

كما قام بمثل هذا العمل ، ولكن بنتائج أفضل طائفة من البندكتيين في سانت مورSt. Mour وعلى رأسهم الدارس العظيم مابيون[1] .

وفي باريس في دير سانت جيرمان بري German de Pres كوّن الموريون نوعاً من الأكاديمية وأنشأوا لها مكتبة وجلبوا لها أكمل مجموعة من الكتب من الأديرة القديمة لطائفتهم . وبعد مابيون جاء منتفوكو Montfoucon الذي حاول إعداد كتالوج موحد للمخطوطات الغربية ، والذي يعتبر أباً للفهرس المشروح .

وهذه المحاولات العلمية التي قام بها الجزويت والموريون لها أهميتها الخاصة في تاريخ المكتبات في فرنسا نظراً لاشتراك الوزير العظيم كولبير Colbert فيها، وهو الذي تابع التقليد الذي بدأه مازارين محباً وجامعاً للكتب . وكان المؤرخ باليز Baluze بالنسبة له مثل نوديه بالنسبة لمازارين، فأرسل البعوث باستمرار تجوب المقاطعات لشراء المخطوطات ، وعمل بنفس الحماس بالنسبة للمكتبة الملكية التي وضعت تحت إشرافه في عام ١٦٦١ بحيث قال معاصر له أن «كولبير لم ينس شيئاً من شأنه أن يزود المكتبة ويدبجها إرضاء لشعور سيدة[2] . ولقد كلف الدبلوماسيين الفرنسيين في الخارج بجلب الكتب للمكتبة ، كما أرسلت البعوث الخاصة إلى الشرق لهذا الغرض . ولهذا رصدت المبالغ اللازمة كما جاءتها الهدايا القيمة، وبذا تضاعف رصيد المكتبة أربع مرات عند وفاة هذا الوزير .

وإزداد الاهتمام الذي بدأه كولبير بالمكتبة بعد وفاته، فقد دعمها لويس الرابع عشر بكل الوسائل ، ولم يتوان خلفاؤه في اقتفاء أثره عند اعتلاء العرش ، بل إن البلاط بأجمعه قد ساهم بنفس الحماس في تزويد المكتبة، وكان من السهل أن يقدم الواحد منهم بعد الآخر مكتبته الخاصة الفخمة لتضم إلى رصيد المكتبة سواء بمقابل أو بدون . واستمر تكليف الدبلوماسيين الفرنسيين في الخارج بجلب الكتب لها كما ساهم الدارسون من أمثال الموريين في تزويد المكتبة فجاءها فيض هائل من المخطوطات الشرقية، خاصة من الشرق الأدنى ، بل ومن الهند والصين . وعند قيام الثورة الفرنسية كانت المكتبة الملكية تعد بحق أكبر وأغنى مجموعة من الكتب والمخطوطات في العالم .

---

(١) See, N.Berakarmp - Dom Jean Mabillon and the Benedictine histerical school of Saint-Mour-Washington, 1928.

(٢) Monsieur Colbert n'oublie rien de ce qu'il fautpou. augmenter et embellir la bibliotheque ofin de contenter la genereuse in - clinat- ion de son maitre ...

وكان التنظيم الداخلي لها يتمشى دائماً مع الزيادة في مجموعاتها ، ومن بين موظفيها كليمو Clement الذي يستحق الذكر بصفة خاصة، فقد بدأ في سنة ١٦٧٥ بإعادة ترتيب المجموعات في ٢٣ قسماً ، ولهذا الغرض أتم الفهرس المصنف ، وقام بجرد المخطوطات في ذلك الوقت . وطوال تلك الفترة قدمت أسرة بجنون Pigon خدماتها الجليلة للمكتبة، ففي عهد القس جان بول أعظم فرد في هذه الأسرة أضيفت أجنحة جديدة للمكتبة وذلك في عام ١٧٢٤ ، وفي العقد الذي تلى بدأ طبع الفهارس ، ولكنها مع ذلك لم تكتمل ، وفي نهاية الفترة المدروسة بلغ عدد موظفي المكتبة مالايقل عن ٥٤ موظفاً ، وأن المستوى العالي الذي كانوا يؤدون به واجباتهم يمكن استقاؤه من المحاضرة التي ألقاها القس كوتون دي هوساي Cotton des Haussayes في السوربون عام ١٨٧٠ تحت عنوان «واجبات ومؤهلات أمين المكتبة»(١) .

ولقد وجدنا في الفصل السابق بعض الإشارات المتفرقة عن التصنيف والفهرسة ، وهما العمليتان اللتان كرس عصر التنوير قوته لهما وخاصة في فرنسا ، بالذات ، فقد أثر تقسيم بيكون للمعرفة البشرية على المفكرين تأثيراً كبيراً(٢) وغرس الاعتقاد بإمكانية التصنيف الدقيق للمعرفة ، فتوالت النظم نظاماً بعد آخر وكان لقلة منها أهمية، إلا أن هذه النظم المقترحة جميعاً لم تطبق عملياً ، وظل المكتبيون يستخدمون في تصنيفهم الأقسام الخمسة السائدة في فرنسا (اللاهوت ، القانون ، الفنون والعلوم ، الآداب ، التاريخ) وهذا التقسيم من وضع كليمو – سالف الذكر – نقلاً عن مارتن تاجر الكتب الباريسي ، فقد رفع كتاب الموسوعات من قدر نظام تجار الكتب في باريس الذي وضعه مارتن هذا .

وفي البداية كان ارتياد العامة للمكتبة مغلقاً بالمصاعب ، وكان القس بجنون – سالف الذكر – أول من وضع القواعد لتسهيل استعمال المكتبة للعامة . وبهذه الطريقة كان بمقدور أعلام عصر التنوير استخدام المكتبة الملكية ، بل وأكثر من هذا اعترفت الجمعية الوطنية في ١٧٩٠ بأهمية المكتبة في الحياة العلمية، ولم تنقطع صلاتها بالدراسات التاريخية على الإطلاق ، وأنشيء بها قسم خاص للأنساب هدف إلى دراسة أسرة النبالة في التاريخ ، وأعمق من هذا

---

(١) De Devoirs et des qualitès du bibliothècairè The English translation Chicago, (1950).
ويه مقدمة ببليوجرافية مختصرة.

(٢) Portitio universalis doctrinae humanae .
ولعله من الممتع أن نشير إلى أنه بعد حرب ١٨١٢ وبعد إعادة بناء مكتبة الكونجرس بناء على مجموعة جيفرسون الخاصة فقد استخدم في تصنيفها نظام بناء جيفرسون على تعديل لنظام بيكون .

ألحقت بها خزانة الوثائق Cabinet des chartes[٢] وهي التي لعب الموريون في إنشائها دوراً أساسياً .

وعلى الرغم من كل هذا ، فإننا نحيد عن الصواب اذ خلعنا على المكتبة صبغة علمية خالصة فقد كانت فكرة أن المكتبة دليل على الفخامة والأبهة ، ومكان للاستعراض لم تزل مسيطرة عليها، فعند الشراء للمكتبة او الاختيار من الهدايا التي تقدم لها كان يراعى دائماً تفضيل الأشياء النادرة والثمينة بصرف النظر عن المحتوى الموضوعي لها ، والدليل على هذا أيضاً أنه كان بالمكتبة قسمان للكتب المطبوعة والميداليات أنفق عليها الملكيون بسخاء منقطع النظير .

أما في إنجلترا فإن الأمور كانت على نقيض ذلك تماماً ، فإن بعض الأفكار التي تميزت بها الفترة التي سبقت كانت ماتزال مسيطرة على عقول الذين وضعوا معايير المكتبات. ولم يحدث التقدم بنفس الطريقة التي حدث بها على الضفة الثانية من القنال . ففي فرنسا كان شخص الملك هو المحور الذي تركزت حوله كل الجهود التي بذلت لتطوير المكتبات . أما في إنجلترا فقد كانت الأمةكلها ممثلة في البرلمان . في فرنسا -كما رأينا - نبع الدافع إلى التطوير من جانب المؤرخين أما في إنجلترا فقد جاء من جانب الفلاسفة الطبيعيين . ولم تلعب المكتبة البودلية في حركة التطوير دوراً ذا بال . وليكن معلوماً لدينا أنها أهملت تماماً بعد بدايتها الرائعة : حقاً لقد اكتنزت بالهبات ، ولكن في عصر التنوير لم تعد الجامعات هي مركز الحياة العلمية في إنجلترا بل كانت مدينة لندن العاصمة وحدها الجديرة بتسليط الأضواء عليها .

ولقد ولدت فكرة إنشاء مكتبة كبيرة في لندن عدة مرات خلال القرن السادس عشر ، وفي منتصف القرن السابع عشر أثناء الاضطرابات إبان الثورة كان جون ديري john Dury أمين مكتبة الملك الخاصة غارقاً حتى أذنيه في مشاكلها . ونشر هذا المفكر الأصيل في سنة ١٦٥٠ كتاب أمين المكتبة المهذب The Reformed Library keeper ، ووصفه بأنه عامل مساعد على التعليم وعرض بعض وجهات النظر بدت قريبة الشبه بما تقوم به المكتبات العامة حالياً . وإن فكرة - وإن لم يلمسها ديري من قريب - تطوير المكتبة الملكية إلى مكتبة عامة نادى بها ريتشارد بنتلي Richard Bentley الذي كان مديراً لهذه المكتبة في نهاية القرن ، فقد كتب «اقتراحاً لبناء مكتبة ملكية وتأسيسها بقرار برلماني» كما طالب بمربوط سنوي من المال - كبير في الواقع - يخصص لرفع مجموعة المكتبة إلى ٢٠٠٫٠٠٠ مجلد ، ولكن هذه الاقتراحات لم يأخذ جزء منها

(٢) انظر Henri Omont = La collection Moreau - Paris, 1891 ويقال إنها بنيت أساساً على مجموعة من الوثائق التاريخية والأرشيفية قدمها المحامي الباريسي مورو .

سبيله إلى التنفيذ إلا بعد جيل على يد الطبيب سير هانزسلون Hans Sloone الطبيب الخاص للملك .

خلف سلون نيوتن في رئاسة الجمعية الملكية، وقد وصفه شاعر هجائي بأنه «أول زمانه» جمع كل شيء «نادر وغريب» ولكنه في الوقت نفسه يهدف إلى «توسيع معرفتنا في مجال الطبيعة» وهكذا جمع الحيوانات النادرة والنباتات والمعادن بالإضافة إلى الآثار ومجموعة ضخمة من الكتب والمخطوطات وأوقفها لصالح الأمة مقابل مبالغ من المال تدفع للورثة . وفي سنة ١٧٥٣ قبل البرلمان هذا العطاء ، وأضيفت إلى هذه المجموعة مجموعتان أخريان : المكتبة الكوتونية والمكتبة الهارلية فقد كان سير روبرت بروز كوتون Robert Bruce Cotton قد جمع مجموعة قيمة من المواد عن التاريخ الإنجليزي وقام حفيده روبرت بإهدائها إلى الأمة في سنة ١٧٠٠ ، ولكن النيران دمرتها بعد هذا التاريخ بقليل . وكانت مجموعات روبرت هارلي R.Harley (توفي سنة ١٧٢٤م) قد بيعت ، ولكن البرلمان استرد المخطوطات، وأخيراً أضيفت إلى هذه المجموعات مكتبة جورج الثاني الخاصة. والمجموعة الملكية هذه لها تاريخها منذ بدايتها في العصور الوسطى وزيادتها الهائلة على يد محب الكتب هنري السابع وخسارتها في فترة الاضطرابات الدينية[١] . وكم بذل الأمير هنري ابن جيمس الأول جهده في إنمائها واستفادت كثيراً منذ سنة ١٦٦٢ من قانون حق الطبع الذي يطبق حتى الآن لصالح المكتبة القومية .

واتخذ المتحف البريطاني – هكذا أصبح اسمه – مقراً جديداً في مونتاجو هوس Montagu House وافتتح للناس في سنة ١٧٥٩ وسمحت القوانين « بالدخول المجاني لكل راغب في الدرس والاطلاع » وفي الحقيقة كان الدخول إلى المكتبة مغلقاً بنوع خاص من صعوبة الرسميات . وعلى العموم فالمتحف البريطاني – كما يبدو من اسمه – لم يكن مكاناً للدرس بقدر ما كان مكاناً للعرض، ذلك لأن مجموعته في التاريخ الطبيعي مازالت تكون الجزء الرئيسي من مقتنياته . يفسر ذلك إن الأمناء الثلاثة الأول الرئيسيين بالمتحف كانوا من علماء الطبيعة وأعضاء في الجمعية الملكية .

وعلى الرغم من أن إيطاليا في العصر السابق كانت تقف في المقدمة على قدم المساواة مع كل من فرنسا وإنجلترا في شؤون المكتبات إلا أنها منذ منتصف القرن السابع عشر أخذت في التأخر في هذا المجال على الرغم من أنها لم تفتقر يوماً إلى الحركات الثقافية التي تؤثر في تطور المكتبات .

(١) لقد خربت مجموعة ضخمة ليس فقط من الصور الدينية بل أيضاً من الكتب في القرن السابع عشر بانجلترا انظر :
C.R.Gillet Burned books. New York, 1932.

لقد كان في إيطاليا موراتوري Muratori الذي كان يعمل في المكتبة الأميروزية ، وبعد سنة ١٧٠٠ اشتغل مكتبياً وأرشيفيا لدى أسرة است في مودينا ,Modena وقد أدخل طرق الموريين الدراسية إلى شبه جزيرة إيطاليا ، وبهذا أنشأ مدرسة التاريخ والآثار التي قامت وحدها بمعظم الدراسات في مختلف الميادين طوال القرن الثامن عشر ، وكان ثمة عضو آخر في هذه المدرسة مثل اتجاه موراتوري والموريين ألا وهو ماجليابتشي Magliabechi أمين مكتبة البلاط التوسكاني، وكان حاد الطبع قبيح الشكل موضع سخرية الناس، ولكنه مع ذلك استطاع أن ينال شهرة عالمية، وأن يراسل الثقاة من العلماء في ذلك الزمان، فقد تملكه حقاً جنون حب الكتب، فكانت الكتب في منزله، في أكوام تبلغ السقف ، وكان يصل إلى مايريده بهدى من ذاكرته القوية، لقد سماه مابيون «متحفاً متنقلاً ، ومكتبة زاخرة بالحياة» museum inambulam et viva quaedam bibiotheca. وعند موته في سنة ١٧١٤ أهدى مكتبته إلى الدوق العظيم، وبها وضع الأساس للمكتبة القومية bibioteca nazional في فلورنسا والتي مازالت إلى اليوم(١) .

ومن المكتبات الإيطالية التي أنشئت آنذاك مكتبتان تستحقان الذكر : مكتبة الكاردينال كازانات casanate في روما ، وكان صديقاً لمابيون وباليز ، ومكتبة بريرا Brera في ميلانو التى أنشئت في كنف الإمبراطورة ماريا تريزا maria theresa سنة ١٧٧٠ ، وتمثلت فيها روح عصر التنوير . ولقد تم في تلك الفترة أيضاً مشروعان في منتهى الأهمية والابتكار ممثلين في فهرس مخطوطات مكتبة لاورنت الذي قام به بانديني في فلورنسا ، وفهرس كتب مكتبة كازانات المذكورة، والذي قام به أوديفردي Audifredi .

وإذا ولينا وجهنا شطر ألمانيا فسوف نعالج الأمور بتفصيل أكثر من البلاد السابقة. وهذا الإتجاه إنما يمليه عاملان : الأول يتمشى مع خطة الكتاب التي تقضي باختبار ألصق بالمكتبات الألمانية أكثر من المكتبات الأخرى ، والثاني أن حالة المكتبات الألمانية نفسها تستدعي هذا التفصيل . فإنه ابتداء من سنة ١٦٥٠ ومنذ أن أخذت جروح حرب الثلاثين عاماً تلتئم ، شاركت ألمانيا بدور فعال في الحركات الثقافية الغربية . ونتيجة لذلك فقد بلغت بعض المكتبات درجة عظيمة من التقدم تليق بأمة عريقة فيها ثقافة ، بحيث تفوقت على المكتبات في فرنسا في نهاية الفترة التي ندرسها .

ولقد وصلنا تقرير ان عن المكتبات الألمانية : يأتي في الدرجة الأولى من الأهمية تقرير أوفنباخ uffenbach ثم تقرير هيرشينج ,hirshing ويرجعان إلى نهاية القرن الثامن عشر، وكلا

(١) Cf. W.E. Axon = "An italion Librarian of the xviiond XViii Centuries Antonio Maglia bech" library association record V, 1903. 39-67.

التقريرين يرسم صورة حية لما وصلت إليه غالبية المكتبات التي تخدم الجمهور من سوء : من مكان ضيق «وتصنيف ضعيف و فهارس ناقصة، واستعمال سيىء . ولكن هذا الوصف مبتور ولايخلو من تحامل . ورغم ذلك فإنه يصدق على معظم المكتبات التي وجدت حينذاك .

لقد اقتصر وجود مكتبات الكنائس على المدن الكبرى . وأهملت مكتبات المؤسسات الدينية والأديرة إهمالاً تاماً ، وساد الاتجاه في عصر التنوير هذا إلى التخلص من مخطوطات الرقوق عن طريق البيع، فقد عرضت ، على سبيل المثال ذخائر دير ويزنبرج لبيعها إلى الصاغة لولا أن تدخل بعض ذوي الرأي وحالوا دون بيعها، واحتفظوا بها في ولفنبرج . إلا أن هذه الصورة القائمة لم تكن هي السائدة في كل مكان، فقد كانت هناك سلسلة كاملة من الأديرة الفرنجية والبافارية تحتفظ كل منها بمجموعات من الكتب القيمة أعيد تصنيفها ورصدت المبالغ اللازمة لتنميتها. كما أنها لم تفتقر إلى مبان جديدة فخمة، وإني لأذكر مبنى الركوك Rococo الجميل في أموورباخ مثالاً صادقاً على ماأقول . وفي دير سانت بالاسين Blasien في الغابة السوداء جد نوع من النشاط الثقافي، تحت تأثير الموريين . بلغ قمته في عهد القس جربرت Gerbert قبل الثورة .

أما مكتبات البلديات فقد بلغ معظمها درجة من السوء لايمكن تصورها، ولم يبق على حاله السابق غير قلة قليلة منها، فتقدم المكتبات لم يوجد إلا في قلة من المدن الكبرى ، ففي فرانكفورت ومين أدمجت المجموعات التي وجدت مستقلة في ذلك الوقت لتكون مكتبة عامة عام ١٦٦٨ ، كما وجدت بعد هذا التاريخ وظيفة أمين مكتبة . وفي ليزج أنشئت مكتبة بلدية كان أصلها مكتبة خاصة ثم نمت وتطورت . والشيء الفذ هو إنشاء مكتبة هامبوجغ التجارية ham-burger kommerz bibliothek في عام ١٧٣٥ ، ويرجع فضل إنشائها إلى طبقة التجار الذين جمعوا كتباً معظمها يعالج التجارة وشؤون الشحن والتفريغ بالإضافة إلى كتب تعالج مسائل محلية تتعلق بمدينة هامبورج .

على أن الذي يدعو إلى العزاء والحالة هذه هي ظاهرة إحياء وبعث المكتبات الخاصة، ففي هذه الناحية كان التئام الجروح التي سببتها الحرب الشريرة أسرع . وإقامة هذا النوع من المكتبات إنما يعكس الروح العامة في ذلك العصر ، وتتضح أهمية هذه المكتبات بصورة جلية من تقرير أوفنباخ ، كذلك يشير هيرشنخ إلى أنها قد زادت كثيراً كماً وكيفاً . فإلى جانب المكتبات الخاصة في درسدن وهامبروج وڤيينا، وجد في برلين ونورمبرج أكبر عدد من المكتبات الخاصة. وهذه المكتبات الخاصة وإن لم يضخم عدد الكتب في كل منها إلا أن قيمتها العلمية والدراسية

فاقت حدود التصور ، فالكتب العلمية وشبه العلمية كانت تشكل الجزء الأعظم من هذه المجموعات ، وعلى العكس من ذلك كانت كتب الأدب قلة . أما مكتبات بلاط الأمراء فقد استمرت يغلب عليها صفة المزج بين حجرة العرض وحجرة الدراسة كما وجدنا في الفترة السابقة .

لقد تطورت مكتبة البلاط في فيينا لتضم أفخم مجموعة من الكتب والأشياء النادرة في أوروبا . وقد أخذ شأنها يعلو منذ دعي إليها لامبيك Lambeck – مواطن من هامبورج ، الذي سافر كثيراً وعقد الصلات مع الهيئات العلمية الدولية، وارتفع قدره كعالم كبير . لقد عمل في ڤيينا من سنة ١٦٦٣ – ١٦٨٠ . هذا وإن وصفه للمخطوطات التي وضعها في «كتاب التعليقات Commentari قد بلغ درجة متناهية من الدقة جعلته يقف على قدم المساواة مع الفهرس المشروح catalogue raisonne الذي وضعه مونتفاكون الفرنسي وإن اقتناء الكتب والمخطوطات الذي بدأ بصورة كبيرة في منتصف القرن السابع عشر قد بلغ صورة أكبر فى القرن الثامن عشر في حكم الإمبراطور شارل السادس ، ففي ذلك الوقت أضيفت إلى المكتبة مجموعات يوجين Eu-gene أمير سافوي مما حدا إلى إضافة أجنحة جديدة للمكتبة قام بها ماسترفيشرفون إيرلاخ M.F. von erlach .

أما مكتبة برلين التي أنشأها الأمير المنتخب العظيم، فقد كانت لها طفراتها وكبواتها، ففي حكم خلفائه المباشرين نمت المجموعة واكتنزت في الشرقيات خاصة. وفي سنة ١٦٩٩، جرياً على ماهو معمول به في فرنسا ، طبق نظام الإيداع القانوني لصالحها، وصادفت أيام نحسها حكم الملك العسكري فردريك وليام الذي قطع راتب موظفيها وحول جزءاً من مخصصاتها المالية إلى قواده العسكريين وكان موجود الكتب مهدداً بتوزيعه على المؤسسات الأخرى ، حتى فردريك العظيم الذي كانت له صلة يومية بالكتب ، والذي أنشأ مكتبات عدة في مختلف قلاعه، والذي كانت تصحبه مكتبة متنقلة في أسفاره حتى هو لم يبد إلا القليل جداً من الاهتمام بالمكتبة الملكية لفترة طويلة، ولم يتغير اتجاهه إليها إلا منذ سنة ١٧٧٠، فخصص مبالغ كبيرة من المال لشراء الكتب لها حتى قفز عدد المجلدات بها في فترة وجيزة إلى ١٥٠٫٠٠٠ مجلد، ولضيق المكان أقيم بناء جديد لها عرف بالكومود kommode, وعلى الرغم من ذلك فالتنظيم الداخلي لم يتحسن، وذلك لقصور في عدد الموظفين اللازمين لإدارة المكتبة .

لقد كان شارل يوجين charls Eugene من فيرتمبرج أحد المعجبين بفردريك العظيم، وأحد

---

(١) أسست في سنة ١٧٧٠، كاكاديمية عسكرية في بداية الأمر ، ثم تحولت إلى جامعة عامة . وفي سنة ١٧٩٤ حلت على يد الدوق لويس يوجين من فيرتمبرغ .

المتطرفين لفلسفة الاستبدادية . وبالإضافة إلى مكتبة كالزكوك Karlsschule(١) أقام مكتبة عامة بلغ موجود الكتب بها بفضل كده في جمع الكتب لها مايقرب من ١٠٠٠٠٠ عند وفاته في سنة ١٧٩٣، لقد كان الدوق يقوم بنفسه بإصدار القرارات ويباشر جميع الأعمال في المكتبة مباشرته للسلطة السياسية في مقاطعته، وبالطبع كان يركز اهتمامه على الكتب النادرة وخاصة مجموعته من الأناجيل، والحادثة التالية تصور مبلغ اهتمام 'أمراء تلك الفترة بكتبهم النادرة، فحينما طلب الأستاذ مايكلز Micaelis من جوتنجن السماح له باستعمال إنجيل عبري من مكتبة كاسل في سنة ١٧٦٧ أذن له اللاندجراف، ولكنه أوصل المخطوطات في جوتنجن في حماية كوكبة من الفرسان.

كما لايفوتنا أن نذكر كلمة عن مكتبة سانت بيترسبورج st. petersburg فلكي يرتفع بالثقافة الروسية إلى المستوى الذي بلغته في الغرب فكر بيتر العظيم peter the Great في إنشاء مكتبة تؤدي ذلك الغرض . ولكن من قام على تنفيذ هذه الفكرة إنما كانت كاترين الثانية catherine II التي كانت معجبة بفولتير . وكانت نواتها مجموعة وارسو التي كانت تملكها أسرة زالوسكي Za-luski وكان نبلاء بولندا قد قاموا على خدمة شعبهم وتنويره عن طريق إحياء العلوم والآداب ، وجمعوا مكتبة تربو على ٢٠٠٠٠٠ مجلد ، وسمحوا باستعمال العامة لها في سنة ١٧٤٨ ، ولكنها لم تلبث أن أصابها الإهمال إلى أن نقلت إلى سانت بيتر سبورج كغنيمة حرب ، ومن بين المجموعات التي أضيفت إلى هذه المكتبة مؤخراً مجموعة دبروفسكي Dubrovsky موظف السفارة الروسية في باريس ، والذي قام بجمع أحسن المؤلفات من الأديرة الفرنسية إبان الثورة، ومنها المخطوطات القيمة التي وجدت في كوربي . وفي خلال القرن التاسع عشر كانت مكتبة سانت بيترسبورج تنمو وتزداد بنفس الطريقة ، وكانت دائماً تحرز أحسن النتائج إلى أن أصبحت اليوم واحدة من أغنى وأفخم مكتبات العالم(١) .

ومن المآخذ التي أخذها أوفنباخ على المكتبات الألمانية قصور كفاءة الموظفين بها فقد وصفهم : بالجهل ، وقلة الأدب ، والتحاسد ، والكسل ، وقد أيده في ذلك تشخيص هيرشنج ، فقد ذكرهم بقلة أو انعدام خبرتهم بالكتب ، وأنهم جهله نافرون يعادون الناس ، ينظرون إلى وظائفهم على أنها (سنقور) Sinecur(٢) ويبدو لي حقيقة أن المعلقين لم يظلما الموظفين في تقريرهما هذا، فإن ليسنج Lessing نفسه حين استدعي إلى مكتبة وولفنبوتل في سنة ١٧٧٠

(١) كانت الثورة الشيوعية ذات أثر فعال في هذا المجال وبالنسبة لجميع المكتبات الروسية انظر الفصل التاسع.

(٢) وظيفة دينية بمرتب دون عمل حقيقي في مقابله (المترجم) .

ليتولى أمانتها وطن نفسه على أن يستخدم المكتبة ويفيد منها أكثر بكثير من استفادتها منه، ونتيجة لذلك أهمل عمله كلية مما أدى إلى فوضى شاملة .

وعلى الرغم من هذا فواجبنا أن نؤكد أنه لم يكن كل المكتبيين على شاكلة ليسنج هذا، فإن هذه الإنتقادات المرة التي علت إنما تشير إلى وجود فئة أخرى مخالفة. ففي نفس البقعة التي قضى فيها ليسنج أيامه الأخيرة عاش الرجل الذي ينظر إليه على أنه قائد عصر التنوير في ألمانيا، الرجل الذي وضع المبادىء الممتازة التي تبنى عليها واجبات أمين المكتبة، وذلك الرجل هو جو تفريد ويلهلم ليبنز Gottfried Leibniz .

فقد أعجب ليبنز في طفولته بمكتبة أبيه، فلما كبر اشتغل أمين مكتبة عند محب الكتب فون بوينبرج von boinburg من ماينز، وخطط لأول مرة لمشروعه الببليوجرافي ، على شكل مجلة العلماء journal des savants الذي هدف إلى تجميع مختار نصف سنوي للكتب Nucleus librarius ، ثم تجميع هذه الإصدارات نصف السنوية بحيث تصبح حصراً للمعرفة الإنسانية الموجودة في الكتب . وكان يعتقد أن تقدم المعرفة البشرية ممكن لو أن كل باحث تمكن من مطالعة جميع المؤلفات السابقة .

وكانت إقامة ليبنز في باريس ذات أثر قوي عليه وخاصة أنها عاصرت النهضة الكبيرة التي تواجدت في المكتبة الملكية في عهد كولبير، ووطد صداقته بكل من كليمو وباليز ، وقرأ كثيراً عن الشئون المكتبية، ومن بين ماقرأ مشروع نوديه، ومنذ هذا التاريخ أيضاً توطدت صلات ليبنز بالمثقفين من الجزويت والموريين . وبدراساته التاريخية افتتح عهداً جديداً في الدراسات التاريخية الألمانية ، وأن إدراكه العميق لأهمية مكتبات البحث كان نتيجة حتمية لهذه الدراسات .

وفي سنة ١٦٧٦ استدعي ليبنز إلى هانوفر Rococo ليعمل أميناً لمكتبتها ومؤرخاً في نفس الوقت، وبعد هذا التاريخ بخمسة عشر عاماً تولى إدارة مكتبة وولفنبوتل ، وتدين له المكتبات في نمو مجموعة الكتب بها ، وتدين له وولفنبوتل بالذات في إنشاء فهرس هجائي لها، وإقامة مبنى بيضاوى الشكل ذو قبة بها مسقط النور، وقد أثار موجة من الدهشة والإعجاب . وفي الحق يستحق ليبنز مكان الصدارة في تاريخ المكتبات ليس فقط بسبب الإنجازات التي قام بها بل أيضاً لمبادئه وأفكاره ومشروعاته التي تضمنتها مراسلاته واقتراحاته العديدة للأمراء الجلفين Guelphs .

إن المكتبة المثالية في نظر ليبنز هي مجموعة متكاملة أحسنت إدارتها وخدمتها ، ولقد كان يكد في استخدام الاستعارات وصور المجاز ليوضح أهميتها إذ قارن المكتبة بخلاصة من

الرجال تجمعوا من كل العصور والأجناس ليوصلوا إلينا زبدة أفكارهم . وإن مكتبة كهذه تؤدي للدولة والمجتمع نفس الوظائف التي تؤديها الكنيسة والمدرسة . لقد كان يقيس قيمة المكتبة ليس بعدد ماتضمه من كتب ، بل بنوع هذه الكتب وماتحويه من معلومات ، ولم يكن ليهتم في هذا الصدد بالنادر من الكتب، بل بأمهات المؤلفات التي اسدت ركناً في عالم المعرفة . وإن مؤلفات صغيرة تشبع رغبة القارىء خير من مجلدات ضخمة خالية من الفحوى . ولقد علق أهمية كبيرة على انتظام تزويد المكتبة بالدوريات والكتب الجديدة، وأن أى إهمال في هذه الناحية يمكن أن يؤدي إلى انحلال المجموعة كلها ، ولن يتأتى هذا إلا بتخصيص مخصصات سنوية كافية للمكتبة . ولهذا كان ليبنز يلاحق الأمراء الجلفيين بطلباته من المال كما كان يبتكر مختلف الوسائل لإيجاد مصادر جديدة للدخل . وفي حله لمشاكل الفهرسة والتصنيف تجلت فراسته وقوة إدراكه العملية، وكان يفضل مثل الفرنسيين التصنيف العملي المحدد «التصنيف الدقيق الذي يتدرج من الكليات إلى الجزئيات» . كما كان يفضل الفهارس الهجائية كما أعرب عن رغبته في فهرس يرتب المقتنيات حسب تواريخ النشر ، كما كان يوصى دائماً بالكشافات الموضوعية indices materiarum التى ترتب بالكلمات الدالة catch words .

إننا نصادف كثيراً من آراء ليبنز في مشروع نوديه ومؤلفات ديري وبنتلي ، ولكن هذا لايقلل من خطورة رأيه الذي يكشف عن أهمية مكتبات البحث والمراجع الكبيرة وطرق الاستفادة منها وتطويرها[1] . وكم يكون جميلاً لو تتبعنا الأثر الذي تركه ليبنز في معاصريه والأجيال اللاحقة، وهنا يمكننا فقط أن نكشف عن أثره في مواضع قليلة .

فمن المرجح أنه بناء على توصيات ليبنز بالتعاون في مجال الفهرسة والتزويد أرسلت هذه المقترحات من هانوفر إلى هيلمزدت ، إلا أن عدم كفاءة الأمين القائم على المكتبة هناك جعلته لايقبل التعاون ، وفي سنة ١٧٢٤ م انتقل تلميذه إيكهارت Eckhart إلى وير برج wursburg ، وقام على فهرسة وتصنيف مجموعات الجامعة الفرنجية، فأظهر ابتكاراً ونبوغاً ، كما وضع لها ميزانية منتظمة ولائحة مرنة للاستعمال .

إلا أنه ليس من السهل علينا إدراك الطريقة التي نفذت بها آراء ليبنز إلى عاصمة ساكسونيا ، وسبق أن ذكرنا أن درسدن كانت مكتنزة بالمكتبات الخاصة، فقد كان جمع الكتب هواية في ذلك الوقت خاصة بين الطبقات الراقية وإن المثل الأعلى لذلك كان هو الكونت بروهل

(١) لمعلومات أكثر تفصيلاً أنظر :

A.L. Clarke = "Leibnitz as a librarian" The Library III, Ser.5,1914 140 - 154.

Bruhl الذي جمع عدداً من المجلدات القيمة يربو عددها على ٦٢٫٠٠٠ مجلد «وكان من بين خصومه السياسيين ومحبي الكتب الكونت بوناو Bunau الذي كان على النقيض من بروهل ينبع حبه للكتب عن رغبة حقيقية في البحث والاطلاع لاعن رغبة في المفاخرة والمباهاة «فكان يقضي ساعات فراغه في تتبع ممتع للدراسات التاريخية على طريقة ليبنز والموريين ، ولقد قوبل تاريخه العظيم الذي كتبه عن الإمبراطورية الألمانية وأباطرتها بحماس بالغ وأكسبه تقديراً عظيماً في كل ألمانيا . ودارت مجموعة كتبه حول الدراسات التاريخية ، وكانت قيمتها عظيمة على الرغم من أنها تأتي في المرتبة الثانية لمجموعة بروهل من حيث الحجم .

وابتداء من عام ١٧٤٠ فصاعداً أخذ فرانكي Franke الذي كان في خدمه الكونت بناء على أمر وتوجيه من سيده ، في نشر فهرس لمكتبه بوناو هذا تحت عنوان فهرس مكتبة بوناو Catalogus Bibliothecae Bunavianae ، وعلى الرغم من أن هذا العمل لم يكتمل إلا أنه نال التقدير خارج الحدود الألمانية ، وذلك لتفريعاته الأصلية التي وضعت طبقاً لأسس تاريخية وجغرافية . وفي الستينات حينما أدمجت مجموعات بوناو وبروهل في مكتبة البلاط بدرسدن جند فرانكي نفسه لخدمتها . فقام بإعادة تصنيفها طبقاً لأسس كان اختبرها في عهد بوناو . ثم واصل المؤرخ أديلونج Adlunge عمل فرانكي . وفي ذلك الوقت نقلت المكتبة إلى مقر جديد في القصر الياباني Japanese palace واكتملت الفهارس الناقصة في ذلك الوقت كما رصدت لها المبالغ اللازمة لشراء الكتب .

وعلى الرغم من أن مكتبة درسدن في نهاية القرن الثامن عشر كانت تعتبر من أهم المكتبات الألمانية ، فإن مكتبة جامعة جوتنجن قد تفوقت عليها ليس فقط لأنها نفذت البرنامج الكامل الذي وضعه ليبنز، ولكن أيضاً في مدى مطابقتها وتمشيها مع أغراض الجامعة التى أنشئت على أسس حديثة ، ويرجع الفضل في ذلك إلى البارون فون ميونخهوزن von munchhousen أول وكيل لجامعة جوتنجن الذي قدر منذ البداية مايمكن أن تحدثه تحقيق ذاتية وشخصية الجامعة عن طريق مكتبتها الخاصة .

وإن نظرة واحدة إلى مكتبات الجامعات الأخرى في ألمانيا لتكشف عن الوضع الذي تميزت به جامعة جوتنجن في ذلك الوقت وحسبما ورد في تقرير هيرشنج فإن الحال كان مرضياً ، أو على الأقل مقبولاً في قلة من الجامعات ، وفي الغالبية العظمى كان الحال سيئاً أحياناً أو دائماً ففي إحداها لم يكن يمكن الوصول إلى الكتب لأن الأمين كان خارج المدينة ، أو لأن مرضه أدى إلى إغلاق المكتبة طوال الشتاء، وفي أخرى كانت حجرات المكتبة معتمة ونوافذها مكسرة

ومغطاة بخيوط العنكبوت ومملوءة بالسناج والعفن ، وفي ثالثة وضعت الكتب على رفوف عالية تحتاج في إحضارها إلى بهلوان ماهر أو سقاف حاذق ففي هالي نفسها حيث ساد المذهب العقلي الألماني كانت الأحوال محزنة حتى بعد منتصف القرن الثامن عشر ، أساساً لأن الدراسات الفيلولوجية والتاريخية قد توقفت تماماً ، بينما سارت هذه الدراسات في جوتنجن بمنتهى النشاط والقوة .

وظل فون ميونخهوزن حتى وفاته سنة ١٧٧٠ يقوم بنفسه على شراء الكتب ورتب من يمثله في المزادات الهامة، ونظم عمله مع تجار الكتب المحليين والأجانب . وكانت رغبات أساتذة الجامعة تحترم إلى أبعد الحدود ، وبالإضافة إلى ذلك كان فون ميونخهوزن يعرف كيف يقنع الناس بتقديم الهدايا إلى مكتبة الجامعة. كل هذه النشاطات الخلاقة إنما ترتبت على المبادىء التي وضعها ليبنز ، فكانت المجموعات تنمو وتزداد في كل فرع من فروع المعرفة ، وكانت الكتب التي ترد أثناء العام الدراسي توضع تحت تصرف نقاد الكتب من نشرة جوتنجن المسماة Got-tinger Gelherte Anzeigen ، فقد كان من أهداف فون مينخوزن خلق التعاون الوثيق بين المكتبة وبين مطبوع الجامعة هذا الذي سرعان ماشتهر وقدرته الأوساط العلمية في كل أنحاء العالم .

لقد كان المدير الحقيقي للمكتبة هو البروفسور جزنر، وعنه يقول كاتب ترجمته «لقد كان الأول بين المكتبيين ليس فقط في علمه وسعة أفقه ، بل أيضاً في دماثة خلقه وبشاشته التي يقابل بها الزائرين[1] وفي واحد من تقاريره يطالب جرنر أمين المكتبة بألا يكون كالممول ، يجمع الكتب فحسب بل عليه أن يشرك في ثروته الثمينة هذه أكبر عدد من الناس ، وإنه لينظر إليه على أنه أحد مؤسسي فيلولوجيا الإنسانيين الجديدة وخلفه في رئاستها هين Heyne الذي كان يشغل منصباً فى مكتبة الوكنت بروهل سابقة الذكر ، وفي سنة ١٧٦٣ وكان قد وطد صلته مع ونكلمان winchelmann وفي جوتنجن نظم المكتبة على أوسع نطاق وتمكن بفضل ذهنه المتوقد من أن يجد حلاً عملياً لكل مشكلة صادفته . لقد جمع في شخصه بين كل من فون ميونخهوزن وجزنر بل وأكثر من هذا أضاف أشياء جديدة . وإن مجموعة الستين ألف مجلد التي تسلم الأشراف عليها ولم يمض عليها عشرون عاماً تضاعف حجمها ولم ينقض القرن إلا وبلغت مائتي ألف .

لقد كانت المكتبة في البداية تحتل إحدى قاعات المحاضرات فلم تلبث أن احتلت مبنى المحاضرات كله ، وأضيف إليه جناح آخر دعت إلى إنشائه الزيادة الهائلة في المجموعات.

---

non modo scientia bibiothecariorum omnium long princeps erat, sed etiam elegentissima, humanitate et exprompta adversus facilitate. J. V Ernesti = humanti = Narration se lonne Matthia Gasnero ... Leipzig, 1826, 30.

لقد استخدم في تصنيف الكتب بها تصنيفا علمياً عملياً محدداً حسب توصيات ليبنز ، أما نظام الفهرسة فكان فجأ في البداية ولم يتعد مرحلة البداية وكانت هناك أخطاء جسيمة، ولقد كان بعد سنة ١٧٨٢ أن تعرف هين على مساعد ممتاز وهو ريبس reuss ونجحا معاً في خلق رابط قوي بين ترتيب الكتب على الرفوف والفهرس والتأكد من أن كل كتاب جديد قد أدخل في سجل الرصيد وفهرس المؤلف وفهرس الموضوع .

وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت شهرة مكتبة جوتنجن على كل لسان . ولقد كان من السهل عليها أن تجمع بين جوقة كاملة من العظماء من بينهم أذكى العقول من أمثال هيردر herder جوته Goethe فون همبولدت vonhumboldt مما جعل أسافل الناس وحسادهم يصرون على أن أساتذة جوتنجن العظام إنما يدينون بنجاحهم وتفوقهم لمكتبة الجامعة فقط .

الثورة الفرنسية
والقرن التاسع عشر

أخذت المكتبات منذ نهاية العصور الوسطى في النمو والتطور بخطى ملحوظة فمع بداية عصر النهضة وجدت المكتبات نفسها أمام عدد من المشكلات الجديدة تتعلق بالتنظيم الداخلي . وكما خلق عصر النهضة مكتبة المراجع الدراسية فقد وجد القرن التاسع عشر نفسه مزدحماً بسلسلة من المشاكل المعقدة تتعلق بتنظيم المكتبات . وبدخول عصر النهضة انقلبت ملكية أعداد ضخمة من الكتب إلى ملاك جدد وقد حدث هذا الأمر مع بداية عصر التنوير بدرجة كبيرة . وفي الفترة السابقة كانت حركة الإصلاح هي القوة المحركة أما الآن - في هذه الفترة - فإن القوة الدافعة كانت هي الثورة الفرنسية .

ففي نوفمبر ١٧٨٩ أصبحت الكنائس في فرنسا ملكاً للدولة وبعد ثلاث سنوات صودرت مجموعة كتب المهاجرين ، حتى ليقال إنه حجز في فرنسا في ذلك الوقت ثمانية ملايين كتاب منها مليونان في باريس وحدها . وأصبحت المشكلة الحقيقية هي المحافظة على الأعداد الهائلة من الكتب، وتصنيفها ووضعها لاستخدام العامة وأصدرت الحكومات الثورية المتعاقبة سلسلة طويلة من اللوائح والقوانين الإدارية كما وضعت أسس فهرس فرنسي موحد عظيم ولكن الوقت كان مايزال طويلاً لإنضاج هذه الإجراءات . وعلى العموم فقد استقرت أعداد هائلة من الكتب في مخازن مؤقتة سميت المخازن الأدبية Depots litteraires ومنها نشأت مكتبات الأحياء التى أسندت إدارتها إلى سلطات البلدية في سنة ١٨٠٣ بينما بقيت الحكومة مجرد قوة مشرفة. ولكن الرغبة في هذه المكتبات العامة لم تشتد إلا بعد وقت طويل فلم يوضع نظام عام لضمان فاعلية هذه المكتبات إلا بعد منتصف هذا القرن (التاسع عشر) تبعه بعد ذلك بقليل إعادة تنظيم المكتبات الجامعية(١) .

فقد أسست ثمانية مخازن للكتب في العاصمة (باريس) ، يضاف إلى ذلك مجموعات الكتب

---

(١) انظر : Charles Mortet = "The public Libraries of France,national, Communal and University" Library Associaion Record,n.s.vol.III, 1925. 145-159.

الإضافية في المعاهدة الجديدة، : الإرسنال arsenal سانت جنفييف الأهلية Bibliotheque Na-tio nale وقد زادت مقتنيات المكتبة الأهلية إلى حوالى ٣٠٠،٠٠٠ مطبوع بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات من بينها ذخائر سانت جيرمان بري والسوربون . كما أن الأقاليم قدمت نصيبها من الكتب إلى المكتبة الأهلية وحينما عادت جيوش الجمهورية والإمبراطورية منتصرة من الأراضي المنخفضة وألمانيا والنمسا وإيطاليا أحضرت كثيراً من الكتب القيمة إلى باريس من مكتبات هذه البلاد . ولم يرد إلا أقل القليل منها بعد سقوط نابليون . وقد صدر في سنة ١٨٠٥ قانون يقضي بإكمال مجموعات المكتبة الأهلية بقدر الإمكان من مقتنيات المكتبات الأخرى في فرنسا عن طريق تبادل المكررات في مجموعاتها . وعلى الرغم من أن هذا القانون لم ينفذ بكل دقة إلا أنه منذ ذلك الوقت تقرر أن تكون المكتبة الأهلية هي المكتبة الرئيسية في فرنسا ليس اسمياً فقط وإنما بالفعل أيضاً . وفي نفس الوقت جددت ودعمت القوانين القديمة الخاصة بالإيداع القانوني لنسخ من الكتب التي تنشر في فرنسا(١) .

ويعتبر هذا التصوير السريع لمجموعات المكتبة الأهلية مبتوراً إذا لم نذكر الجهود الضخمة التي بذلها جوزيف فان برايت joseph van Braet الذي كان في ذلك الوقت مديراً لقسم الكتب المطبوعة . إذ يرجع إليه الفضل أولاً وأخيراً في انتهاز كل الفرص التي قدمتها الظروف آنذاك . وفي ظل قيادته وضعت القوانين الحكومية الخاصة بتقديم خدمات المكتبة لكل شخص، موضع التنفيذ . وهو وحده - بفعل ذاكرته الخارقة - كان يشق طريقة وسط هذه الذخائر المكدسة واستحق - بحق - أن يلقب بالفهرس الحي Le catalogue vivant .

لقد كان للثورة أثران غاية في الأهمية بالنسبة لتاريخ المكتبات الفرنسية مما :

مركز مجموعات الكتب ، ووضع الكتب لاستخدام عامة الناس، ولننتقل الآن لنرى كيف اقتفت ألمانيا أثر جارتها .

فقد تسبب انحلال طائفة الجزويت في ألمانيا في انتقال عدد ضخم من الكتب وفي نفس الوقت بدأ كثير من الكنائس والأديرة الأخرى في عرض كنوزها من الكتب والمخطوطات للبيع مما هيأ فرصة ذهبية لجامعي الكتب والوكلاء وتجار الكتب والمخطوطات . ومن هؤلاء موجيرار Maugerard البندكتي الذي فاق كل زملائه في حيله وطرائفه في الحصول على الكتب بأقل ثمن .

(١) See : Henri Lemaitre = Histoire du dèpot legal. ler partie. Paris 1910., Robert Grouzel = Le dèpotlègal . Toulouse 1936.

وابتداء من عام ١٧٩٤ وماتلاه كانت هناك زيارات على طول الراين يقوم بها عملاء فرنسيون، ومع بداية القرن (التاسع عشر) كان موجيرار أحد هؤلاء العملاء يضع كل معرفته وخبرته في خدمة موكليه الباريسيين مما حدا بهم إلى تخليد اسمه على قرص معدني أقيم خصيصاً لهذا الغرض . فلم يجد طريقه إلى مخازن الكتب التي بدأ إنشاؤها على التربة الألمانية إلا الكتب القليلة القيمة فقط . ولم تتعرض إحدى الولايات الألمانية لنهب وسلب كتبها من قبل العدو مثلما تعرضت بروسيا . وفي وولفنبوتل نقل جزء صغير من مجموعاتها إلى باريس . أما مكتبة جوتنجن أهم مكتبة في المملكة الجديدة وستفاليا westphalia فقد ظلت كما هي دون مساس . وفي الحقيقة حاول جيروم بونابرت jerome bonapharte أن ينفذ لمكتبة جوتنجن على نطاق ضيق مانفذه أخوه على نطاق واسع في المكتبة الأهلية، ولكن الكتب التي وردت من الخارج ظلت بأربطتها حتى إنتهاء الحكم الفرنسي فأعيدت من حيث أتت .

وبالنسبة لبقية المكتبات الألمانية فقد كان القانون الأساسي المسمى Limperial Deputation في سنة ١٨٠٣ قانوناً نافذ المفعول[١] . وباختفاء عدد من الولايات وجمهوريات المدن أختفى من الوجود عدد كبير من مكتباتها الممتازة أو تغيرت ملكيتها .وأهم من ذلك كله صارت مكتبات الكنائس ملكاً للدولة كما حدث في فرنسا .

وقد أسفر تحويل هذه المكتبات إلى أغراض دنيوية ، عن نتائج باهرة في ولايتي بافاريا وميونخ بصفة خاصة وحين انتقل التاج إلى أسرة بلاتين ، انتقلت المجموعات الضخمة في مكتبة مانهايم إلى ميونخ. وفي هذا الوقت أيضاً وتحت إشراف وإدارة فون أرتن Von aretin البارع أخذت حوالي ١٥٠ مكتبة كنسية وديرية طريقها إلى العاصمة ونتيجة لذلك احتلت مكتبة هوف Hof bibiothek في ميونخ مكان الصدارة بين المكتبات لفترة طويلة وماتزال مجموعاتها من مخطوطات العصور الوسطى وأوائل المطبوعات لاتضارع .

وبالإضافة إلى ميونخ فقد مدت حكومة بافاريا يد المساعدة أيضاً إلى مكتبات بامبرج ، ورزبرج . وسارت الأمور سيراً حسناً – ولو على نطاق ضيق – في ورتمبرج وبادن حيث نمت مجموعات شتوتجارت وكالزروه نمواً محسوساً ، ونفس هذا الكلام ينطبق على هسن – دار

(١) بمقتضى هذا القانون الذي أعده ثمانية من قادة ألمانيا السياسيين ذوي النفوذ أعيد تنظيم مقاطعات ألمانيا إدارياً مما أدى إلى خفض عدد الوحدات الإدارية في الإمبراطورية وقضى تقريباً على الولايات الأكليركية والقرى الإمبراطورية والمدن الحرة، وكانت نتيجة ذلك بناء عدد من المقاطعات متوسطة الحجم منسجمة جغرافياً

انظر C.T. Atkinson = AHistory of Germany, 1715-18 15 London. 1908.460.

مشتادت Hessen-Darmsladt أمـا في ناسـاو Nassau فـقد بددت مجموعات الكتب بطريقة إجرامية.

أما في بروسيا فلم يكن تحويل المكتبات الكنسية إلى علمانية أمراً ذا بال لأن هذه المكتبات الكنسية لم تشكل إلا جزءاً صغيراً جداً من المكتبات . وأكثر من ذلك لم تكن هناك أية خطة لمركزة المجموعات يمكن أن تفيد منها برلين إنما كان يصل إلى هذه المدينة فقط عدد ضئيل من المكررات . والذي يستحق الاهتمام حقاً هو النمو الملحوظ لمجموعات مكتبات مونستر وكونجزبرج وفوق كل ذلك برسلاو وفقد نقلت الجامعة من فرانكفورت إلى برسلاو وجاءت معها مجموعاتها ومن هنا كان التخطيط ليصبح في برسلا و مكتبة مركزية تشبه تلك التي وجدت في ميونيخ وباريس ومع أنه قد أوقف نقل مجموعات مكتبات الكنائس إلى هذه المكتبة بعد فترة قصيرة إلا أن مقتنياتها بلغت ٧٠ر٠٠٠ مجلد من بينها عدد كبير من أوائل المطبوعات .

ولقد خلقت هذه التغييرات التي حللناها سابقاً مشكلة تسهيل استخدام تلك المكتبات ، الجديد منها والقديم المتطور ، تلك المشكلة الصعبة لأن الحاجة إلى المكتبات غدت حاجة ملحة للأسباب الآتية : ففي المقام الأول أصبح الشعور القومي المتزايد في ألمانيا والتغيير في النظام الاجتماعي دافعاً قوياً إلى اعتبار المكتبات عموماً مؤسسات عامة، كما أنه في هذا القرن زادت المناشط الدراسية والعلمية مما أثر بصورة مباشرة على المكتبات التي وجدت نفسها غير مستعدة بالمرة لمسايرتها كما يفهم ذلك من الفصل السابق ، ولم تكن هناك أي فئة من أمناء المكتبات المدربين . ومع ذلك فقد كانت هناك مكتبتان – درسدن وجوتنجن – ساعد تنظيمهما على أن تكونا نموذجين نافعين .

ففي هذه الفترة ساد نظام مكتبة جوتنجن بنجاح كل ألمانيا تقريباً ، فقد طبق في المكتبات الجامعية في بروسيا والمكتبات التي أنشئت حديثاً آنذاك في بون وبرسلاو . ويرجع تطبيق ذلك النظام في برلين أيضاً إلى ولهلم فون همبولدت Withe im von Humboldt الذي كان طالباً في جوتنجن وخلق صداقة طيبة مع هاين . لقد أنشئت جامعة برلين في ذلك الوقت وتبعاً لذلك زادت مسئوليات المكتبة الملكية زيادة كبيرة(١) وعلى يد همبولدت زادت الميزانية السنوية وأدخلت تحسينات على البناء التنظيمي للمكتبة ، كما وضعت ترتيبات مرنة لتسهيل استخدام المكتبة . وكان فهرسها الهجائي يشبه إلى حد كبير فهرس جوتنجن، وبعد عقدين من الزمان استخدم

(١) على الرغم من أن مكتبة الجامعة كانت تملك مجموعة مراجع قوية إلا أنها كانت دائماً تلجأ إلى مجموعة المراجع والمصادر الغنية الواسعة في مكتبة ولاية بروسيا التي لم تحاول منافستها .

أسكريدر Schrader طرقه الخاصة لإعداد فهرس مصنف . ومنذ ذلك الوقت أيضاً أصبح للمكتبة الرئيسية في بروسيا أداة إدارية لم تتوفر لا للمتحف البريطاني ولا للمكتبة الأهلية(١) وفي مكتبة برلين كانت الأمور بسيطة نسبياً ولكن كيف تغلبت أختها في ميونيخ على مشكلاتها البالغة الصعوبة؟

منذ البداية كانت هناك محاولة لتجميع المخطوطات موضوعياً ولكن لحسن الحظ عدل عن هذه الطريقة بعد فترة قصيرة . ولقد تمثل جهد إسكملر Schmeller ليس فقط في تأكيده على استمرار التقليد التاريخي في ترتيب الكتب ولكن أيضاً فى قيامه بالفهرسة والترفيف تبعاً لهذا المبدأ خلال السنوات من ١٨٢٩ - ١٨٥٢ . ولقد استطاع تلاميذه وتابعوه اقتفاء لأثره أن ينشروا فهرس مخطوطات ميونخ التذكاري(٢) .

واتبعت نفس الطريقة مع الكتب حديثة الوصول إلى المكتبة ، وهنا أيضاً حدثت بعض الأخطاء التجريبية إلى أن ظهر المنقذ اسكر يتنجر Schrettinger صاحب العقلية العلمية، الذي أدرك أن محاولة تقليد نظام جوتنجن مقضي عليها بالفشل وأن المشكلة الخاصة التي واجهته تحتاج في حلها إلى حل ذاتي . وتبعاً لذلك صنف كتبه إلى مجموعات صغيرة متناسقة لم يلبث أن جمعها في أقسام رئيسية قليلة، وأتم الفهرس الهجائي حتى سنة ١٨١٨ . وأما خططه ومشروعاته الأخرى فقد سبقت أوانها، وصادف بعضها اعتراضاً من جانب زملائه في العمل والبعض الآخر لم يكتمل تنفيذه ولكن اسكريتنجر ترك لهم خططاً وآراء كثيرة في كتاباته النظرية التي نجد فيها هدفه الأساسي الذي بلوره في العبارة التالية «إذا كان لنا أن نزيل مساوئ النظم والطرق العتيقة القديمة فلابد من إرساء قواعد مبتكرة لعلم مكتبات قوي» .

وكان من معارضي هذه الفكرة ف.ا. إبرت F.A. Edert الذي تدرب في درسدن وتشبع بنظام وروح فرانكي وجعله مثله الأعلى . وبعد ذلك عين رئيساً لمكتبة وولفنبوتل في سنة ١٨٢٣ وبدأ فى إعادة تصنيفها دون النظر إلى الظروف المحلية، وقبل أن يتم العمل بها اضطر للعودة إلى درسدن حيث واجه حتفه بسقوطه من أعلى السلم ولم يبلغ الأربعين من عمره وعلى الرغم من أن إنجازاته العملية - في ضوء ماسبق - كانت قليلة الأهمية، إلا أن إنتاجه العلمي يستحق كل اهتمام . ونذكر هنا فقط «تاريخ مكتبة درسدن» الذي اعتمد فيه على وثائق ومصادر أولية

(١) ومع ذلك يجب أن نوجه الاهتمام إلى الكشافات الموضوعية للمتحف البريطاني) Subject Index of the modern works added to the Library 1881 - London, 1902, and subject Index of books published up to and including

(٢) Catalogus codicum mauuscriptorum bibliothecae regiae monacensis. Tom I-III . Munich 1858-1915.

وقاموسه الببليوجرافي الذي جاء نتيجة دراسة عملية دقيقة(١) . وكذلك رسائله الأصلية في المخطوطات التي كانت تنمو بنمو ذخائر المكتبة في وولفنبوتل . ويجب علينا أن نقف برهة أمام مقالته الشابة «عن المكتبات العامة»(٢) . فهو في ذلك المقال يتهكم على أحوال المكتبات الجماعية التي كانت القاعدة الوحيدة السائدة في القرن التاسع عشر ناعتاً إياها بأنها «حجرات متربة مقفرة لايتردد عليها أحد ، وحيث يقضي على أمين المكتبة أن يمكث عدداً قليلاً من الساعات كل أسبوع لتأدية واجباته وهو خلال هذا الوقت يكون وحيداً وينطلق من تقرير هذه الحالة إلى تقديم مقترحاته للإصلاح ومن بينها : «التخلص من اعتبار العمل المكتبي عمل نصف وقت . فإن الإدارة السليمة للمكتبات العامة تتطلب أشخاصاً يتحلون بصفات عقلية ممتازة وشخصية قويمة يكرسون كل إمكانياتهم للقيام بالواجبات الملقاة على عاتقهم» . وهذه الأفكار نجدها مرة أخرى بشكل أعمق وأكثر توسعاً في مؤلف متأخر له هو «الإعداد المهني لأمين المكتبة» (٣) .

«أنا أبذل كل طاقتي في خدمة الآخرين Alus inserviendo consumor هكذا كان يوصي إبرت كل مشتغل بالمكتبات بأن يتخذها شعاراً له ، وكان اسكر يتنجر يتخذها مثلاً . وطالما اختلف هذان المكتبيان فإن ذلك كان ينعكس على طرق علمهما . فقد كان اسكر يتنجر أولاً وقبل كل شيء رجلاً عملياً يولد مبادىء وأسساً جديدة من المشكلات الجديدة التي كانت تواجهه ، أما إبرت النظري فقد ظل منغمساً إلى حد بعيد في أفكار القرن السابق ، وكان مشدوداً إلى نظم وطرائق فرانكي .

ومع ذلك فقد بقي كل من اسكر يتنجر وإبرت يقاوم مقاومة مجيدة في زمانهما في ميدان واسع بمفردهما . وليس من الصواب أن ننكر كلية في عصر الشعراء والمفكرين أي رغبة حقيقية في التنظيم الداخلي للمكتبات فإن الجهود التي بذلها غوتة في سبيل المكتبات – التي وضعت تحت إشرافه – في جيناثم ويمار لتدل على هذه الرغبة في التنظيم(٤).

بيد أنه يبدو أن تنظيم المعرفة البشرية في ذلك الوقت جعل من الصعب على طبقة المتعلمين

---

(١) ترجمة بالإنجليزية براون Arthur Browne بعنوان :
A General Bibliographical Dictionary, from the German Frederic Adolphus Ebert. Oxford, 1838 .

(٢) "Ueber offentliche Bibliotheken".

(٣) Die Bildug drs bibliothèaue. There is ors English translation

(٤) See C. F.Gosnell and Geza Schutz = "Goethe the Librarian , quartery 11, 1932. 367-374: otto lerch = Geotheunddie Weimorer. Bibliothek leipzig, 1929.

أن يفهموا الوضع في المكتبات ، وهى الطبقة التى استمدت منها المكتبات موظفيها ، مما جعل هوفمان فون فالرسلبين Hoffman von Fallersleben أمين مكتبة جامعة برسلاو يعلن أن الخدمة المكتبية الملقاة على عاتقه كانت تفوق في عذابها وقسوتها العقاب البدني الذي يلاقيه الجندي في جيش القرن الثامن عشر . وقد غامرت الدورية المهنية سيرابيوم Serapeum بنشر آرائه في سنة ١٨٤٠ .

وكان تكوين لجنة المكتبة وبالاً على ميزانية المكتبة الضعيفة من أساسها فقد خصص جزء منها للمتخصصين ، وأفراد الأساتذة الذين كانوا في عضويتها[1] مما حدا بأحد أساتذة القانون الدستوري في توبنجن – روبرت فون موهل Robert von Mohl إلى مهاجمة مثل هذه الأوضاع السيئة فأشعلها حرباً شعواء ضدهم . وفي سنة ١٨٣٦ قام بنفسه على إدارة المكتبة وكلماته التالية توضح فكرته عن الواجبات التي كان عليه أن يقوم بها ، «يجب على الأمين الأول مهما كان أن يفكر ويخطط ليل نهار في سبيل مكتبته . وفي سبيلها عليه أن يشتري ويتبادل ويستجدي وأكاد أقول عليه أن يسرق» . بيد أنه واجه اعتراضات مريرة من جانب زملائه ومن جانب الإدارة . وبذلك فشل في تقييد نفوذ اللجنة على المكتبة ووضع لوائح وأسس محددة لإنفاق المخصصات المالية .

ويبدو أنه في هذه الفترة لم يكن الوقت حان بعد لحدوث إصلاحات جذرية في عالم المكتبات ، وهي الإصلاحات التي تمت بعد ذلك في العقود التالية من القرن التاسع عشر ولكي نقوم هذه الإصلاحات المكتبية بدقة لا بد لنا من التعرف على الحوادث المعاصرة في كل من إنجلترا وفرنسا وخاصة المتعلقة بتطور المتحف البريطاني والمكتبة الأهلية .

يرتبط الإصلاح الكبير الذي جرى على المتحف البريطاني بالشخصية الإيطالية أنطوني بانيتزي Anthony panizzi وعلى الرغم من أنه لم يكن عالماً إلا أنه قد أخرج لنا روائع من يده ووهب نفسه كلية للمجتمع وأخذ دوراً كبيراً في الحياة السياسية، ولما كان عاطفياً بطبيعته فقد اضطر إلى الهرب من بلده، وقوبل باعتراضات كثيرة من جوانب متعددة في منصبه الجديد في بلد أجنبي (إنجلترا) . ومع ذلك فقد صمد لا من أجل أغراض شخصية وإنما فقط من أجل المؤسسة التي وهبها كل حياته والتي اعتقد أنه القادر على تطويرها ، حتى كان معاصروه

(١) كانت إدارة المكتبات الجامعية الألمانية في القرن التاسع عشر غالباً في يد لجنة تتألف من موظفي الجامعة مثل المدير والعمداء وأعضاء هيئة التدريس . ولكي يصل الأمين إلى الاعتراف المهني الكامل به ويتحمل كافة مسئولية كان عليه أن يحرر نفسه أولاً من الإشراف الصارم الذي كانت تقوم به هذه اللجنة .

يلقبونه بالمؤسس الثاني للمتحف البريطاني ، ونابليون المكتبيين وقد قال عنه جارنيت Garnett خليفته «لقد حكم بانيتنزي المكتبة مثلما حكم صديقه كافور cavour بلده وبروح وأهداف متشابهة تقريباً ، يتم تنظيمها الداخلي بيد بينما يوسع حدودها باليد الأخرى .

وإن التقدم السريع الذي حققه بانيتنزى في سلم الترقي الوظيفي إنما يشير إلى مدى تأثير شخصيته على جميع العاملين معه ففي عام ١٨٣١ عين مساعداً أول ، وأميناً للكتب المطبوعة عام ١٨٣٧ وأخيراً الأمين الأول عام ١٨٥٦ . وكان باتيتنزى يدافع دائماً عن مبادئه في تقرير إلى الأوصياء وفي محاضر الأعمال مع ممثلي الحكومة ، وحتى في اتصالاته الاجتماعية بأصدقائه ومعارفه . تلك هي المبادىء التي لخصها في بداية حياته العملية في الجمل الثلاث الآتية .

يذهب إليه الأغنياء والأرستقراطيون لتسلية أنفسهم بالقراءة فلندعهم يدفعون ثمن تسليتهم(١).

ومنذ إنشاء المتحف البريطاني كانت مقتنياته من المطبوعات والمخطوطات تنمو باطراد وعلى نطاق واسع ويرجع الفضل في ذلك بصفة خاصة إلى الهبات والعطايا الكبيرة التي وردت إليه من وقت لآخر مثل مكتبة الملك جويع الثالث Goorge كما أن البرلمان كان يصدر من وقت لآخر قوانين بإضافة المجموعات الخاصة إليه ومع ذلك فقد كان المتحف يفتقر إلى النظام والاستمرار . ومنذ تولي بانيتنزى أمانة المتحف تردد الرأى بضرورة أن يصبح المتحف مكتبة قومية جديرة ببلد مثل إنجلترا وأصبح من المحتم على المتحف حفظ جميع الكتب الإنجليزية وأهم الكتب الأجنبية ، وتبعاً لذلك فقد ضمن تخصيص ميزانية سنوية كبيرة وثابتة بدلاً من الإعتماد كلية على مصادرة المجموعات الخاصة ، الأمر الذي كان يخضع للظروف . وكانت نتيجة ذلك كله أن تضاعفت المجموعات في فترة قصيرة حتى وصلت في سنة ٨٧٠ إلى مليون مجلد . وفي نفس الوقت كان بانيتنزي يعرف كيف يستجلب الهدايا القيمة مثل مكتبة صديقه جرنفيل Grenville وأخيرا وبمجهوده وإصراره وحده، وعلى الرغم من معارضة زملائه ، قوى ودعم قانون الإبدا ع

(١) تستحق كلمات كوبيت أن نقتبسها في شيء من التطويل : لندع هؤلاء الذين يرغبون فيه ، ويجعلونه مكاناً للتسلية ، يساهمون في تدعيمه . لماذا ندعو التجار والفلاحين إلى أن يدفعوا لتدعيم مكان قصدت به فقط تسلية المتطلع والغني ، وليس لصالح أولتعليم الفقير فإذا أرادت الأرستقراطية المتحف كمكان للاستمتاع فلندعهم يدفعون «مقتبسه من» :
Hansard's Parliamentary debates, Ser,3, Vol XVI march April I,1833. 1003.
Cf.R.C.B.Patridge = the history of the legal deposit of book throughout the British Empire, (٢) London 1938 .

وطريقة إيداع النسخ بعد أن كان يؤدى بمنتهى الإهمال(٢) .

وبنفس الحماس والقوة تصدى لمشكلة الفهرسة التي كانت تلح دائماً في البحث عن حل بمجرد وصول بانيتنزي إلى المتحف، فقاوم الفهرس المصنف ونجح في إدخال فهرس هجائي وأسس بعض قواعد اعتبرت فيما بعد ذلك قوانين فى عالم المكتبات

إن «المتحف البريطاني» ليس معرضاً ولكنه مؤسسة لنشر الثقافة . إنه جزء من الخدمات المدنية ويجب أن يعمل بنفس الروح التي تعمل بها بقية الأجزاء . ويجب أن يدار بأكبر قدر من الحرية» . ولعل مايقصده يتضح أكثر حين نذكر الملحوظة التي أبداها معاصره عضو البرلمان كوبيت Gobbett بأن المتحف البريطاني مكان المكتبات الإنغلوساكسوني . ولقد توقف نشر الفهرس مؤقتاً بعد محاولة غير ناضجة من جانب الأوصياء ومع ذلك فقد استمر العمل فيه تحت إشراف بانيتنزي إلى أن تم مخطوطاً فقط . ولم يطبع الفهرس إلا متأخراً في السنوات (١٨٨١ – ١٩٠٠) بنفس الهمة والنشاط اللذين عرفا عن صاحبه ومنشئه .

ولقد كان لبانتينزي فضل كبير بالنسبة للتغيرات والإضافات التي أدخلت على مبنى المتحف البريطاني في أيامه فقد كانت قارة أوروبا تعتز بالتصميم الذي يقتصر على الصالة القديمة والرواق ، واقتصر التغييرفقط على تعديل الحجم، وبينما لم تسطيع أمريكا نفسها أن تتخلص من هذا التقليد فإن بانيتنزي أحدث التغييرات التي تطلبتها الظروف ففصل القاعات المخصصة للكتب عن تلك التي يستخدمها القراء، وأغلب الظن أنه تأثر كثيراً بقصر الكريستال Crystal palace الذي كان قد تم بناؤه آنذاك والذي أثبت إمكانية البناء الجديد . وكان ارتفاع قبته وسعته مثار إعجاب الجميع ولم يقل ارتفاعه عن البنتيون الروماني Roman Pantheon إلا قليلاً جداً ، وأصبح يتسع لبضعة مئات من القراء .

وأصبحت المخازن الجديدة تحيط بقالعة المطاعة، والمبدأ الذي شيدت المخازن على أساسه كان قد أعلنه أحد الكتاب من قبل فى فرانكفورت ولكن أحداً لم يعره اهتماماً في ذلك الوقت . وإن تصميم جارتر Gartner الجميل لمبنى مكتبة ميونيخ قد اقتصر فقط على قاعات منخفضة تغني عن استخدام السلالم . أما في المتحف البريطاني فقد كانت للمخازن رفوف متحركة ووسائل ضد الحريق باستخدام الحديد كلية وبذلت أعظم الجهود حقيقة لتوفير الحيز في المخازن وذلك بوضع تركيبات الرفوف ظهراً لظهر ، وهكذا بنيت المكتبة الجديدة لتمثل حلقة في تاريخ مباني المكتبات .

وكان أول تقليد لنمط المتحف البريطاني في البناء هو ماحدث في باريس عند التوسيع الكبير للمكتبة الأهلية وقد دعت إليه الحاجة الملحة بعد الأعداد الضخمة من الكتب التى أدخلتها الثورة إلى المكتبة التي نمت نمواً بطيئاً ولكن بخطى ثابتة . وقد رتبت الكتب آنذاك بحيث تعطي صورة متكاملة عن المجموعة . ففي البداية بعد موت فان برايت سنة ١٨٣٧ عزلت الأجزاء القديمة المفهرسة من المجموعة في وحدة مستقلة سميت fonds porte أما الكتب غير المفهرسة والتي أدخلت إلى المكتبة ابتداء من ١٧٨٩ والإضافات المتأخرة فقد جمعت في وحدة أخرى سميت fonds non porte وكل من هاتين المجموعتين قسمت إلى أقسام نظام الرفوف الذي وضع أسسه كليمو . كما بدأت فهرسة المجموعات وكانت هناك محاولة في البداية لإعداد فهرس مصنف كما حدث في إنجلترا وتم إعداد بعض أجزاء المجموعة وبدىء في طبعها ولكن هنا أيضاً توقف العمل ولم يصل إلى نهايته . وبقدر ماكان بانيتزي بالنسبة للندن وبقدر ماكان أسكر تينجر لميونخ أصبح ديليزل Delisle بالنسبة لباريس .

فقد كان ليوبولد ديليزل أحد الباحثين الفرنسيين اللامعين في القرن التاسع عشر، بدون أن يحتل أبداً كرسي الأستاذية أصبح عميداً للمدرسة التاريخية . وكان قد تخرج في مدرسة الوثائق Ecole des chartez في باريس . وبطبيعة الحال فقد كرس نفسه لقسم المخطوطات وكانت فهرسة وتصنيف المخطوطات عمله الأساسي ويرجع إليه – أكثر مما ويرجع إلى اسكميلر – فضل إعداد الفهرس الحديث للمخطوطات .

وعند توليه رئاسة المكتبة في سنة ١٨٤٧ أظهر مقدرة كبيرة في تنظيمها على نطاق واسع ، وقد أثبت كفاءة فائقة قبل ذلك بتوقيت قصير في حماية مجموعات المكتبة ضد هجمات الكومون Commune أما كيف جمع بين الدراسة الجادة والمهارة السياسية فهذا مايظهر بوضوح من كتابه الشهير Libri وقد حدث أن فى إيطاليا عالماً ومغامراً بعد أن وصل إلى منصب كبير في فرنسا استغله إلى مدى بعيد في نهب وسلب مكتبات باريس ومكتبات الأقاليم ، والإجراء الذي اتخده ضده عرقلته المنازعات السياسية في سنة الثورة ١٨٤٨ وقد نتج عن ذلك أضرار جسيمة ومضت عدة عقود قبل أن يتمكن ديليزل من إتخاذ إجراءات رادعة ضد السرقة بل لقد استطا ع أن يسترد لفرنسا جزءاً كبيراً من الذخائر المسروقة .

وبرئاسة ديليزل للمكتبة استطا ع أن يفعل لقسم الكتب المطبوعة مافعله بالنسبة للمخطوطات ففي البداية وضع الإضافات الجديدة داخل الأقسام العامة في مجموعة خاصة سميت Fonds nouveau حيث رففت هذه الكتب داخل تلك المجموعات تبعاً للرقم الجاري (Numerus currens) .

وفي نفس الوقت بدأ صدور قائمة بالإضافة الجديدة داخل الأقسام العامة توزع على الجمهور - منسوخة في البداية ثم مطبوعة بعد فترة - ثم بدأ العمل في المجموعة غير المعدة Fonds non porte بحيث لم تأت سنة ١٨٩٣ حتى كان كل شيء في المكتبة مسجلاً على بطاقات . وبعد ثلاث سنوات بدأ طبع الفهرس الهجائي ومنذ ذلك الحين ، على الرغم من وجود كثير من العقبات ، استمر العمل فيه ولم يكتمل طبعه بعد(١) .

وإذا ولينا وجهنا إلى الخلف نحو ألمانيا فإن السؤال الذي يفرض نفسه علينا هو : هل كان ماحدث في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر متأثراً بالخارج بالأمثلة التي وجدت في باريس ولندن؟!

وبالنسبة لباريس فالإجابة بالنفي . فقد كانت لديليزل - بكل تأكيد - علاقات نشيطة جداً بزملائه عبر جبال فوزجز Vosges في شرق فرنسا بينما كانت ألمانيا تملك النموذج الكامل الذي يحتذى به في ميونخ وأهم من ذلك كله فإن إعادة تنظيم المكتبة الأهلية قد جاء متأخراً جداً بحيث لايمكن اعتباره نموذجاً لألمانيا . وكان الأمر يختلف بالنسبة إلى بانتينزى تلك الشخصية التي جمعت في قالب واحد النموذجين اللذين خلقهما أبرت وفون موهل من قبله . ونحن نعلم أن أصحاب المناصب والسلطة في ألمانيا كانوا على اتصال به . وسوف يكشف البحث العلمي المنظم - في رأيي - عن التفصيلات الدقيقة لهذه العلاقات . ونتيجة لذلك فإن نوع البناء الجديد الذي خلقه بانيتنزي شكل جزءاً أساسياً في برنامج الإصلاح الألماني كما سنرى .

وعلى رأس هذه الحركة كان العالم اللغوي فريدريك ريتشل Friedrich Ritschl من مدينة بون، الذي لم يذكر كاتب سيرته إلا مدحاً لإدارته للمكتبة في الفترة من ١٨٥٤ - ١٨٦٥ ، على الرغم من أن مؤرخ جامعة بون قد اجتهد في الحط من قدره وقيمته في هذا الشأن ويبدو أنه كانت له صفات كثيرة سيئة ولكننا نرى له أثراً واضحاً في أية تجديدات حقيقية ، ولكنه كان متعلقاً إلى حد كبير بمكتبة الإسكندرية التي احتذاها في إدارته ، وقد حول مكتبة بون ذات الإدارة الصارمة السيئة إلى «أداة متساهلة ذات إدارة ممتازة» .

ومع ذلك كله ، فإنه يهمنا بصفة خاصة تأثير شخصية ريتشل ، فمن بين مرءوسيه وعدد كبير من المساعدين المتطوعين تكونت مدرسة المكتبيين التي أثبتت فاعليتها وتأثيرها في السبعينات .

---

(١) مازال طبع هذا الفهرس مستمراً وكان من المتوقع له أن ينتهي العمل فيه بعد ١٩٤٠ ولكن اندلاع الحرب في ١٩٣٩ قلبت الخطط . ونجد في كتاب :

E. G.Ledos :Histoire des catalogues des Livers imprimes de la biliothekors Nationale. Paris 1936

تقريراً مفصلاً عن الفهارس المختلفة للكتب المطبوعة الموجودة في هذه المكتبة العظيمة كما يعطي التصدير العجيب الذي كتبه م. جوليان كاين ، المدير العام للمكتبة نبذة تاريخية عن إجراءات الفهرسة في هذه المكتبة .

وكان أحد هؤلاء هو كليت Klette الذي ألف نشرة صغيرة أسماها : الحكم الذاتي في مهنة المكتبات[1] ومنهم أيضاً دزياتزكو Dziatzko أول أمين مكتبة مؤهل في بروسيا ، وهو الذي أعاد تنظيم مكتبة برسلاو السيئة الإدارة ، بنفس الروح التي استمدها من أستاذه كما كتب تعليماته الموضحة عن فهرس البطاقات الهجائي . وانتقل إلى جوتنجن عام ١٨٨٦ حيث احتل كرسي علم المكتبات الذي كان قد أنشأ حديثاً آنذاك .

وكان باراك Barack مؤسس ومدير مكتبة استراسبورج لعدة سنوات أميناً متخصصاً كذلك كان هارتوج Hartwing في هالي . وقد وجه اهتمامه – مثل ريتشل وزياتزكو – أساساً لإتمام ومتابعة فهرسة المجموعات . وكانت ثمرة جهوده مشروع فهرس هالي المصنف الذي لاقى قبولاً عاماً . ولعهده ثمرة أخرى هامة هي أنه في السنوات ١٨٧٨ – ١٨٨٠ أقيم بناء المكتبة الجديد الذي استفاد من النظام الأنجلو – الفرنسي في بناء مخازن الكتب لأول مرة في ألمانيا وتلت ذلك سلسلة من المباني الجديدة روعيت فيها مختلف النواحي العملية : من مخازن ، وحجرات عمل للموظفين ، قاعات مطالعة ، حجرة دوريات وقد جرت محاولات للربط بين القيم الجمالية والنواحي العملية في المبنى كما تجدها في دار الكتب الألمانية Deutsche Bucherei في ليبرج التي تم إنشاؤها في سنة ١٩١٦ .

لقد امتدت حركة إصلاح المكتبات إلى دوائر واسعة في ألمانيا ووجدت تأييداً وعوناً من جانب المثقفين والدارسين . وحلت الواقعية محل المثالية وانصب الاهتمام في هذه الفترة على حل المشكلات الفردية بطرق محددة ودقيقة فقد ابتكرت تنظيمات واسعة النطاق لإحكام السيطرة على مواد نقل المعرفة التي أصبحت ترد إلى المكتبات بأعداد هائلة . وكان لكل نظام من النظم المكتبية صحيفة أو أكثر تناقش مشاكله . وخلال كل هذا نالت المكتبات درجة كبيرة من الأهمية لم تحظ بها من قبل .

ويجب أن نضيف إلى ذلك أنه بعد تكوين الإمبراطورية الألمانية وما تبع ذلك من الازدهار السياسي والاقتصادي ، خصصت أموال كثيرة للمكتبات وأكثر من ذلك أدى تطور التجارة والتكنولوجيا إلى زيادة إمكانيات المحافظة على مجموعات الكتب بازدياد الحاجة إليها . وأخيراً فقد تنبهت الحكومة إلى التزاماتها نحو المكتبات .

لم يكن أحد قد تنبه بعد إلى أهمية المكتبة كمؤسسة عامة مثلما تنبه التوف Althoff الذي كان الروح الدافعة لوزارة التربية والتعليم البروسية منذ الثمانينيات من القرن (التاسع عشر) . وفي

(١) Die Selbstandigkeit des bibliothekarischen Berufes وهذه نشرة لم تترجم إلى الإنجليزية .

سيرة حياته التي لم تكتب بعد سوف تحتل جهوده في سبيل المكتبات جزءاً كبيراً(١) . فقد تتكلم عن عصر التوف المكتبي الذى حارب من أجل تمويل أكثر كفاية للمكتبات التي أشرف عليها، وكان إهتمامه الثاني ينصب على موظفي المكتبة : زيادة عددهم وتحسين وضعهم الاقتصادي والاجتماعي ، وأخيراً كافح من أجل الإعداد المهني الكامل والاستخدام المنظم لأمناء المكتبات . وقد وجدت هذه الجهود التي بذلتها الوزارة تأييداً من المجلة المهنية الجديدة التي أسسها هارتوج بعنوان (Zentralblatt fur Bibliothekswesen) ومن اتحاد المكتبات الألمانية Verein Deutscher Bibliothekare الذي أسس في سنة ١٩٠٠ باجتماعاته السنوية .

وبطبيعة الحال فقد استفادت المكتبة الملكية في برلين من جهود التوف فقد أعيد تنظيمها في سنة ١٨٨٥ حيث بدأت وظيفتها كمكتبة قومية . وعلى الرغم من أن النتائج المرجوة لم تتحقق بكاملها، كما سنرى فيما بعد ، فقد احتلت المكتبات الملكية مكان الصدارة بين المكتبات الأخرى ، وقد أثبت مبدأ تعيين أمين متخصص فاعليته وجاء بأحسن النتائج كما وضح من حالة هارناك Harnack الذي تولى إدارة المجموعات سنة ١٩٠٥ وأشرف بنفسه على نقلها إلى المبنى الفخم الجديد(٢) .

وبذل التوف قصارى جهده في سبيل إقامة تعاون عضوي بين المكتبات لايقل عن جهده في سبيل النهوض بالمكتبة الملكية . وفي سبيل هذه الغاية كان يصدر القرار إثر القرار . وفي سنة ١٨٨٥ كانت تصدر في برلين فهارس سنوية بمطبوعات الجامعات الألمانية(٢) . وبعد ذلك بقليل صدر فهرس بالرسائل الجامعية (٣) . ومن سنة ١٨٩٢ فصاعداً طبعت مكتبة برلين قوائم بالكتب الحديثة الوصول إلى المكتبة وحدها أول الأمر ، وبعد ست سنوات أضيفت إلى هذه القوائم كتب مكتبات جامعات بروسية(١) ويضاف إلى هذه الجهود تسجيل كل الكتب القديمة إلى سنة ١٨٩٨

---

(١) لعل كتاب : Arnold Sache = Feridrich Althoff und seiv Werk. Berlin. 1928 يسد الثغرة التي كانت موجودة عند كتابة هذه العبارة فمن بين صفحاته الـ ٣٥٠ يخصص ١٠ صفحات لجهود التوف المكتبية ولكن كثيراً من هذه الجهود تنبع من وتتصل بإنجازات تربوية واسعة تحتل جزءاً كبيراً من هذه الصفحات العشرة

انظر أيضا : Friedrich Schmidtott : "Althoff und die bibiotheken" Zentralibatt fur Bibliothekswesen. LVI, 1939.-103.

(٢) انظر F.E.L Lirsch:" The scholar as librarian,to the memory of Adolf von Harnack,, Library quarterly ix, 1936. 266 - 320 .

(٣) Johresverzeichnis der an den deutschen universitaten erschienenen Schriften .

(٤) schul Bibliographischer Monatsbericht unber neu erschienenen - Universitats - und hochschulschriften .

Berliner Titeldrucke ومن أجل نبذة عن تاريخ هذا المخطوط أنظر مقدمة Prussian Instructions .Ann Arbor 1938. التى ترجمها أندرو أسبون Andrew Osborn.

في فهرس هجائي موحد . وهذه الفكرة ليست جديدة فقد ترددت في عدد من الأقطار الأخرى ، ولم تدخل ألمانيا إلا في الأربعينات وقام على تنفيذها التوف وبدأ العمل فيه في منتصف التسعينات واليوم تم الفهرس في صورته الأولية وقد حالت الحرب العالمية الأولى دون طبعه . وقد أصبح لمكتب استعلامات برلين (Auskunftsburo Deutseher Bibliotheken) أهمية خاصة(٢) . فقد افتتح في سنة ١٩٠٥ وتطور إلى أن أصبح مركزاً للبحث الببليوجرافي . وأخيراً أصبحت هذه المؤسسات ذات فائدة كبيرة بالنسبة لنظام الاستعارة بين المكتبات (Deutscher Leihverkehr الذي أخذ منذ ١٨٩٢ يربط بين المكتبات الألمانية على نطاق واسع .

ومن الحوادث الأخرى في عهد التوف أذكر تكوين مجموعة موسيقية ألمانية في برلين وفهرس بأوائل المطبوعات . وهكذا وضع التوف موضع التنفيذ خطط ليبنز في التنظيم وأفكاره بطرق جديدة تقابل الإحتياجات الجديدة .

---

(١)بدأ Deutscher Gesamtkatalog فى سنة ١٩٢١ تحت عنوان :
Gesamtkatalog der preussischen Bibliotheken وصدر منه ١٤ مجدا وذلك حتى منتصف حرف B فقط .

(٤) B.H Vouillème = Die Inkunabeln der koniglichen Bibliothek Und der anderen Berliner Sammlungen . Leiqzig, 1906 .

من القرن التاسع عشر
إلى القرن العشرين

شهدت الخمسون سنة الماضية تطورات هائلة في عالم المكتبات لم تشهدها أي فترة مضت، وكثير من هذه التطورات مازال جاريا لم يصل إلى نهاية، ولايمكن الحكم عليه إلا من حيث كونه تجارب ومحاولات فقط، ولكي نوفي هذه المحاولات حقها فإننا نحتاج إلى معالجة أطول وأكثر تفصيلا مما يمكن أن يعطى هنا، وسوف نحاول هنا تصوير أهم هذه التطورات مركزين على ثلاثة موضوعات رئيسية : المكتبات القومية والأكاديمية ، تطور المكتبات العامة ، ثم المشكلات العامة التي تتعرض لها المكتبات عموما في الفترة المدروسة.

* * *

كثير من المكتبات العظيمة في أوروبا لها ماض طويل عريق تطورت عنه، ولكنها خلال هذا التطور التاريخي انعزلت في مجموعات محدودة قومية، ولكل مجموعة منها ملامح ومميزات خاصة استقتها من التاريخ العام لدولها . وقد سبق الحديث عن المكتبات القومية في كل من فرنسا وبريطانيا العظمى وهي المكتبات التي نمت باتزان وخطى ثابتة باستثناء ظروف بعض الأزمات الاقتصادية والحروب . ولكنها ارتبطت ارتباطاً أساسيا بماضيها (١). وقد التحقت بهاتين المكتبتين القوميتين مكتبة ثالثة هي مكتبة الكونجرس Library of Congress التي احتلت مكانة بارزة بين أولى المكتبات القومية في العالم.

لقد أنشئت مكتبة الكونجرس في سنة ١٨٠٠ وكان نموها بطيئا طوال القرن الاول لانشائها(٢). ولقد احتضن توماس جيفرسون Thomas Jefferson المكتبة منذ البداية، وكانت كل مشترياتها في العقد الأول تتم بناء على توصياته. وقد تم إحراق المكتبة نهائيا سنة ١٨١٤ حين غزا الجيش البريطاني واشنطن، مما حدا بتوماس جيفرسون إلى تقديم مكتبته الخاصة لتصبح نواة للمكتبة الجديدة. وابتليت المكتبة بحريقين متعاقبين في عامي ١٨٢٥ ، ١٨٥١ أطاحا بجزء

(١) من أجل الحصول على أحدث معلومات عن تاريخ هذه المؤسسات انظر:
"Arundell Esdalie = Between two Wars in the Britich Museum " Library quartely XII, 1942. 794. 804, and josè Meyer = "the Bibliothèque Nationale during the last decade" Ibid, 805 - 826

(٢) .David C. Mearns = The story up to now , Washingtan, 1943

عظيم من مجموعاتها ولكنها مع ذلك شقت طريقها بخطى ثابتة. وفي سنة ١٨٩٧ بلغت المجموعات عند نقلها إلى مبنى فخم جديد ٨٠٠,٠٠٠ مجلد مطبوع، ٢٠٠,٠٠٠نشرة وقد ضمن إسناد تسجيل حق المؤلف إلى مكتبة الكونجرس في سنة ١٨٧٠ زيادةملحوظة في مجموعاتها.

وفي سنة ١٨٩٩ عين هربرت بوتنام – Herbert Putnam أمين مكتبة بوسطن العامة – أمينا لمكتبة الكونجرس وكانت إدارته لها حجر زاوية حقيقاً في تاريخها (١) وحين أحيل إلى المعاش في سنه ١٩٣٩ كانت مجموعاتها قد بلغت ٦,٠٠٠,٠٠٠ مجلد وأصبح من الضروري بناء ملحق يتسع لاكثر من سبعة ملايين مجلد بالاضافة إلى حجرات للقراء وحجرات للموظفين لأداء كثير من العمليات المكتبية.

والنمو الهائل في مباني مكتبة الكونجرس إنما يعكس تأثيرها المتزايد فقد أصبحت مركزا للثقافة القومية، وجعلها تشجيعها للعلوم والفنون والدرس أقرب إلى جامعة قومية. وبالإضافة إلى تفوقها الدائم في الكتب الأمريكية فقد اهتمت ببناء مجموعات خاصة باللغات السلافية والشرقية كما تضم القطع الموسيقية والخرائط إلى جانب المطبوعات ، ونمت مجموعة المخطوطات بها نمواً كبيراً. ومن العسير هنا في هذا الحيز الضيق أن نلقي الضوء على الجوانب المختلفة للمجموعات (٢). ولكننا يجب أن نقف برهة أمام الجهد الذي بذل مؤخراً لبناء مجموعات قوية في الأدب والتاريخ الأسباني.

ففي سنة ١٩٢٧ تم إنشاء المؤسسة الاسبانية بناء على تبرع كريم ، وفي السنة التي تلت قدم عرض آخر لتخصيص مستشار في الأدب الاسباني وأنشئت حجرة جميلة لقراءة الاسبانية وبعد عدة سنوات أصبحت المؤسسة الاسبانية جزءا من مبنى المكتبة.

وتعتبر المؤسسة الاسبانية هذه نموذجا لخدمة المعرفة البشرية في موضوع معين ، ثم لم تلبث أن تكررت في عدد آخر من الموضوعات فبالإضافة إلى الموظفين الدائمين اجتذبت المكتبة عددا آخر من الإخصائيين لهم كراسي دائمة بالمكتبة إلى جانب عدد كبير من المستشارين والزملاء، من بينهم المحالون إلى المعاش من المكتبة، وهكذا توضع المجموعات الخاصة تحت إشراف دقيق. ويمكن لقراء هذه المجموعات استشارة الخبراء فيها.

وبالإضافة إلى هذه التطورات الملحوظة في مجموعات الكتب وأعداد الموظفين التي تحقق

---

(١) Essys offered to Herbert Putnam by his Colleagues and friends on his thirtieth anniversary as Librarian of Congress, 5 April, 1929. New Haven, 1929.

(٢) من أجل تفصيلات أكثر أنظر: Philadelephia, 1942

رسالة مكتبة الكونجرس كمكتبة قومية قامت المكتبة بخدمات أخرى نذكر منها توزيع البطاقات المطبوعة، هذه البطاقات التي تشتريها أكثر من مائة مكتبة داخل الولايات المتحدة وخارجها، وكثير من هذه المكتبات سوف تستغنى بذلك عن الفهرس المطبوع وملاحقه. ولقد أحدثت إمكانية شراء هذه البطاقات التي يعدها خبراء متخصصون ثورة في إجراءات الفهرسة بالمكتبات الامريكية الكبيرة والصغيرة على السواء . ويستعمل عدد كبير من مكتبات المراجع نسخة من هذه البطاقات لانواع معينة من كتبها مما يؤكد قيام الفهرسة في الولايات المتحدة الأمريكية على أسس تعاونية. وهذا يغري باتخاذ الخطوات اللازمة لتقنين إجراءات الفهرسة

وبصدور الفهرس المطبوع لكتب مكتبة الكونجرس حتى ٣١ حزيران ١٩٤٢ المسمى : A Catalog of books represented by library of Congress Printed Cards issued to July 31 1942.

وملاحقة(١) أدى إلى تقديم أداة ببليوجرافية إلى المكتبات في جميع أنحاء العالم. كما تقدم قائمة رؤوس الموضوعات المستعملة في الفهرس القاموسي لمكتبة الكونجرس Subjed headings used in the Dictionery Cotolog of the Library of cangaess وملاحقها أداة هامة لكل المكتبات في الفهرسة الموضوعة. كما قامت المكتبة بنشر عدد كبير من الببليوجرافيات بعضها متخصص جداً كما نشرت عددا من الأدلة . وتعتبر قائمة الوثائق الحكومية التي يعدها قسم الوثائق بالمكتبة ذات أهمية خاصة.

وهناك خدمة أخرى تزداد أهميتها عاماً بعد عام ألا وهي الفهرس الموحد ويسير معها جنباً إلى جنب خدمات التصوير التي نمت وتطورت بتطور طرائق التصوير وإمكانياته.

وهناك الكثير ليقال عن نواحي النشاط الأخرى في مكتبة الكونجرس مثل تطوير وتنمية المجموعة الموسيقية بها بهبات من مؤسستي كوليدج Coolidge ويتال Whittal وقد خلف الدكتور بوتنام putnam أرشيبالدماك ليش Arshibald Mac leish وكان مثل أدلوف فون هارناك غير مؤهل فى المكتبات ولكنه سرعان ما أحكم قبضة على المشكلات الفنية ، كما كانت شهرته الأدبية دافعاً قوياً لجعل المكتبة مركزاً للثقافة القومية، ويتضح أثره القوي على العمليات الفنية بالمكتبة من مقاله الوحيد «إعادة تنظيم مكتبة الكونجرس ١٩٣٩ - ١٩٤٤ the reorganization of the library of Congress (١) وأهم من هذه الاصلاحات المكتبية والتنظيمية الروح الوثابة التي بثها في

(١) الملحق الاول صدر ١٩٤٨ ويشتمل على البطاقات المطبوعة الصادرة من آب ١٩٤٢ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ والبطاقات التي طبعت بعد هذا التاريخ ضمنت في :

Cumulative Catalogof Congress printed Cards. Washington , 1947

المكتبة وموظفيها .

وقد خلف ماك ليش ، لوثر ايفانز Luther Evans الذى عرف بطاقة لا حدود لها وميول متشعبة . ففي السنة الأولى أو السنتين الأولين لرئاسته استطاع أن يضع مكتبة الكونجرس على رأس مهنة المكتبات في أمريكا أكثر من أي وقت مضى ويمكن لمن يريد تكوين فكرة مفصلة عن هذا الاتجاه أن يطلع على التقارير السنوية ١٩٤٥ - ١٩٤٧ .

والى جانب الكونجرس هناك كثير من مكتبات البحث منتشرة داخل الولايات المتحدة وكندا ، بعضها مؤسسات خاصة مثل مكتبة هنتنجتون Huntington في كاليفورنيا والبعض الآخر مكتبات عامة مثل مكتبة نيويورك العامة التي تزيد مجموعاتها عن ستة ملايين مجلد وتعتبر إحدى مكتبات البحث العظيمة في العالم كله. ومعظم مكتبات البحث الباقية هي المكتبات الجامعية، ولقليل منها تاريخ طويل ومجموعات ضخمة . فمكتبة جامعة هارفارد Harvard عمرها أكثر من ٣٠٠ سنة وتربو مجموعتها على ٧ ملايين مجلد، ومكتبة جامعة ييل Yale التي أنشئت منذ عام ١٠٧١ وتزيد مجموعتها على ٥ ملايين. ولكن الكثير من المكتبات الجامعية ما زال حديثاً وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على جامعات ولايات وسط غرب أمريكا حيث لاتزيد المجموعات على المليون إلا قليلا وتم اقتناؤها في أقل من قرن. ويجب أن نعرف جيدا أن هذه المكتبات مهما كان تكوينها أو تمويلها تفتح أبوابها لكل راغب بقيود رسمية لا تكاد تذكر.

أما في ألمانيا فقد اصطبغت المكتبات بصبغة اقليمية محلية لكل منها طابع مميز، ولم يتمكن التوحيد السياسي للولايات الألمانية الصغيرة المتعددة - هذا التوحيد السياسي الحديث نسبيا الذي قام به الرايخ الثالث Third reich - لم يتمكن من إزالة الفروق الجوهرية المتأصلة في أعماق هذه المكتبات. ففي كل ولاية ألمانية نجد مكتبة المقاطعة (التي تتفرج من الولاية) ومكتبة الجامعة متباينة تماماً في تكوينها وإلى جانب هذه الانماط توجد مكتبة البلديه لكل منها طابع محلي بحت يلح عليها . وباستقراء إحصائيات ما قبل الحرب الثانية فقد فاقت مدينة برلين في مجموعات كتبها جميع المدن فقد اشتملت مكتبة ولاية بروسيا (في برلين) وحدها على ثلاثة ملايين مجلدا [٢] واشتملت بقية المكتبات في مدينة برلين بما في ذلك مكتبات الهيئات الحكومية العديدة على ثمانية ملايين مجلد بينما اشتملت مكتبة ولاية بافاريا (في ميونخ) على أكثر من مليوني مجلد .

---

(١) نشر أولا في مجلة Library qu`aterly العدد ١٤ لعام ١٩٤٤ ص ٢٧٧ - ٣١٥ وأعيد طبعه في Annual Report of the Librariy of Congress, 1945.

(٢) ما حدث لهذه المكتبات خلال الحرب وبعدها مباشرة موصوف في
Richard S. Hill:"The former Prussian State Library " Music Library Association Notes III. 1945 - 46. 327 - 350, .404 - 410.

وبعد التحاق النمسا بألمانيا ضمت لألمانيا مؤقتا مكتبتان معهديتان تقتني كل منهما أكثر من مليون مجلد (مكتبة فيينا القومية ، ومكتبة جامعة فيينا) وخمس مكتبات أخرى تحتوي على ما يقرب من نصف مليون. وقد أنزلت الحرب العالمية الثانية خسائر جسيمة بكل المكتبات العظيمة في ألمانيا وبسبب فداحة الخسارة التي حلت بالمكتبات الألمانية فقد لا تتمكن من تعويضها أبداً[1].

وقد ذهبت كثير من الجهود التي بذلت لإنشاء مكتبة قومية في ألمانيا سدى بسبب مشكلة الايداع القانوني. ففي سنة ١٨٤٨ قدم الناشر هان hahn من هانوفر Hanover كل ما في مخزنه من مطبوعات إلى برلمان فرانكفورت ليكون نواة للمكتبة القومية وحذا حذوه أربعون من زملائه وعين لرعاية هذه المجموعة أحد الأمناء . وبعد عدة سنوات نقلت هذه المجموعة الحديثة إلى المتحف الألماني في نورمبرج وماتت خطة هان إلى أن تكونت الامبراطورية الالمانية فاحتضن الفكرة الناشر بروكهاوس Brockhaus وناقشها تريتشكي Treitschke في دورية Preus-sischehe Jahrbucher وقدم المكتبيون : دزياتزكو، هارتوج، ولمانز Wilmanns مذكرة بهذا الشأن إلى وزارة التربية والتعليم. وكان من بين الخطط التي اقترحت في ذلك الوقت تحويل المكتبة الملكية في برلين إلى مكتبة قومية كبرى، ولم تكن الظروف السياسية في ذلك الوقت مواتية فعطل الناشرون قانوناً أصدره الرايخ الألماني لإيداع نسخ من كتبهم ، كما جاء اعتراض أيضاً من جانب جماعات خاصة إذ جرت على سبيل المثال محاولات متعددة لإنشاء مكتبة كاثوليكية مركزية وعلى الرغم من كل هذه المعوقات فإن المشروع لم يمت، ويرجع الفضل في ذلك اولا إلى ألتوف Althoff الذي رأى في إتمام المشروع تتويجا لجهوده في النهوض بالمكتبات فقد اقترح إنشاء مكتبة مستقلة لاتحاد الناشرين وتجار الكتب الألمان.

(BOSREN VEREIN Des Deutschen Buchhandler)

ولم يصر على إنشائها في برلين. وفي سنة ١٩٢١ وقع اتفاق بين ولاية ساكسونيا ومدينة ليبزج واتحاد الناشرين لانشاء دار الكتب الالمانية Deutsche Bucherei وتبعا لنصوص هذه الاتفاقية فقد كانت وظيفة دار الكتب الالمانية «أن تبدأ من ١ كانون ٢ سنة ١٩١٣ في جمع كل مواد نقل المعرفة التي تصدر بالالمانية وغيرها من اللغات داخل ألمانيا، وأن تحفظها وتيسير

(١) لتقدير الخسارة المبدئية انظر :
Ceorge Leyh :Die Lage der deutschen Wissenschatfichen Bibliotheken nach dem kreige zentralblatt fur Bibliothekswesen LVI, 1947. 19-32.

استعمالها وأن تسجلها تبعا لاسس علمية ». وبذلت جهود بطولية لملاحقة الناشرين والأفراد لإيداع نسخ من إنتاجهم في دار الكتب الالمانية، ولم تكد سنة ١٩١٦ تحل حتى حققت هذه الجهود درجة عالية من النجاح.

ولم تقتصر وظيفة دار الكتب الالمانية على حفظ الكتب ولكنها أيضا قامت بخدمة المراجع على نطاق واسع، وأعدت قاعات للقراء ، واعارت الكتب فقط حين تعذرت استعابتها من مكتبة أخرى في ألمانيا. وبجانب هذه الخدمات قامت بإعداد القوائم الببليوجرافية ففي سنة ١٩٢١ بدأت في نشر ثلاث ببليوجرافيات تجارية – قائمة يومية وأخرى أسبوعية بالكتب الجديدة، والثالثة قائمة بالدوريات والمسلسلات الجديدة – وبدأ في سنة ١٩١٨ إعداد قائمة شهرية بالمطبوعات الحكومية. وبدأ سنة ١٩٣١ المشروع الببليوجرافي العظيم :الببليوجرافيا القومية الالمانية وبعد أربع سنوات أخذت دار الكتب الألمانية في نشر Hochschulschriften Johresver- zeichnis der Deutschen الذى كلفت به من قبل وزارة العلوم والتربية والتنوير الشعبي. وفي سنة ١٩٣١ حثتها نفس الوزارة على مشروع كان مرغوبا منذ سنة ١٩٢٠ وهو الفهرسة المركزية وصدرت طبعة خاصة بالمكتبات من الببليوجرافيات التجارية (مطبوعة على جانب واحد من الصفحة) استمرت لعدة سنوات واستخدمتها أكثر من مائتي مكتبة وبدأ ظهور البطاقات المطبوعة في سنة ١٩٣٧ وتستخدمها الآن أكثر من ١٥٠ مكتبة (١).

لقد هددت الأزمات الاقتصادية القاسية وجود دار الكتب الألمانية حتى أنه اقترح خلقها في سنة ١٩٢٠. ولكن الدعم المادي أحاط بالمكتبة من كل جانب، وجاءت حركة التأييد القوية من جانب الرايخ الذي أدرك أن الكتب مؤسسة ذات أهمية قومية وأصبح مصدراً مستديماً ومنتظماً من مصادر دخلها وقد أدى ظهور الاشتراكيين القوميين إلى ادعاء الرايخ الثالث السيطرة على المكتبة. وأدى تنقيح قوانين حق الطبع في عدد من الولايات الألمانية إلى تحويل الايداع من التطوع إلى الإجبار. وفي سنة ١٩٤٠ صدر مرسوم حكومي غير الوضع القانوني للمكتبة جاعلا إياها مؤسسة عامة تحت إشراف وزارة التنوير الشعبي والدعاية: وقد خرجت دار الكتب الألمانية من الحرب العالمية الثانية بخسائر طفيفة بالنسبة لبقية المكتبات الألمانية الكبرى، مما جعلها اليوم في وضع تستطيع معه الاستمرار في تأدية وظيفتها الطبيعية.

---

(١) من أجل الحصول على قائمة بأهم المطبوعات الببليوجرافية لدار الكتب الالمانية انظر
Otto Neuburger = Official publications of pressen - day Germany . Washington, 1942. 61- 62.

وقد استأذنت الادارة السوفيتية في طبع هذه الببليوجرافيات.

وعلى العكس من ألمانيا، كانت فرنسا تتمتع بحكومة مركزية قوية مثالية، وانعكس هذا الاتجاه على تنظيم الخدمة المكتبية في فرنسا .(١) فالمكتبة الأهلية دون منازع هي أكبر المكتبات في فرنسا وتزيد مجموعتها عن خمسة ملايين مجلد. وتبلغ مجموعات بقية المكتبات في باريس حوالى عشرة ملايين مجلد. وتخضع أهم مكتبات باريس مثل الارسنال ، سانت جنفييف ، المازارين للإشراف الإداري من جانب المكتبة الأهلية .

وكانت المكتبة القومية الجامعية في استراسبورج تملك مجموعة ممتازة من الكتب طاقتها ١,٧٠٠,٠٠٠ (مليون وسبعمائة ألف) مجلد ، فقد منها نصف مليون في الحرب .(٢) وبجانب هذه المكتبات لا يوجد في فرنسا سوى ثلاث مكتبات تحتوي كل منها على ما يقرب من النصف مليون مجلد. وكما أوضحنا في الفصل السابق خلقت الثورة اتجاها نحو التوحيد كان له أثره الواضح في مكتبات الولايات الكبرى والمكتبات الجامعية وقد حققت وزارة التربية والتعليم بفضل عدد من المراسيم، صدر على عدد طويل من السنين، قدراً كبيراً من التوحيد في الموظفين والشؤون الادارية. حتى مكتبات البلديات التي تركت للإدارة المحلية تعرضت للاشراف من جانب الوزارة (٣). ويمكن تقدير مدى أثر التنظيم من اختبار الفهرس العمومي لمخطوطات المكتبات العامة في فرنسا catalogue gènèral des manuscrits des bibiothèques - publiques de France الذي بدأ العمل فيه سنة ١٨٨٥ . وكان على المانيا، على العكس من ذلك أن تعمل لمدة أربعين سنة قبل أن تصل إلى مثل هذا العمل القومي ، أعني الفهرس الألماني الموحد.

وتقف أيطاليا من ناحية التنظيم المكتبي في منتصف الطريق بين فرنسا والمانيا، اذ يوجد بها مجموعات قديمة كثيرة نمت بطريقة فردية على فترة طويلة ومع التوحيد السياسي لإيطاليا أنطوت هذه المكتبات تحت جناح المملكة الجديدة ودخل عليها قدر هائل من التوحيد في تنظيمها، وهي العملية التي استمرت حتى – وربما زادت في – الحكم الفاشستي.

يوجد في إيطاليا اليوم ٣٢ مكتبة ولاية معظمها قديم وكانت مكتبات خاصة شهيرة ، درسنا

---

(١) قويت قبضة الادارة المركزية بعد الحرب الاخيرة وخاصة بعد القرارات التي عين بمقتضاها جوليان كارين مديرا عاماً للمكتبات في فرنسا والتي تعطي المدير سلطات واسعة.

(٢) The Survey of lesses and need of libraries in some European countries Put by the Preparatory Commision of Unesco (Unesco prip, Com. and M- 13 app Iparis , November 14, 1946. Memeographed):__

(٣) حدث هذا على نطاق ضيق ، ومازال هناك قدر كبير من الاختلافات موجودا بين مكتبات البلديات في فرنسا

تاريخها في الفصول السابقة [١]، منها أثنتان (في فلورنسا وروما) قوميتان مركزيتان لهما الحق في نسخة من أي كتاب ينشر في الجمهورية . فالمكتبة القومية المركزية في فلورنسا (سابقا مكتبة ماجليابتشي) هي أكبر المكتبات في إيطاليا وتربو مجموعتها على ثلاثة ملايين مجلد ونشرة. ومنذ سنة ١٨٨٦ بدأت في نشر الببليوجرافيات القومية الرسمية بعنوان Italiane Bollettion delle pubblicaz أما مكتبة فيكتور ايمانويل الثاني القومية المركزية -Biblitheca Na) zionale centerale victorio Emmanuele 11 في روما فتركز على جمع الكتب الاجنبية.

وتنشر قائمة بالكتب الأجنبية التي تزود بها مكتبات الولايات الإيطالية بعنوان :Bollittion delle opere moderne staniere acquisitate delle biblio - teche publich govemative del regno Italia

وهناك خمس مكتبات أخرى في شبه جزيرة إيطاليا تطلق عليها «قومية » كل منها توجد في عاصمة الولايات وتمارس الإشراف على بقية المكتبات في الولايات وما زال في إيطاليا كثير من المكتبات الخاصة الجميلة وعدد كبير من مكتبات الكنائس، على رأسها المكتبتان البابويتان مكتبة آمبروز ، ومكتبة الفاتيكان في روما .

ويحق لإيطاليا أن تتباهى بمكتبة الفاتيكان إحدى المكتبات الكبرى في العالم والتي نشطت بعد فترة من السكون النسبي في نهاية القرن التاسع عشر، وخلقت من نفسها واحدة من أحسن المكتبات الأوروبية تقدما وإدارة. وقد تمت هذه الفترة تحت قيادة سلسلة من المديرين اللامعين الخارقين للعادة :الاب (الكاردينال فيما بعد)فرانزايهرل Franz ehrle ١٨٩٥ - ١٩١٣ ثم أخيل راتي Achille Ratti ١٩١٣ - ١٩٢٢ (وكان من قبل ذلك أمين مكتبة آمبروز ثم أصبح البابا بيوس السادس) ثم جيوفاني ميركاتي Giovani Mercati (كاردينال فيما بعد) ١٩٢٢ - ١٩٣٦ وأخيراً أنسيلمو الباريدا albarda Anselmo . وقد تولى أمانة المخطوطات الشرقية الكاردينال يوجين تيسيرانت Eugene tisserant ١٩٠٨ - ١٩٣٠ ثم أصبح مديراً لها ١٩٣٠ - ١٩٣٦ وقد اقتنت مكتبة الفاتيكان في العقود القليلة الماضية مجموعات رائعة من بينها مكتبات أسرتي بورجيز borghese – ١٢١ – وباربيريني barberini ومكتبة شيجي chigi وأرشيف كايتاني وغير ذلك من المجموعات الشهيرة. وقد أدخلت تعديلات عديدة على المبنى في زمن الأب ايهرل، وبلغت أقصى درجات التنظيم تحت إشراف بيوس السادس.

(١) انظر I Giordani = "The work of ltalian libraries " Library quartely VIII, 1938, 145- 155.

وفي عهد ليو الثالث عشر Leo xIII فتحت مكتبات الفاتيكان أبوابها للقراءة في سنة ١٨٨٨ حيث افتتحت قاعة مراجع وقاعات مطالعة وقد اتضحت الحاجة إلى حيز أكبر بعد نمو المجموعات نمواً كبيراً بمرور السنين، وقد بدأ تعديل المبنى وتوسيعه في عام ١٩٢٧ وانتهى في عام ١٩٣٣ ، مما أدى إلى زيادة طاقة المخازن على استيعاب الأعداد المتزايدة من الكتب وتوفير أماكن للموظفين والقراء.

وقد جاءت الإصلاحيات التي دخلت على المبنى في سنة ١٩٢٧ في موعدها مع التنظيم الشامل للإجراءات الإدارية بالمكتبة وخاصة الإصلاح الملحوظ في فهرسة المجموعات: وبعد المفاوضات الاولية التي جرت في ١٩٢٦، ١٩٢٧ وصل إلى الفاتيكان مجموعة من خيرة المكتبيين الأمريكيين يرأسهم وليام وارنربيشوب William Warner Bishop أمين مكتبة جامعة ميتشجان على نفقة مخصصات كارنيجي للسلام العالمي Carnegie Endowment for International Peace في شباط سنة ١٩٢٧ . وفي نفس الوقت أرسل أربعة من موظفي المكتبة إلى الولايات المتحدة لدراسة النظم الامريكية وكان من نتائج زيارة البعثة الأميركية للمكتبة وضع نظام جديد كامل لفهرسة الكتب المطبوعة قريب الشبة من النظام الأمريكي وجعلت مكتبة الكونجرس من مكتبة الفاتيكان أحد مستودعات بطاقاتها المطبوعة. وفي مقابل ذلك استخدمت بطاقات مكتبة الكونجرس فهارسها . كما أودع في المكتبة فهرس مصنف لبطاقات مكتبة الكونجرس ونشر دليل بقواعد الفهرسة بني على أساس من قواعد الكونجرس وقد صدر منه أكثر من طبعة (١). هذا الدليل كان له أثر ملحوظ على المكتبات في أوروبا وما تزال مكتبة الفاتيكان تستمد جزءا كبيرا من أهميتها من مجموعة المخطوطات بها وقد بذل جهد واهتمام كبيران لفهرسة هذه المخطوطات، كما وضع كشاف بطاقي ليكون دليلا مفيدا إلى هذه المجموعة (٢).

وقد أزداد تأثير مكتبة الفاتيكان على بقية مكتبات العالم وعلى دنيا البحث والدراسة ليس فقط بسبب فهرستها وإنما أيضاً لمطبوعاتها ذات القيمة العلمية العالية. وقد توجت أعمال هذه المكتبة بافتتاح مدرسة للمكتبات خصصت لاعداد أمناء يعملون في المكتبات الكنسية ومكتبات الابرشيات. وبفضل هذه المناشط المكتبية أحتلت مكتبة الفاتيكان مكان الصدارة بين المكتبات

(١) Norme per Catalogo degli stampati, and . ed. Citadel Vaticano, 1939. An english edition : Rules for the catalog of printed books translated by T J. Shanahan, V. Shaefer, C.T.Vessolwsky and adited by W. E. Wright. 1948.

(٢) __E. Tisserant = "the preparation of a main index for Vatican Library manuscripts :in William Warner Bishop : Atribute. 1941. 176 - 185.

الأوروبية.

ولا يسعنا بعد ذلك إلا أن نقدم عرضاً سريعاً لبقية الدول الاوروبية فالدول الاسكندنافية تملك مكتبات قومية وساهمت واهتمت بصفة خاصة ببناء مجموعة من المكتبات العامة حول هذه المكتبات القومية. ومن بين المكتبات القومية الهامة ، المكتبة القومية السويسرية في بيرن Bern التي أنشئت في سنة ١٨٩٥ ونمت بسرعة وتملك اليوم أكثر من مليون مجلد. وفي سنة ١٩٣١ إنتقلت إلى مبنى جديد يعتبر بحق أحد النماذج المعمارية المكتبية الحديث، وتودع فيها نسخ من الكتب المنشورة في سويسرا على أساس تطوعي من جانب الناشرين، وفي مقابل ذلك يتلقى الناشر نسخة من النشرة الشهرية للكتب الجديدة المسماة Das Schweizer Buch le livre Suisse التي تنشرها المكتبة . كما تنشر أيضا عددا من الببليوجرافيات الجارية، وتحتفظ بفهرس موحد يسجل مقتنيات أكثر من مائة مكتبة سويسرية (١).

وفي روسيا تقدمت مكتبة لينجراد العامة (أقدم مكتبة قومية) بخطى واسعة منذ انطلاق الثورة . ففي الثلاثين سنة الأخيرة زادت المجموعات إلى ثلاثة أمثال ، جزئياً لاستيلاء الحكومة على المكتبات الخاصة. وكل التحسينات الجديدة التي أدخلت على الأداء المكتبي بها ، بعضها مبتكر وبعضها مقتبس. وهذه المكتبة تطبع في كل سنة حوالى ٥٠,٠٠٠ مجموعة بطاقية وتتبادلها مع المكتبات الأخرى مثل الفاتيكان والكونجرس . ونحن في الغرب لا نعرف إلا أقل القليل عن المكتبات الروسية، ولكننا نستطيع تسجيل تطورين هامين حدثا قريباً أحدهما مكتبة لينين التذكارية Lenins Memorial Library في موسكو التي أعد لها مبنى حديث واسع جدا والتي تعتبر اليوم أكبر المكتبات في العالم على الإطلاق وثانيهما العدد الكبير من مكتبات الاكاديميات والمعاهد والجامعات بالإضافة إلى مكتبات الأقاليم والولايات المنتشرة على أرض الاتحاد السوفيتي الواسعة . وهي التي سوف نعالجها بتفصيل أكبر عند مناقشة المكتبات العامة على الصفحات التالية من هذا الفصل.

رأينا فيما سبق كيف كانت القومية أحد العوامل التي تحكمت في تطور المكتبات الحديثة، وكيف أن شخصية المكتبة أو مجموعة المكتبات قد ارتبطت بحجم وطبيعة النظام الاجتماعي الذي تنتمي إليه . ولكن هناك مع ذلك عوامل أخرى ذات تأثير كبير ألا وهي الظروف التاريخية العامة للعصر، بالمعنى الواسع لهذا المصطلح . فقد تميزت الفترة من ١٨١٥ حتى الآن تاريخياً بالقومية، وإن كانت هناك حركة أخرى عبرت الحدود وربطت بين دول العالم بروابط قوية، ولو

(١) Funfugjahre Schweizerische Landesbilbliothek, 1895- 1945. Bern, 1945

شئنا تعيين تواريخ محددة لذلك فإننا نقول إن القرن الذي بدأ بعام ١٨٤٨ أعتبر قرن الإنسان العام ، فقد سارت الحرية السياسية وانتشار التعليم جنبا إلى جنب مع تطور المكتبات العامة. فالى جانب التعليم الرسمي كان هناك ما ينبغى أن نسميه بتعميم المعرفة بين الناس. ففي الولايات المتحدة كانت حركة السيوم lyceum والشتاكوا Chatauqua مظاهر حقيقية لحركة تعليم الكبار والتي قوى ساعدها واشتد في يومنا هذا. ومثل هذه الاتجاهات يمكن رؤيتها بوضوح في الدول الأخرى . وفي هذا القرن يمكن أن نلاحظ ظاهرة واضحة في دنيا النشر ألا وهي النجاح في تبسيط العلوم الإنسانية للناس. وطالما أن الولايات المتحدة هي التي تصدرت هذا الاتجاه – فاننا سوف نتعرض أولا للحركة الأمريكية قبل الانتقال إلى أوروبا.

إن جزءا من الفكرة الامريكية American idea ينبعث من الإيمان المطلق في التعليم. ذلك أن خبيراً مدققاً هو الكسي دي توكفيل Alexis de Tocquevillee كتب في سنة ١٨٣٥ :« في الولايات المتحدة يوجه التعليم الكامل للناس نحو السياسة (١) » فالتعليم وحده هو الذي يجعل الناس قادرين على حكم أنفسهم والتعليم وحده هو القادر على اذابة عناصر عدم التجانس التي تصب في بوتقة الانصهار فكل فرد بصرف النظر عن مولده أو وضعه الاجتماعي يجب أن يتعلم ليكون مواطنا جديرا بما أسماه مونستربرج Munserberg « الديمقراطية الأخلاقية». وفي هذه العملية التربوية احتلت المكتبة مكانها على طول الخط إلى جانب المدرسة . ويرجع نجاح المكتبة العامة الأمريكية إلى إدراكها المبكر لوظيفتها كامتداد لوظيفة المدرسة وتقديم فرص التعليم لهؤلاء الذين توقف تعليمهم المدرسي.

ومن هنا كانت أهداف المكتبة العامة : توسيع ميول قرائها ، ومساعدتهم على حل مشاكلهم المهنية، وإمدادهم بالكتب الترفيهية اللازمة. ولا تدخر المكتبة وسعا في اجتزاب جميع فئات المجتمع ، وإزالة جميع العقبات لتحقيق أقصى درجات استعمال الكتب. ولقد تسربت روح الحماس المسيطرة على التجارة الأمريكية إلى الأداء في مكتباتها فتحاول أن « تبيع » أحسن بضائعها إلى زبائنها ، مستخدمة في ذلك شتى وسائل الأعلان : من معارض إلى مقالات صحفية ، إلى أحاديث إذاعية ، كما ترحب بمقترحات الجمهور وغالباً ما تنظم سلسلة من المحاضرات والبرامج الموسيقية مما يكسبها صفة المركز الثقافي في المدينة. وهذه المحاولات المتواصلة لتطوير الإمكانيات التعليمية بمعناها الواسع جعلنا نشير إلى المكتبة العامة الأمريكية

(١) Dans les Etas - Unis I,ensemble de I,educationdeshommesest dirigè vers Lapolitique.

على أنها « جامعة الشعب ».

والمكتبة العامة الأمريكية مؤسسة حرة يمولها الناس عن طريق الضرائب . ولم تبرز إلى الوجود إلا في منتصف القرن ألتاسع عشر [1]. وفي المائتي سنة السابقة على هذا التاريخ كانت هناك أنواع أخرى من المكتبات تقدم مواد القراءة إلى الجمهور. ولم تكن المكتبات الخاصة ومكتبات الكليات في حقيقة الامر مكتبات عامة كما يقال ومن بين أولى المكتبات العامة تلك التي أنشئت في ولايات الجنوب مثل ولاية ميريلاند Maryland وفيرجينيا Verginia وكارولينا Carolinas التي انشئت على يد المبشر ذائع الصيت توماس براي Thomas bray كما كانت هناك أيضاً بعض مكتبات الابرشيات في ولايات الشمال. وقد رأى دكتور براى الذي كان مشرفا على الكنائس الانجليكانية (الإنجليزية الاسقفية) في ميريدلاند ، أن أحد العوامل التي تجتذب القساوسة الشباب إلى المستعمرات وجود مجموعات من الكتب تحت تصرفهم. ولهذا قام بإعداد مكتبات الابرشيات «لصالح رجال الدين وبعض الفئات الاخرى » وأشرف بنفسه على مجموعات هذه المكتبات فاعد لها الفهارس واتخذ التدابير اللازمة لاعارة الكتب منها [2].

واتخذ بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin الخطوة الهامة التالية حين أسس في سنة ١٧٣١ أول ومكتبة اشتراكات في أمريكا في فيلادلفيا تحت اسم Free Library Company . وشهدت المائتا سنة التي تلت إنشاء مثل هذه المكتبة في كثير من المدن نعرف منها جيداً مكتبة بوسطن ، مكتبة جمعية نيويورك New York Society Library ومكتبة جمعية شارلستون Charleston Society Library وقد احتفظت بعض مكتبات الاشتراكات هذه باستقلالها حتى اليوم ، واضطر العدد الكبير منها إلى التلاشي أو الاندماج في المكتبات العامة.

وكانت عضوية مكتبات الاشتراكات هذه قاصرة على الأشخاص ذوي الحالة الاجتماعية فوق المتوسطة . ولم يمض وقت طويل حتى سمح للقراء بدفع الاشتراكات السنوية دون شراء الأسهم

---

(١) Sidey Ditzion = Arsnals of democratic culture, a social hisory of the amercian public library movement in New England and the Middie States = from 1950 - 1900 . Chicago, 1947.

= ويعتبر هذا الكتاب مقدمة طيبة في هذا المجال وكما أن الكتاب التالي يعتبر إضافة طيبة في تاريخ حركة المكتبات العامة في نيوانغلاند :

jesse H. Shera = Foundations of the public library. Chicago, 1949.

(١) انظر B. C. Steiner ,ed ;Rev = Thomas Bray, his life and Selected works relating To Maryland. Baltimore , 1601 ;W. D. Houllette - paris Libraris and the work of the reverend Thomas Bray ., Library Quarterly iv 1934. 588 - 609.

الأولية . وفي ذات الوقت بدأت طوائف الشعب الأخرى في إنشاء مكتبات تشبع احتياجاتهم، وشهدت العقود الاولى من القرن التاسع عشر بدايات المكتبات التجارية والتكنولوجية . وهي المكتبات التي طالما رغب فيها فرانكلين وخطط لها . وقد دعت إلى هذا النوع من المكتبات حاجة الشباب من المهنيين والفنيين والكتبة ، لتحسين حالتهم المهنية ولقضاء وقت الفراغ فيما يفيد، وكانوا يعتقدون أنهم – فقط – بهذه الطريقة يوسعون ثقافتهم ويرفعون مستواهم المهني.

ولم يكن من بين هذه المكتبات مكتبة عامة بالمعنى المفهوم اليوم. لقد كان الجسر بين المكتبة «الاجتماعية »التي وصفناها سابقا والمكتبة العامة الحقيقية يتمثل في مكتبة الحي المدرسي School district ففي سنة ١٨٣٥ أصدرت ولاية نيويورك تشريعاً يخول الحي المدرسي بفرض ضريبة لإنشاء المكتبات، ولم تلبث أن توالت تشريعات مشابهة وعروض مالية ساعدت على انتشار هذا النوع من المكتبات. وقلدت كثير من الولايات الاخرى هذا النظام ففي سنة ١٨٧٦ اصدرت تسع عشرة ولاية قوانين مشابهة ، ولكن انعدام ومدة التطبيق والصعوبات الإدارية والاضطرابات السياسية جعلت هذا النظام لا يستمر أكثرمن عشرين عاما . وما تزال آثار هذا النظام موجودة فيما يقارب ست ولايات بها أربعون مدينة ذات مكتبات نظمت على أساس مكتبة الحي المدرسى باعتبارها الوحدة الحكومية . ومن هنا أيضاً – كما لاحظ جويكل joeckel كلما كانت الرابطة بين المدرسة والمكتبة ضعيفة كلما كانت الخدمة المكتبية أحسن .(١) وكانت حركة حي المدرسة في العقدين التاليين لعام ١٨٣٥ تعتبر شيئا دخيلا مما أدى إلى إصدار تشريعات تنص على تحويل الضرائب لصالح المكتبات العامة.

لقد أنشئت أول مكتبة عامة حقيقية تمول عن طريق الضرائب العامة – وما تزال بدون تشريع من جانب الولايات – في مدينة بيتربورج petevrborouh بولاية نيوهامبشير new Hampshire في سنة ١٨٣٣ . وإلى ولاية نيوهامبشير هذه يعود الفضل في إصدار قانون عام لشؤون المكتبات في سنة ١٨٤٩ ولم تلبث ولاية ماستشوستس Massachusetts وعاصمتها بوسطن boston أن قادت حركة المكتبات العامة. فقد أصدرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر حوالى ستين قانونًا تتعلق بالمكتبات. وخول لمدينة بوسطن أن تنشىء مكتبة عامة تمول عن طريق الضرائب في سنة ١٨٤٨ . وفي سنة ١٨٥١ – سرى مثل هذا القانون على بقية مدن هذه الولاية وفي البداية كانت هناك قيود على فرض الضرائب لصالح المكتبات ولكنها لم تلبث أن رفعت ورصدت نفس هذه الولاية في سنة ١٨٩٠ مبالغ مالية لتطوير المكتبات بها كما كونت وكالة

(١) C.B. joeckel = The Government of the American pubic library . Chicago, 1935 111 - 150 et passim

تختص بشؤون المكتبات، قلدتها الولايات الأخرى . وفي سنة ١٩٣٩ أصبح بولاية ماستشوستس ٤٠٥ مكتبة عامة منها ٧٧ في مجتمعات يقل سكانها عن ألف نسمة.

لقد كانت هناك رغبة أكيدة في إنشاء مكتبة عامة في بوسطن قبل أن يصدر القرار الخاص بإنشائها بفترة طولية. وكان من الدعاة المتحمسين إلى ذلك أستاذ هارفارد، جورج تكنور Geore ticknor الذي درس في جامعة جوتنجن في سنة ١٨١٥ وتأثر كثيرا بثراء مجموعة مكتبة الجامعة استعمالها . وفي سنوات المطالبة بإنشاء هذه المكتبة (بوسطن) كتب تكنور في إحدى رسائله «ينبغى أن تأتى المكتبة العامة في ختام نظام تعليمنا الحر، وتساعد هذا النظام في استمرار آثاره وتوسيع نطاقه بالتثقيف الذاتي الذي يأتي عن طريق القراءة » على العكس من بروسيا التي لم تتح فيها مثل هذه الفرصة للفرد بعد أن ينتهى من دراسته بالمدرسة وقدر لبرنامج تكنور - يؤازره مجموعة من أهالي بوسطن - أن يتوج بافتتاح مكتبة بوسطن العامة في سنة ١٨٥٤ ، ونمت المكتبة وتطورت بخطى ثابتة وانتقلت إلى مبنى جديد مرتين ، وأنشئت لها مكتبات فرعية ونقط خدمة في أحياء المدينة المختلفة ، وأصبحت مقتنياتها في سنة ١٩٣٩ مليون وسبعمائة وخمسين ألفاً (١,٧٥٠,٠٠٠) من المجلدات من بينها مجموعات خاصة في منتهى الاهمية . أما عن مكتبة نيويورك العامة فهي أعظم المكتبات الأمريكية العامة على الاطلاق، تطورت عن طريق ثلاث هبات كبيرة، ففي سنة ١٨٤٨ ترك التاجر الأمير جون جاكوب أستور Joseph Green Co-swell الذى كان زميل تكنور في جامعة جوتنجن بقضى وقته في شراء الكتب تحت إشراف استور قبل وفاته بعدة سنوات.

وأنشئت مكتبة أخرى في سنة ١٨٧٠ وهي مؤسسة لينوكس Lenox Foundation وكان بها مجموعات هامة. وقد أوصى صمويل تيلدن Samue Tilden رجل الأعمال الشهير قبل وفاته بتخصيص جزء كبير من ثروته لإنشاء وتمويل مكتبة عامة حرة في مدينة نيويورك، ولكن الإجراءات القانونية عطلت تنفيذ هذه الوصية لعدة سنوات. وفي سنة ١٨٩٥ تجمعت هذه الهبات الثلاث لتمول هذه المكتبة. وفي سنة ١٨٩٦ أصبح الإداري الممتاز جون شوبيلنجزjohn Shaw Billings مديراً لمكتبة نيويورك العامة[1] وفي سنة ١٩٠١ وبمساعدة منحة أخرى من مؤسسة كارنيجي انشأ لها ٦٥ فرعا دفعة واحدة تحت قيادته . كما انطوى تحت إشراف هذه المكتبة عدد من مكتبات الإعارة التي كانت مستقلة . وللمكتبة اليوم قسم المراجع له مبنى ضخم مستقل

(١) من أجل نبذة عن صفات بيلنجز وانجازاته المتعددة . انظر.

H. M. Lydenberg = :John Shaw Billigs Chicgo , 1924.

في وسط المدينة قوام ٢,٠٠٠,٠٠٠ اعارة قوامه ١,٠٠٠,٠٠٠ مجلد و٦٠ فرعا .

ويمكن القول بوجه عام إن تقدم حركة المكتبات العامة الأمريكية ظل بطيئا حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فقد شهد عام ١٨٧٦ – وهو عام مهم لامع في تاريخ الثقافة الأمريكية – عدداً من التطورات المكتبية الهامة أثرت تأثيراً جذريا فيها ، فقد أنشئت جمعية المكتبات الامريكية – American Library Association في ذلك العام وصدر العدد الأول من مجلة المكتبات library journal كما نشر الفهرس الأمريكي American Catalogue وتقرير خاص عن المكتبات العامة توفر على اعداده مكتب التربية والتعليم بالولايات المتحدة United States Bureau of Education كما أنشئ مكتب المكتبات The Library Bureau لإمداد المكتبات بمختلف الأدوات التي تحتاج إليها . ونشر ملفل ديوي Dewey الطبعة الأولى من التصنيف العشري Decimal Class وقام بدور كبير في إنشاء جمعية المكتبات. وابتداء من هذه السنة حتى نهاية القرن التاسع عشر قوى تأثير ديوي على عالم المكتبات. وكان هو الشخص الذي رأس أول مدرسة للمكتبات افتتحت في سنة ١٨٧٧ . ومنذ ذلك الوقت أنشئ عدد آخر من مدارس المكتبات ، سيكون لدينا الكثير لنقوله عنه فيما بعد.

هناك بعض الخصائص والخدمات التي تتميز بها المكتبة العامة الأمريكية سوف نحاول تصويرها هنا في خطوطها العريضة مع التنبيه إلى أن هذه هي فقط الخطوط العريضة لشكل المكتبة العامة، ولا يمنع ذلك من وجود اختلافات بين المكتبات الأمريكية (١) والخدمات التي سوف نتعرض لها تؤديها المكتبات العامة الكبيرة. أما المكتبات العامة الصغيرة فلا ينتظر منها أن تقوم بكل هذه الخدمات . فالمكتبة العامة الكبيرة المنظمة جيداً تفتح أبوابها لفترة طويلة يوميا تمتد في المساء وأيام الآحاد غالبا ، وتعتبر الرفوف المفتوحة إحدى الإضافات الهامة التي قدمتها المكتبة العامة الأمريكية لعالم المكتبات، يضاف إلى ذلك قوائم الكتب الجديدة التي تنشرها المكتبات، وتنظيم خدمة ارشاد القراء . كما تقوم المكتبة بإقامة معارض تتناسب مع ظروف المناسبة سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم تاريخية وفي بعض المكتبات توجد قاعة محاضرات داخل المبنى ، وإلى جانب إعارة الكتب تعتبر المكتبات العامة الأمريكية خدمة المراجع

---

(١) يمكن الحصول على فكرة طيبة عن الوظائف المعقدة للمكتبة العامة الكبيرة من التقرير السنوي لمكتبة نيويورك العامة . والحصول على وصف مفصل لمكتبه شيكاغو العامة انظر: C. B. Joeckel and L Carnovsky = Ametropolitan library in action . Chicago , 1940.

وللحصول على صورة واضحة عن دور المكتبة العامة المتوسطة في الحياة الامريكية انظر:

R.S. and H. M. Lynd = Middletown New york, 1929 and Meddletown in transition New york, 1937

جزءاً من وظيفتها تؤديها بكفاءة وفاعلية وسرعة وهذه الخدمة تمثل نوعاً من الصلة بين المكتبة العامة والمكتبة الدراسية في الولايات المتحدة ، ذلك أن المكتبة العامة حين تنمو ويكبر حجمها وتتسع خدمة المراجع بها فإنها تقوم بنوع من الوظائف الموقوفة على المكتبات الجامعية ومكتبات البحث . وهناك خدمة حديثة ولكنها تتقدم بخطوات واسعة وهي إمداد العميان بكتب خاصة بهم، وتعتبر مكتبة الكونجرس مركزا لهذهً الخدمة.

ومن بين أوجه النشاط الرائع للمكتبات العامة الأمريكية ، مكتبات الأطفال إذ خصصت حجرات منفصلة وضعت بها مجموعة أدب الاطفال متدرجة تبعا لفئات السن، وأعطى المكتبيون اهتماماً خاصاً لعلم نفس الطفل واستخدامه للكتب. كما يعقد امناء مكتبات الاطفال صلات قوية بمكتبات المدارس فيرسلون أعداداً. من كتبهم لتستقر في حجرات الدراسة على سبيل الاستعارة، وفي مقابل ذلك يشجع المدرسون تلاميذهم ، منذ المراحل الأولى ، على ارتياد المكتبات العامة ويعلمونهم كيفية استعمالها. وهنا نجد علاقة مثمرة بين المدرسة والمكتبة العامة تساعد على الوصول إلى الهدف التعليمي الذي يعتبر أساس الفكرة الأمريكية.

وتدين المكتبات العامة الأمريكية بوجودها في الأعم الأغلب للجهود المحلية فقد أصر أندرو كارنيجي Andrew Garnegie صاحب الأيادي على المكتبات العامة والذي قدم لها أكثر من ٤ مليون دولار – على إبقاء سلطة المكتبات في أيدى السلطات المحلية وضمان حد أدنى من التأييد والدعم من جانب المجتمع . وتبعاً لهذه الظروف وبالنظر إلى الاختلافات الجغرافية ، والمصادر الاقتصادية، وتاريخ الإنشاء ، والعوامل الثقافية الأخرى السائدة في هذه القارة المترامية،، يجب ألا ندهش للاختلافات الواسعة في الخدمة المكتبية من مكان لآخر . ومما يلفت النظر حقاً ضآلة الخدمة المكتبية التي تقدم إلى المجتمعات الريفية التي تخرج عن نطاق حدود البلديات. وباتبا ع الخطوات التي اتخذتها ولاية ماستشوستس فقد شكلت بعثات مكتبية من مكتبة الولايات إلى هذه المجتمعات كما قام عدد من الولايات منها نيويورك، اوهايو، انديانا ، وكاليوفورنيا بالذات بإنشاء شبكات مكتبية خاصة وبالمناطق الريفية – وباتبا ع مثل هذه الخطوات في بقية الولايات يمكننا التخفيف من واقع سوء الخدمة المكتبية للريف. ولكن الظروف تجعل حوالى أربعين مليوناً من سكان الولايات المتحدة باقين حتى اليوم دون خدمة مكتبية.

ويرجع السبب الرئيسي لذلك التخلف، في أن البناء الحكومي المعقد للمكتبة العامة الأمريكية يضع العراقيل المصطنعة في طريق الخدمة المكتبية للأقاليم. ولهذه المشكلة قام س.ب جويكل بدراسة مستفيضة وكان أحد مقترحاته لحلها أن تقوم الخدمة المكتبية عى أساس المناطق التجارية بصرف النظر عن الحدود السياسية والإدارية والتشريعات. وكثير من المناطق يسوده

الفقر وأكثر من هذا تعتبر أقساما من وحدات أكبر هي المقاطعة أو الولاية التي تعاني بدورها من الضيق المادى، مما يجعل من الافضل الاهتمام بالتعليم المهني والتوسع الزراعي أولا في هذه المرحلة وقد تشعر الحكومة الفيدراليه بهذه المشكلة فانشأت في سنة ١٩٣٨ قسما للخدمة المكتبية Divisin of Library Service ألحق بمكتب التربية office of Education وأنيطت به مهمة النهوض بالخدمة المكتبية في هذه المناطق.

ويشبه نظام المكتبات العامة في بريطانيا النظام الأمريكي في كثير من الوجوه على الرغم من وجود فروق جوهرية بينهما. قد تكون المكتبات العامة البريطانية ليست على نفس مستوى نظيراتها الأمريكية وخاصة في مجال العلاقات العامة والدعاية بسبب اختلاف التقاليد . وكثير من التطورات الأمريكية العميقة مثل مكتبات المقاطعات ومدارس المكتبات لم تصل إلى بريطانيا إلا مؤخراً . ومن جهة ثانية نجد – كما يتضح فيما بعد – أن التخطيط للخدمة العامة على النطاق القرمي في بريطانيا قد فاق نظيره في الولايات المتحدة .

ولايمكننا الإجابة عن أسبقية التطور التاريخي في هذا المجال (المكتبات العامة) إجابة دقيقة (١) ذلك أن كلا من البلدين قد أثر في الآخر تأثيراً لا يمكن الشك فيه.فالى جانب التأثير الثقافي التقليدي المتبادل هناك روابط وثيقة الصلة بين جمعية المكتبات الأمريكية وجمعية المكتبات في المملكة المتحدة Library Association of the United kingdom والتقدم المتوازي للمكتبات في كثير من الملامح في كلا البلدين. وعلى سبيل المثال يتبع في كليهما نظام الرفوف المفتوحة، وتصنيف ديوي العشري وخدمة المراجع. ويهمنا جداً من الناحية التاريخية حقيقة هامة هي أن تطور نظام المكتبات العامة جاء في وقت واحد في كل من البلدين وهنا أيضاً نجد العملية المعاصرة ذات القوة الاجتماعية الكبرى أعني الثورة الصناعية وما تبعها من ظواهر نشوء المدن الكبرى ، ونمو الطبقة العاملة وحاجتها إلى التعليم المهني المتقدم ، ونمو الوعي السياسي وتحرير الفرد كل هذا إلى جانب انتشار التعليم في كل من البلدين.

وفي بريطانيا العظمى – كما حدث في الولايات المتحدة – يمكننا تتبع المحاولات الأولى لإنشاء المكتبة العامة بمعناها الحقيقي . لقد كانت هناك بضع مكتبات قليلة أنشأتها البلديات في العقود الأولى من القرن السابع عشر وتوفر توماس براي – سابق الذكر – على إنشاء مكتبات الابرشيات في بريطانيا أيضاً وما يزال بعضها قائما إلى اليوم . وفي بريطانيا أيضاً وجدت مكتبات الاشتراكات المعروفة (ولعل أروع مثال حي على ذلك النوع مكتبة لندن London

---

(١) C. sidney Ditzion = " The Anglo - Amirican library Scene : a contribution to the social history of the library movement " Library quartely xvi, 1946. 281 - 301.

Library التي انشئت منذ ١٨٤١) كما وجدت المكتبات التكنولوجية بأعداد كبيرة.

واستطاعت اللجنة البرلمانية التي تكونت في سنة ١٨٣٥ للنظر في إصلاح المتحف البريطاني ، أن تجمع كثير من المعلومات والبيانات عن وضع المكتبات الأخرى. وتعتبر هذه أول إشارة إلى مكتبات عامة متطورة يعود الفضل في تطويرها إلى إدوارد أدواردز Edward Edwards الذي استحق لقب الأب الروحي لحركة المكتبات العامة الإنجليزية . إذ أنه حينما بدأت اللجنة البرلمانية في سنة ١٨٤٩ تتجه بجهودها نحو المكتبات العامة . كان إدواردز في مقدمتها، وعمل جنبا إلى جنب مع وليام أيوارت.William Ewart رئيس اللجنة الذي كان يتبنى أية حركة تدعو للتعليم العام. وعن طريق إيوارت استطاع أدواردز أن يمد اللجنة البرلمانية ببيانات تفصيلية كان قد قضى سنوات في جمعها واقترح عددا من المبادئ العامة وجدت سبيلها إلى تقرير اللجنة . وما تزال المذكرة التي كتبها ادواردز عن حركة المكتبات العامة في بلده ذات شأن كبير.

وفي سنة ١٨٤٥ أصدر البرلمان قانونا يخول لمجالس المدن فرض ضرائب لإنشاء متاحف عامة ، فاستغلت مدينة وارنجتون Warrington هذا القانون لإنشاء متحف ومكتبة . وفي سنة ١٨٥٠ عدل هذا القانون بزيادة الضريبة لإنشاء مكتبات عامة في المجتمعات التي تزيد على عشرة آلاف نسمة – وصدرت تشريعات أخرى في السنوات التي تلت توجت بقانون المكتبات العامة pubic Libraries Act في سنة ١٨٩٢ الذي نص على أن كل منطقة حضرية ، وكل أبرشية فى انجلترا وويلز فى منطقة غير حضرية تصبح منطقة .. مكتبية . ومثل هذه القوانين صدرت في اسكتلندا وإيرلندا في نفس الوقت تقريباً . وقد بقيت هذه القوانين (مع بعض التعديلات) معمولا بها حتى اليوم"(١).

وكان قانون ١٨٥٠ صريحاً في ذلك ولكنه ترك أمر إنشاء المكتبات للسلطات المحلية. فأسرعت مدن قليلة إلى تنفيذ القانون وبمرور السنين لحقت بها مدن أخرى أكثر وأكثر ، ومع ذلك فقد كان النمو بطيئاً بوجه عام. وكان التوسع في التشريعات لصالح المدارس في السبعينات وإنشاء جمعية المكتبات في سنة ١٨٧٧ دفعة قوية للمكتبات العامة، وعندما احتفل بيوبيل الملكة فيكتوريا في ١٨٨٧ افتتح بهذه المناسبة عدد كبير من المكتبات . وربما جاء الدافع الأقوى من جانب هبات كل من باسمور ادواردز passmore Edwards ، اندرو كارنيجي، ولعبت مدينة

---

(١) للحصول على تفصيلات أكثر أنظر :

j. M into = A history of the public library movement in Great Britain and Ireland. London , 1932.

مانشستر الصناعية الكبرى في انجلترا الدور الذي لعبته مدينة بوسطن في الولايات المتحدة . فقد افتتحت مكتبتها العامة عام ١٨٦٢ وتوفر على إدارتها لمدة ست سنوات إدواردز بإدارة نموذجية ، وتحتل حتى اليوم مكان القيادة بين المكتبات العامة البريطانية . أما مكتبة لندن العاصمة Metropolitan London LIBRARY فتأتي في الخلف نسبياً بسبب وضعها الحكومي المعقد.

ولقد سبقت بريطانيا العظمى الولايات المتحدة على الأقل في مظهر من أهم مظاهر نظام المكتبات العامة ألا وهو «التغطية القومية » . ومن الناحية التشريعية يمكن تنفيذ ذلك بسهولة ، ولكن في الولايات المتحدة تخضع الوحدات المكتبية للقوانين التي تصدرها كل ولاية على حدة . وهذا يعني ببساطة قدراً هائلا من الاختلافات في قوانين المكتبات. أما في بريطانيا فقد استطاع البرلمان منذ البداية إصدار قوانين تطبق في كل أنحاء المملكة المتحدة . وهذا مما يضمن التوحيد من البداية . وقد تنمخضت الحرب العالمية الأولى عن ضرورة إعادة البناء الاقتصادي للأمة ، وكان من بين مقاييس إعادة البناء قانون المكتبات لسنة ١٩١٩ الذي أزال العقبات من أمام فرض الضرائب وخلق سلطات لمكتبات الأقاليم.

والعامل الهام الرئيسي الذي يساعد على «التغطية القومية » هو تطور المكتبة القومية المركزية National Central Library وقد أنشئت في سنة ١٩١٦ بعطاء من كارنيجي تحت اسم المكتبة المركزية للطلبة لتقوم بدور مركز للمعلومات الببليوجرافية ووكالة مركزية لإعارة الكتب للطلبة والمعلمين ، وقد استطاعت القيام بوظائفها على الوجه الأكمل . وفي سنة ١٩٣٠ تغير الاسم إلى الاسم الحالي، وفي سنة ١٩٣٧ احتلت مبنى جديداً واسعاً. وقد كان للمكتبة القرمية المركزية تأثير واسع في تحقيق التعاون المكتبي بين المكتبات البريطانية وغيرها من المكتبات في الدول الأخرى وقد اتفقت مع عدد من المكتبات العامة والمتخصصة على إعارة كتبها حسب الطلب وارتبطت المكتبات الجامعية - بعد محاولة للتعاون فيما بينها - باتفاق المكتبة القومية المركزية . وفي الخمسين سنة الماضية أنشئت مكاتب إقليمية لتقوم بدور الوسيط بين الطالب والمكتبة القومية المركزية وهكذا يمكن للقارئ الذى يرغب كتابا معينا أن يطلبه مباشرة من المكتبة القومية المركزية (إذا كان يعيش في إحدى المناطق البريطانية القليلة التي لا تصلها خدمة مكتبية) . أو من مكتبته العامة . التي إذا لم تكن تملك الكتاب - تطلبه من المكتب الإقليمي أو من المكتبة القومية المركزية مباشرة. وعن طريق الفهارس الموحدة والأدوات الببليوجرافية الأخرى يمكن للمكتب الاقليمي أو المكتبة المركزية العثور على الكتاب المطلوب وإلا قامت بشرائه إذا

فشلت الوسائل الأخرى : ولقد توسعت هذه المكتبة القومية المركزية في خدمتها إلى حد كبير أدى إلى تزايد الشعور بأهميتها وفائدتها.

وقد ساعدت الازمة الاقتصادية في الثلاثينات واندلاع الحرب العالمية الثانية على دفع مشكلة الخدمة المكتبية على النطاق القومي. تلك المشكلة التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى واستمرت بعدها. فقد أثيرت المشكلة في تقرير عن المكتبات العامة Report on Pubic Libraries سنة ١٩٢٧ ولكن التقرير لم يكن محددا وفعالا وتوبعت في ١٩٢٩ / ١٩٣٠ في التقرير النهائي الذي وضعته اللجنة الملكية للمتاحف وقاعات الفنون وقد ضمنته توصيات هامة عن المكتبات. وقد حلل ماك كولفين mc Colvin في تقريره (١) الذي ظهر أثناء الحرب الوضع الجاري للشؤون المكتبية خططا جريئة وبعيدة المدى لإعادة تنظيم الخدمة المكتبية في بريطانيا . إذ يواجه التقرير في انصاف معجز أوجه النقص التي كانت موجودة في الشؤون المكتبية ويقدم مقترحات مفصلة لاعادة بناء الخدمة المكتبية مع تغيير في النظم الإدارية والضرائب إن أمكن ، وإن تعذر ذلك فليعاد تنظيم الخدمة المكتبية نفسها على أساس الوحدات الإقليمية جغرافيا واقتصاديا . ومهما يكن من أمر التوصيات المحددة في هذا التقرير فإن قابليته للتطبيق وجرأته ومثاليته تجعله صالحاً للتطبيق في بريطانيا في مرحلة ما بعد الحرب.

وإذا تركنا المكتبات العامة الأمريكية والبريطانية إلى نظيراتها في القارة الاوروبية ينبغي علينا أولا أن نقوم بتحديد بعض المفاهيم والمصطلحات حتى يكون هناك أساس مشترك للمناقشة والمقارنة فالمقصود بلفظ «المكتبة العامة Library pubic تلك التي تفتح أبوابها جهاراً للاستخدام العام الحر من جانب الجميع وتمول عن طريق الضرائب العامة. أما في أوروبا فكثير من المكتبات « العامة » تفتح أبوابها لفئة خاصة من الناس ، وعدد أقل بكثير – مما في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى – من هذه المكتبات يمول عن طريق الضرائب العامة ، وكثير من المكتبات التي افتتحت خصيصاً للقراءة لا تحصل إلا رسوماً قليلة . لقد كانت اوروبا وما تزال مشهورة بالعدد الكبير القيم من المكتبات الخاصة. وقد حالت هذه المكتبات الخاصة إلى حد ما دون إنشاء المكتبات العامة ، ذلك أنها تفتح أبوابها للباحث والطالب الجاد . والمكتبات العامة فى اوروبا تقع فى فئتين كبيرتين : الأولى تسمى مكتبات «البحث» أو «المكتبات العلمية» والفئة الثانية تسمى «المكتبات الشعبية» .

(١) L. R. MC Colvin = The public library system of Great Britain. London, 1942

وفى الفئة الأولى نجد مكتبات المراجع الكبيرة التى تملكها الدولة أو الجامعات أو الهيئات والمؤسسات العلمية : وفى بعض الأحيان يملكها أشخاص لا يمانعون فى استخدام الآخرين لها ، وهذه المكتبات تعرضنا لها بشىء من التفصيل فيما سبق . أما مكتبات الفئة الثانية فتختلف بوضوح من بلد إلى بلد ، وتقوم المكتبة العامة في هذه الفئة - بدور مركز الإعارة دون أي محاولة للقيام بخدمة المراجع أو بناء مجموعات ضخمة وهي الظاهرة التي تقوم على قدم وساق في المكتبات العامة الامريكية والبريطانية . فالمكتبة العامة الأوروبية تقتصر فقط على عملية الإعارة كالتي توجد في المكتبات الامريكية دون محاولة منها لتخطى هذه العملية وتقليدها في مجال خدمة المراجع وإرشاد القراء والدراسة الجادة.

ويستثنى من هذه القاعدة المكتبات العامة في الدول الإسكندنافية فقط فلقد بدأت حركة المكتبات العامة الإسكندنافية في بداية هذا القرن (العشرين) وقت أن كانت حركتها في أمريكا قد بلغت عنفوانها لتمارس تأثيراً قوياً ، فقلدت النرويج الطرق الأمريكية كالرفوف المفتوحة والفهرس القاموسي ، وطرق الإعارة ولقد زار عدد من النرويجيين الولايات المتحدة ودرسوا فيها ، ثم عادوا إلى بلادهم ليقودوا الحركة المكتبية في بلادهم فنقلوا إليها النظم الامريكية ومنها انتقلت إلى الدانمرك والسويد. ومن أعلام الحركة المكتبية النرويجية اثنان يستحقان الذكر هما تامبز لايش Tambs Lyche وهاكون نايهوس Haaken Nyhuus (١) وفي الدانمرك درس المربي ا.س. ستينبرج a.s.steenberg الطرق والنظم الأمريكية من مطبوع وضعه الأستاذ النمسوي أدوارد ربير Edward Reyer وأعجب بها ودعا إليها وفي دول إسكندناوة الثلاثة تمارس الحكومة المركزية إشرافا دقيقاً على المكتبات وتمدها بمبالغ كبيرة تساعد السلطة المحلية على أداء خدمة قوية . كما تساعد الحكومة في عملية اختيار الكتب والشراء والفهرسة . والتغطية المكتبية على النطاق القومى تسير سيراً حثيثاً ، وقد ضربت الدانمرك المثل الأعلى في هذا الشأن.

حقا لقد كان لألمانيا تاريخ عريق في المكتبات الدراسية والمكتبات الخاصة، ولكن نمو المكتبات العامة بها ظل راكداً فترة طويلة. وتنحصر المرحلة الأولى من هذا النمو بين حروب التحرير (١٩١٣ - ١٩١٥) (ومنتصف القرن التاسع عشر) وهي الفترة التى جاءت بالثورة الأقليمية ، فكان في هذه الفترة عدد كبير من المكتبات الصغيرة تملكها جمعيات الصناع

(١) A. Arnesen = How Norway become the focus of American libray methobs in Europ; Library Quarly iv 1934 . 148 - 155.

مما يستحق الذكر ان أحد الكتب الرائعة عن المكتبات الامريكية كتبه نرويجي :
W. Munthe American Librarianship from a european angle . Chicago, 1939

واتحادات المهن التعليمية بل لقد كان هناك عدد من المكتبات المنتقلة في المناطق الريفية . وجدير بالذكر هنا الجهود الضخمة التي بذلها كارل بريسكر KarlPreusker الذي طالب بمكتبات للمجتمع ، فأسفرت عن إنشاء مكتبة البلدية في جروسينهاين Grossenhain في ساكسونيا ، وحثت الجمعية الاقتصادية الساكسونية Gesellscheft sachsische okonomische على إنشاء مكتبات قروية.

ولقد فشلت كثير من المشروعات في أن تستمر إلى منتصف القرن وتتفاعل مع الأنتفاضات التي تلت، مع استثناء واحد نلاحظه في المكتبات العامة في برلين التي استمرت بفضل المؤرخ فريدريك فون رومر FREDRICH VON ROUMER الذى كان على رأس كل حركة تقدمية كما يقول رانكي Ranke . وكان رومر متأثراً برحلة كان قد قام بها إلى أمريكا فعاد إلى بلاده وأسس جمعية المحاضرات العلمية Verein Fur wissenschaftliche Vortroge) في سنة ١٨٤١ وخص برلين بالجزء الأعظم من جهدها ، فافتتحت أربع مكتبات عامة في سنة ١٨٥٠ . وبعد عقدين من الجهود المتواصلة من جانب هذه الجمعية تحملت المدينة كافة المسؤوليات المالية إزاء هذه المكتبات. وشهدت سنة ١٨٩٠ إعادة تنظيم شاملة لهذه المكتبات من تجديد للمجموعات وزيادة المخصصات المالية ، وزيادة عدد ساعات فتح المكتبة وفي سنة ١٩٠٧ افتتحت مكتبة في برلين واقترح أن تعتبر الخدمة المكتبية في برلين مثالا تحتذيه البلديات الأخرى (١).

وكانت هذه المكتبة المركزية قبل الحرب (الأولى) تقتني ٣٥٠,٠٠٠ مجلد وتشرف على ١٣٠ مكتبة عامة وصالة قراءة خاصة ، كانت منتشرة في الأحياء الإدارية العشرين لبرلين وكان لمدير مكتبة بلدية برلين السلطة النهائية على الإجراءات الفنية والسياسة الثقافية في هذه المكتبات.

وكان على تطور المكتبات خارج برلين أن ينتظر إلى وقت تكوين الامبراطورية ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر أحرز كثير من المدن الكبرى تقدما ملموسا في هذا المجال. وتجدر الإشارة هنا إلى شخصيتين بارزتين قادتا هذه الحركة : قسطنطين نورنبرج Constantin Norrenberg الأمين في كيل kiel الذي تأثر بالنظم الأمريكية أثناء رحلة قام بها إلى شيكاغو عام ١٨٩٦، والثاني ادواردريير الأستاذ النمسوي – وقد سبق ذكره وقد سافر هو الآخر إلى الولايات المتحدة وانجلترا وقام بجهود مشكورة في تنظيم المكتبات العامة في بلده وكان من ثمار

(١) W. Schuster = " Zusammenarbeit der Stadtbibliothek mit den Volksbuchereien `zentablatt fur Bibliothek - swesen Lv; 1938. 457 - 467.

(٢) تغير العنوان عدة مرات آخرها هو Die Bucherei وكان ينشرها مكتب الحكومة لشؤون المكتبات Reichsstelle Volksbuchereiwesn وتوقفت عن الصدور قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية.

هذه الرغبة الأكيدة في المكتبات العامة إصدار مجلة بمهنة المكتبات في سنة ١٩٠٠ بعنوان : Blatter fur Volksbibliotheken Und Lesehallen [٢] كما ساعد على دفع هذه الحركة إلى الامام عدد من الجمعيات العلمية مثل جمعية الثقافة الأدبية Gesellschaft fur Ethische Kultur التي أسست عدداً من قاعات القراءات العامة وجمعية كومنييوس – Comenius -(Gesellschaft وجمعية نشر التعليم الشعبي (Gesellschaft zur verbreitung der volksbildung) وقد وجهت جهودها على وجوه الخصوص إلى المناطق الريفية الصغير.

وفي كثير من المناطق الريفية الألمانية شجعت الولايات الالمانية تنظيم المكتبات المتنقلة . فقدمت كل من ساكسونيا وفيرتمبرج مساعدات متواضعة في البداية ، وأعطت بروسيا الشيء الكثير . أما ولايات الحدود فقد بذلت جهداً كبيراً لإمداد الناس بالكتب . وفي سنة ١٨٩٦ أسس اتحاد المكتبات العامة بشمال سيليزيا (verband oberschlesischer Volksbibliotheken) وأحرز تقدماً كبيراً في سنة ١٩١٤ . وأصبحت مكتبة قيصر ويلهلم kaiser wilhelm في بوزن Posen مركزاً للمكتبات الريفية والحضرية في منطقتها . فسيرت المكتبات المتنقلة ووجدت جميع المكتبات في كل المقاطعة تحت إدارة واحدة ، وعقب الحرب العالمية الأولى أنشئت مصلحة مكتبات الحدود (Grenzbuchereidienst) لتقديم الكتب التي تقوي الشعور القومي بين الناس في المناطق التي انفصلت عن الحكم الالماني أو هددت بالانفصال عن طريق الاستفتاء العام. ولقد فشلت هذه المصلحة كما فشلت كل المصالح الأخرى التي أنشأها الرايخ الثالث ليسترد لألمانيا أكبر عدد ممكن من سكانها السابقين ، ودعم إخلاص الناس ذوي الأصل الألماني في جميع أنحاء الدنيا (١).

وحين أخذت الحركة المكتبية في ألمانيا في النمو والازدهار اتجهت نحو الفصل بوضوح بين المكتبة الشعبية ومكتبة البحث . وكان المشرعون الاول لهذه المكتبات لا المكتبات العامة الأمريكية والبريطانية . وليس في فرنسا مبادأة من جانب السلطات المحلية ولا تشجيع من جانب الحكومة المركزية لإنشاء مكتبات إعارة حرة في الغالبية الساحقة من المدن الفرنسية سواء الكبيرة أو الصغيرة حقا لقد كانت هناك رغبة محمومة للقيام بذلك – تحت تأثير المكتبة الأمريكية في باريس – ولكن الأزمة الاقتصادية في سنة ١٩٣٠ بددت هذه الرغبة تماماً والأمل معقود اليوم على بعض الجهود التي تبذل لإنشاء مكتبات عامة.

(١) W. S cheffen = " Zwanzig jahre Grenzbuchereidienst" Di Bucherei vii, 1940 . 254 - 263

وبعد التوحيد السياسي في إيطاليا كانت الخطوة الأولى موجهة نحو محو الأمية على نطاق واسع : والمكتبات العامة التي شقت طريقها إلى الوجود وضعت في رعاية جماعات متنازعة : كت هناك المكتبات الدينية أو مكتبات الرجال العاملين بزعاتهم أدمج النوعان معاً في السنوات الاخيرة وهكذا نشأ نوع جديد من المكتبات الاقتصادية (einheitsbibiliothek)(١) وبعد الخراب الذي نشرته الحرب، والمتاعب الاقتصادية المتتالية ظهر في المانيا اتجاه يدعو ويشجع على تخميد الحركة المكتبية وخاصة في المدن الكبرى والمتوسطة التي بها مكتبة بلدية ومكتبة جامعة معاً.

والمكتبات العامة في كل من فرنسا وايطاليا مازالت متخلفة بالنسبة إلى الدول الأخرى ، وبينما نجحت الإدارة المركزية ، التي جاءت بها الثورة ، في تطوير ودفع المكتبات الدراسية في فرنسا (أحرزت المكتبات الجامعية الفرنسية تقدما هائلا في السنوات الأخيرة) فقد هزلت مكتبات البلديات وضعفت . ويوجد في فرنسا بعض مكتبات البلديات ولكنها تقترب إلى حد كبير من مكتبات البحث الألمانية أكثر من يهدفون فقط إلى إنشاء مكتبات جديدة بل أيضا إلى تطوير الموجود منها بالفعل فدفعوا معظم مكتبات البلديات القديمة الى زيادة منافستها لمكتبات البحث ومكتبات الولايات ، وإلى اقتباس نظم وأهداف المكتبات العامة الجديدة ، وأنشيء اتحاد مهني مستقل خاص بالمكتبات العامة باسم أمناء المكتبات العامة الالمانية Verbande utscher Volkbi-othekare (٢) ويسود ألمانيا اليوم شعور عام بكفاية المكتبات العامة في المجتمعات الصغيرة ، وأنه في المدن الكبيرة ينبغي أن يكون هناك مكتبة بلدية دراسية وأخرى شعبية تدار كل منهما مستقلة عن الأخرى إذ أنه في بعض المدن الكبرى مثل برلين تدار المكتبتان معا . كما أنه في المدن متوسطة الحجم الخاصة وخصوصماتهم المتبادلة وفي نهاية القرن (التاسع عشر) وضعت المكتبات العامة الهامة في رعاية جمعيات كان هدفها تحسين أحوال العاملين بها . وفي سنة ١٩١٧ صدر قانون يجبر كل كوميون (الولاية أو الوحده الإدارية) على إنشاء مكتبة عامة ولكن هذا القانون لم يصادف قبولاً . اتخذت الحكومة الفاشستية خطوات ايجابية لدفع حركات المكتبات العامة الى الأمام . وكون اتحادان للمكتبات في إيطاليا هما : Associazione Italiana

---

(٢) لعله من الممتع ان نذكر أن أول مجلة للمكتبات في ألمانيا تصدر بعد الحرب خصصت للمكتبات العامة وهي Der Volksbibli-othekar. Berlin, Ino. loct. 1946 وقد توفرت على تشجيع نشرها وتدعيمها الادراة العسكرية السوفيتية.

(١) ليس هناك مصطلح بالانجليزية (أو بالعربية) يؤدى بالضبط المعنى المقصود من هذا المصطلح الالماني ويمكن ترجمه Unified library بلفظة قريبة من معناها « المكتبة الموحدة » وهو يعني المكتبة التي يؤدى فيها الان عدد من الوظائف – في مكان مركزي كان سابقا يؤدى في عدد من المكتبات ذات طبيعة خاصة سواء مكتبات بحث أو مكتبات عامة (المترجم).

Per le Biblioteche PoPularie Scholastich ente Nazionale كما بدأت تدريبات ومحاضرات لأمناء المكتبات . ويصعب علينا اليوم أن نتنبأ بمستقبل المكتبات العامة الإيطالية ، وانما يمكن فقط القول بأن الطريق شاق وطويل لكي تصل الإمكانيات الى حد الكفاية.

أن تقدماً مدهشاً يجري اليوم لتطوير المكتبات العامة في الاتحاد السوفييتي ذلك أنها جزء مكمل للجهود التي تبذلها الحكومة لمحو النسبة العالية من الأمية ولرفع المستوى الثقافي والتعليمي للشعب، وهي الجهود التي بدأتها الحكومة سنة ١٩١٧ . فقد تم هذا التطوير والتوزيع المدهش للمكتبات الجديدة عن طريقين : مصادرة المجموعات الخاصة الغنية – كما حدث في فرنسا – اعادة التنظيم الكامل للحكومة والذي ضمن أساساً إدارياً لنشر الخدمة المكتبية على « نطاق قومي ».

ولعل الدليل الحي على هذا النشاط وجود كثير من المكتبات الكبيرة ، تنتشر في طول الاتحاد السوفيتي وعرضه وتبلغ مجموعات كل منهامئات الآلاف من المجلدات – وفي بعض الأحيان مليوناً – وتملك كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد «مكتبة مركزية كبيرة وقوية وعددا من مكتبات البلديات والمكتبات الاقليمية تتفاوت احجامها ولكنها تتفق في فاعليتها . إن أعظم مكتبتين في روسيا على الإطلاق هما مكتبة لينجراد العامة ذات التاريخ الطويل المشرق ومكتبة لينين التذكارية في موسكو التي بنى لها حديثا جناح يجعل طاقتها تتسع لعشرة ملايين مجلد ، ويمكن تكوين فكرة على حجم المكتبات المركزية في الولايات (أو الجمهوريات) من مكتبة ولاية خاركوف التي تزيد مجموعتها على مليون مجلد ، ومكتبة ولاية روسيا البيضاء في منسك التي تزيد مجموعاتها عن مليونين من المجلدات .(١) وهناك أيضاً مكتبات الجامعات ومكتبات المدارس والمكتبات العسكرية وهي ذات مجموعات كبيرة (٢) بالإضافة إلى أن كثيرا من المؤسسات والجمعيات لها مكتبات كبيرة وأهم هذه المكتبات على الإطلاق مكتبة أكاديمية العلوم Academy of Sciences التي إذ أضفنا إليها مجموعات فروعها في موسكو لينجراد سوف تبلغ أكثر من ثمانية ملايين مجلد. ولقد قامت الحكومة بتقديم المبنى الغاية العظمى من هذه المكتبات. ويرجع جزء من النمو السريع لهذه المكتبات إلى العدد الضخم من الكتب التي تنشر في روسيا والذي زاد منذ قبيل الحرب العالمية الثانية على مجموع ماتنشره أمريكا وألمانيا معاً في السنة الواحدة.

---

(١) هذه الارقام بطبيعة الحال كانت أرقام ما قبل الحرب. وهذه المكتبات لابد وانها قد خربت اثناء الحرب

(٢) كتاب. Hand boolc of Medical Library practice Chicago, الذي تنشره جمعية المكتبات الطبية يعطي قائمة كبيرة بالمكتبات الطبية في العالم في الفصل الاول الملحق الأول ومن أرقامه يستدل على أن أكبر ثلاث مكتبات طبية – واثنتي عشرة من بين أكبر ست وثلاثين مكتبة – موجودة في الاتحاد السوفيتي.

وفي جميع الولايات الروسية هناك التمييز (الأوروبي) الواضح بين المكتبات الدراسية والمكتبات الشعبية. ولكن المكتبيين السوفيت يؤكدون أنه فصل وظيفي ليس إلا، إذ إن هناك علاقات وثيقة الصلة بين مكتبات البحث الكبرى والمكتبات العامة. (أو الجماهيرية كما يسمونها في روسيا) ، أما عن طريق إدارتها باعتبارها فروعاً لها أو عن طريق رعايتها وإمدادها بالنصح والإشراف والتوجيه، وتستعمل مكتبات البحث بكثرقو بانتظام والمكتبات العامة (أو الجماهيرية) تتزايد باستمرار وتوجد بكثرة في الأحياء البلدية والمصانع ونوادي العمال وعنابر النوم. وتشرف المكتبة المركزية (أو مكتبة الولاية) على الخدمة المكتبية في المناطق الريفية . وعندما أرادت الحكومة الروسية مد الخدمة إلى سكان المناطق النائية أخذت بمشورة هارييت ادي Harriet Eddy الذي كان خبيرا للمكتبات الريفية في كاليفورنيا كما ارسلت احد أمنائها إلى الولايات المتحدة لدراسة أحدث التطورات.

لقد تأثرت المكتبات العامة الروسية بالمكتبات العامة الامريكية أكثر من تأثرها بالمكتبات الأوروبية ، وتستخدم تصنيف ديوي العشري على نطاق واسع وبعض المكتبات الكبيرة تستخدم النظام العشري العالمي، وعدد قليل منها يستخدم تصنيف مكتبة الكونجرس . وفي الأربعينات جرى اعداد نظام ماركس للتصنيف .ويتبع النظام الأنجلو أمريكي Anglo - American للفهرسة مع تعديلات موضعية . وتقوم الغرفة المركزية لمكتبات Central book Chamber في موسكو بالفهرسة المركزية. ونظام الرفوف المفتوحة محدود الاستعمال وان كان هناك اتجاه نحو توسيع نطاق استخدامه.

والعمل البيليوجرافي والخدمات البيليوجرافية ذات مستوى مرتفع في روسيا . وتقوم الغرفة المركزية للكتاب ومكتبة ليتجراد العامة بإصدار العديد من البيليوجرافيات القومية الخاصة (١) وتبذل المكتبات جهداً لتطوير القراءة عن طريق اعداد قوائم . وإرشاد القراء كالمجهود الذي بذل في ليبزج تحت قيادة والترهوفمان. وعامة فإن الصورة التي قدمناها للمكتبة الروسية صورة مشرقة وحية.

* * *

(١) انظر :

D. M. Krassovsk = "Bibliographical Work in Russia .. Library Quarterly lv, 1934. 449 - 466 . A. B .Berthald = "Survey of recent Russian Library lierature " Library Quaterly XV11, 1947. 138 - 147, : Delougaz "Some probems of Soviet Libravirianship as eefected in Russian Library periodicals " Library Quarterly XV, 1945 . 213 - 223.

إن الناظر إلى تاريخ المكتبات ليجد بعض المشكلات التي واجهت كل المكتبات في كل عصر من العصور التاريخية التي حللناها . بعضها نشأ بسبب المناخ التاريخي العام وبعضها برز من خلال تطور المكتبات نفسها ، وهذه الحقيقة تصدق على الحاضر كما تصدق على الماضي . واليوم تجد المكتبات نفسها محاصرة بعدد من المشكلات يتوقف على حله نمو هذه المكتبات في المستقبل ، وحين يقع المجتمع كله في حيرة من أمره فانه يتحتم علينا تحليل هذه المشاكل عن قرب وإيجاد الحلول المناسبة لها . وعلى الرغم من أن المرء لايستطيع أن يرى الحاضر بنفس الكفاية والفاعلية التي يرى بها الماضي ، فإننا سنحاول هنا تصوير أهم مشكلات العصر في ميدان المكتبات.

أحدى هذه المشكلات المحزنة هي المكان فقد قال ليبتز بعد قرن واحد من أخترع الطباعة «إذا استمر العالم على هذا النحو لمدة ألف سنة واذا استمرت الكتب تخرج من المطبعة كاليوم فانني أخشي أن تغص مدن المستقبل بالمكتبات (١) وبعد قرنين من هذا القول نجد لمسة خيال مشابهة في أمريكا إذ أن : مكتبات كامبردج (جامعة هارفارد) سوف تنمو لتصل إلى بوسطن ومكتبات بوسطن سوف تنمو لتصل إلى كامبردج إلى أن يغوص كل شيء على الطريق بينهما ويغرق في بحر من الكتب . والمشكلة ليست بهذا السوء ولكنها مشكلة ملحة يدل على ذلك أن مكتبات البحث الكبيرة في امريكا منذ ١٨٧٦ تتضاعف في الحجم تقريبا كل عشرين سنة (٢) . ومنذ ادخال رفوف الصلب التي وفرت حيزاً كبيراً في مخازن الكتب لم تجد أية تجديدات هامة في الناحية المعمارية للمكتبات. كل ماحدث إغفال الخطط والتصميمات التي تعنى بالناحية المظهرية في المبنى والاهتمام بالخطط التي تعنى بالناحية العملية الوظيفية للمكتبة (٣) كما أنه

---

(١) Sic mundus adbuc mille annos durabit,et tot libri ut hodie Conscribentur, Vereor ne bibliothe-cis integrae civitates . Quoted by Hessel.

(٢) أنظر المقالين التوضيحيين الاتيين :

K. D. Metcalf = Some Trends in research libraries " in William Warner Bishop = " Atribute, 1941 . 145. 166.

Spatial growth in University libraries " Harvard library Bulletin 1, 1947 - 154

ومن أجل تصوير دقيق وحل جريء للمشكلة انظر:

. Fremont Rider = The scholar and the future of research Library New york 1944.

ان اشمل وأدق وأدق دراسة تاريخية لفن معمار المكتبات هي:

George Leyh = Das haus und seine einrichtung in Handbuch der bibliothekswissenschaft, 1- 115.

كما أن الدراسة المستفيضة والمعالجة الدقيقة مع التركيز على المباني الحديثة هي التي قام بها :

J. L. Wheeler and A. M. Githens : The Americcan Public Library Building New york, 1941.

روعى في المباني التي شيدت خلال هذا القرن (العشرين) حساب التوسع في المستقبل لمواجهة نمو المجموعات المطرد ، وقد بنى هذا الحساب على أساس العوامل التي سوف تتحكم في تخزين وحفظ المواد المطبوعة.

لقد أثبتت الخبرة الطويلة أن استعمال الكتب في المكتبات له درجات متفاوتة ، فقليل جداً من الكتب يستعمل بكثرة ، وبعضها من حين لآخر ، وبعضها أحيانا « والغالبية العظمى تستعمل نادراً(٢) وقد كانت هناك اقتراحات جذرية بتقسيم المجموعات الكبيرة إلى أقسام حية أقسام ميتة ، وتنقيه الأقسام الميتة باستمرار بالاستبعاد أو البيع من حين لآخر . وقد اقترح الرئيس إليوت من هارفارد President Eliot of Harvard في سنة ١٩٠٢ تخزين الكتب قليلة الاستعمال في مكان منفصل حيث يمكن ترفيفها بالحجم مما يوفر حيزا كبيرا للمجموعة الرئيسية . كما قدمت اقتراحات مشابهة لإنشاء مستودعات خارج المدن الكبرى في أمريكا وألمانيا وإيطاليا . وفي سنة ١٩٣١ نبذ اتحاد المكتبيين الألمان كلية فكرة تخزين الأدب الميت ولكنه لم يتخذ أية خطوات عملية (٣) ، ومع ذلك فقد اتخذت بعض المكتبات الكبيرة خطوات إيجابية في هذا السبيل فأنشأ المتحف البريطاني مستودعا خاصا للصحف في هندن hendon إحدى ضواحي لندن في سنة ١٩٠٦ . وفي سنة ١٩٢١ امتلأ المبنى عن آخره فوسع في سنة ١٩٣٢ وأعيد افتتاحه على أنه «مكتبة الصحف –Newspaper Library في كولندال (١) وقد أجرت مكتبة نيويورك العامة الطابق العلوي من متجر يبعد ميلا عن المبنى الرئيسي في سنة ١٩٣٣ ليصبح مخزناً للكتب الضخمة والكتب قليلة الاستعمال . وفي سنة ١٩٣٢ – ١٩٣٤ أنشأت المكتبة الأهلية (في باريس) ملحقاً للصحف في فرساي versailles وكل هذه المحاولات تعطي متنفسا ولكنه بديل مؤقت.

وفي مدينة بوسطن كان هناك حل أكثر جرأة للمشكلة بني على اقتراح الرئيس إليوت ، ذلك أن اثنتي عشرة مكتبة بحث – ومن بينها أكبر مكتبتين في العاصمة ، مكتبة جامعة هارفارد

كما أن خطط مباني المكتبات الاوروبية العاملة توجد في :

E. Ackerneht = Der volksbuchereibau. Stettin, 1930 أما عن المكتبات الكبيرة فانظر العدد الخاص من Bibli-ocheques عن LÀrcitectured àujourdhui, vol lX, no8

(٢) "Some books are to be tasted, others to be swallowed, and some few to be chaved and digested..."

Francis Bacon "of Studies " in his Essays (numerous edition).

(٣) Ftitz juntke = "Magazinierung der taten literatur fur Bibliotheswesen, Xlviii, 1931. 391 - 421, 565.

(٤) ضرب هذا المبنى خلال الحرب الثانية بالقنابل ونتج عن ذلك خسائر لا تقدر بثمن في مجموعات صحف الاقاليم الخاصة.

ومكتبة بوسطن العامة - قد تعاونت على تشييد بناء ضخم به حجرة مطالعة صغيرة يتسع لتخزين مليون كتاب ، ولما كان الهدف هو التخزين أولا وأخيراً فقد زاد ارتفاع المبنى (ومن ثم الرفوف) ونقص عرضه . ولكل مكتبة فيه جزء مخصص لها لتستعمله كيفما شاءت(١). وفي سنة ١٩٤٧ نقلت مكتبة جامعة هارفارد أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ ألف مجلد إلى إيداع نيوانجلاند New England Deposit Library وقلدتها مكتبات أخرى فأنشأت لها مكتبات إيداع.

ولم يخل التطور في مجال التصنيف والفهرسة من مشكلات، فمنذ عصر التنوير كان التصنيف والفهرسة عرضة لكثير من التطورات حتى وصلت إلى مرحلة النضج هذه واليوم يصر فريق من المكتبيين على أن يكون ترتيب الكتب على الرفوف مطابقاً لترتيب الفهرس المصنف بالمكتبة ،وهذه النظرية لها أتباعها الكثيرون فقد كتب أحد المكتبيين «تذهب وجهة النظر الالمانية إلى أن ترتيب الفهرس هو العامل الأول الذي ترتب الكتب تبعا له على الرفوف . وهكذا تتمكن المكتبة من ترتيب كتبها بطريقة منطقية » (٢) والعبارة الأخيرة هامة جدا ذلك أنه في عصر التنوير كان هناك ميل إلى ترتيب الكتب تبعا لأحجامها أو أشكالها ، ولم يمر وقت طويل حتى بدأت ثقة المكتبات الاوروبية في هذا التصنيف تتزعزع فاختفت الصالة الواحدة الكبيرة التي تضم جميع كتب المكتبة ككل واحد. وبذلك بدأ تقسيم حجرات المكتبة ومخازنها في مكتبات البحث مما أزال واحدة من العقبات بين القراء والكتب. وقد رأينا كيف بدأ تطبيق طرق جديدة في بداية القرن التاسع عشر لترتيب الكتب على الرفوف وبصفة خاصة في المكتبة الأهلية . واليوم تتبع كثير من المكتبات الأوروبية وخاصة في ألمانيا، تقسيم كتبها إلى مجموعات قليلة واسعة وداخل كل منها ترتيب بالحجم ثم برقم القيد . وقد أخذت الفهارس الموضوعية تصاحب مثل هذه النظم . وأصبح الفهرس المصنف أداة أساسية يستخدمها الموظفون (٣)

وفي أمريكا ، حيث يتبع نظام الرفوف المفتوحة حتى في مكتبات الأبحاث يبذل جهد كبير في مجال التصنيف . فتصنيف ديوي العشري الذي نشر أول مرة سنة ١٨٧٦ قد صدرت منه

---

(٢) للوصول الى معلومات أكثر دقة أنظر :

K.D.M.etcalf = "The New England Deposit Library": Library Qualterly, 1942. 622 - 628.

(٣) Sigismund Runge = "Some recent develoments in subject cataloging in Germany" Libary Quarterly, X11941. 49 - 50.

(٤) ينبغي أن نتذكر ان الفهرس المصنف يمكن تنفيذه حتى ولو لمجموعات غير مصنفة إطلاقا وأن ضعف حاسة التصنيف ليست مسؤولة في حد ذاتها عن استخدام الأنواع الأخرى من الفهارس.

١٤ طبعة (١٩٥٥) (الطبعة الثامنة عشرة ١٩٧١) وتستخدمه الغالبية العظمى من المكتبات العامة الأمريكية وبعض مكتبات البحث وتبدي مكتبات الكليات ومكتبات البحث إتجاها نحو نبذ تصنيف ديوي إذا ما زادت مجموعاتها عن مائة الف مجلد. وقليل من المكتبات الكبرى في أوربا تستعمل التصنيف العشري العالمي وهو توسيع لتصنيف ديوي إذا ما زادت مجموعاتها على مائة ألف مجلد . وقليل من المكتبات الكبرى في أوروبا تستعمل التصنيف العشري العالمي وهو توسيع لتصنيف ديوي توفر على القيام به الاتحاد الدولى للتوثيق-Interational Federation for do-cumentation.

وقد نشأ نظام آخر للتصنيف في الولايات المتحدة وهو نظام مكتبة الكونجرس ، وهناك إتجاه بين مكتبات البحث ومكتبات الكليات نحو استخدام هذا النظام . ويعتبر طبع رقمي تصنيف الكونجرس وديوي على البطاقات التي تعدها مكتبة الكونجرس دافعا للمكتبات الأمريكية إلى استخدام أحد النظامين القياسيين في أمريكا.

وفي مجال الفهرس الوصفية كان أعظم تطور حدث في الخمسين سنة الماضية هو إدخال الفهرس القاموسي في الدول المتحدثة بالإنجليزية ، وفي عدد قليل من المكتبات الاوروبية . وقد كانت أمريكا هي الرائدة في هذا المجال. ويرجع إلى بطاقات الكونجرس خلق نوع من التوحيد بين فهارس المكتبات الأمريكية أكثر مما في أي بلد آخر . كما بدأ نوع من التوحيد في الفهرسة الموضوعية بفضل أدلة مكتبة الكونجرس . وأدلة شركة هـ – و . ويلسون -H W wilson co وخاصة للمكتبات صغيرة الحجم وهي الشركة التي تعمل جنباً إلى جنب مع مكتبة الكونجرس.

ويبذل جهد كبير في الوقت الحاضر ، نحو السياسات العامة للفهرسة وخاصة في تكاليف الفهرسة. ويعتبر نشر النظام الأنجلو – أمريكي في سنة ١٩٠٨ حجر الزاوية في تاريخ الفهرسة،» وكانت له نتائج طيبة في تطوير وتوحيد عمليات الفهرسة في المكتبات الأمريكية والبريطانية(١).

وبالتدريج وعلى امتداد فترة أربعين عاماً نبتت قواعد تكميلية في أقسام الفهارس في

(١) الحصول على معلومات عن طريق اخراج أدلة الفهرسة ولوائحها وأحدث التطورات في تاريخ الفهرسة انظر -Report of Sub-committee on uniform catalog rules "Actcs du Comitè International des bibliotheques X, 1938: 55- 69;

J. C. M. Hanson = A compartive study of Cataloging rules based on the Anglo American code of 1908. Chicago, 1939.

المكتبات وخاصة في المكتبات الكبرى التي تعتبر مكتبة الكونجرس أحسن مثال لها . وفي نفس الوقت برزت مشكلة تكاليف الفهرسة . وقد كان نشر الطبعة المبدئية من قواعد فهرسة إتحاد المكتبات الأمريكية بمثابة الدافع القوى لأمناء المكتبات الأمريكية إلى إعادة النظر في نظمهم (٢) كما قامت مكتب الكونجرس بحركة لتبسيط قواعد الفهرسة .

وقد كان لتمييز المواد المؤقتة وقليلة الاستعمال الذي يبلغ ذروته بتخزينها في مخازن خاصة، انعكاساته على التصنيف والفهرسة . لقد كان هناك خوف من النمو الهائل في بعض أقسام المعرفة البشرية مما يهدد فكرة التصنيف ذاتها ولذلك وجد من الأفضل تحديد عدد الكتب التي ترتب على الرفوف المفتوحة ، مما يؤدى في نفس الوقت إلى خفض تكاليف عمليات التصنيف والفهرسة(٤) .

وكانت الخطوة التالية للفهرس القاموسي إنتاج الفهارس المطبوعة ذات المجلدات الكثيرة وهي التي ظهرت مؤخرا . وقد تتبعنا سابقا الفهارس المطبوعة للمكتبة الأهلية والمتحف البريطاني ، وقد تم فهرس المتحف البريطاني في نهاية القرن الماضي (التاسع عشر) ولقد اثبت فاعليته كأداة ببليوجرافية قيمة لكل المكتبات في جميع أنحاء العالم مما حدا بالأوصياء إلى طبعه مرة أخرى ، وبدأ الطبع في سنة ١٩٣١ وأخذت المجلدات في الظهور تباعاً كل عام على الرغم من أن الحرب قد خفضت معدل السرعة . وقد عطلت الحرب الثانية إتمام فهرسة المكتبة الأهلية . وقد غطينا الحديث عن فهرس الكتب الممثلة ببطاقات مكتبة اكونجرس المطبوعة
A catalog of books represented by the library of congress printed cards issued to july .31,1942

والذي أعيد اخراجه عن طريق التصوير الفوتستاتي مع تصغير حجم البطاقة وبلغ هذا الفهرس ١٧٦ مجلدا تمثل حوالى ٢ مليون مجلد بمكتبة الكونجرس طبعت لها بطاقات حتى

---

(١) A. D. Osborn = "The crisis in cataloging " Library Quarterly XI, 1941 393- 411

(٢) Rules for descriptive cataloging in the Library of Congress. Washington, 1947.

وقد شرحت الأسس التي تستند إليها هذه القواعد من المطبوعين الرائعين اللذين تصدرهما مكتبة الكونغرس.
Studies of descriptive catatloging . Washington, 1946; The report of the Advisory committee or descriptive cataloging to the Librarian of Congress, Washington, 1946.

(٣) للحصول على معلومات عن السياسات وخفض التكاليف المبدئية في تناول هذه المواد انظر
A. D. Osborn = "Books for the Deposit library . Harvard University Library Notes IV1942. 80 -83

التاريخ المذكور وتظهر الملاحق لهذا الفهرس بانتظام [1] .

وأحسن سند لهذا الفهرس ، هو الفهرس الألماني الموحد Ge samthk alogdeutscher فقد بدأ في نهاية القرن التاسع عشر إعداد فهرس موحد للمكتبات البروسية على بطاقات في المكتبة الملكية في برلين، ووضعت الخطط لطبعه قبل الحرب العالمية الأولى ولكن اندلاع الحرب أوقف كل شيء . . وفي سنة ١٩٢٥ أعيد إحياء الخطط وظهر المجلد الأول بعد عدة تجارب سنة ١٩٣١ باسم الفهرس الموحد لمكتبات بروسيا Gesamtkatalog der preussischenBibliot heken وهو يسجل الكتب المطبوعة قبل سنة ١٩٣٠ التي اقتنتها مكتبة ولاية بروسيا والمكتبات الجامعية العشرة بها، ومكتبات الكليات الاربع الفنية وأكاديمية برنزبرج بالإضافة إلى مكتبة ولاية بافاريا في ميونخ والمكتبة القومية في فيينا . وبدا منذ البداية أن هذا العمل كان لابد وأن يتسع ليشمل مقتنيات عدد أكبر من المكتبات، ويسر ذلك مجيء الجهود الكبيرة التي بذلها المكتبيون والعلماء الالمان ، ليساعد أمناء المكتبات على جرد مقتنيات مكتباتهم . ذلك أن مكتبة بمفردها – أو مجموعة مكتبات في بلد ما – لا تستطيع أن تفي بكل متطلبات البحث في هذا العصر المتشعب البحوث، ولهذا كان من الطبيعي اللجوء إلى إنشاء الفهارس الموحدة، وفي هذا المجال وجدنا المانيا رائدة وقائدة . وتبذل مكتبة الكونجرس أقصى ما في وسعها لدفع فهرسها الموحد نحو الشمول والاكتمال . وقد وافق عدد كبير من المكتبات الأمريكية على أن يسجل في الفهرس الموحد الكتب التي يقتنيها والتي لا توجد في فهرس مكتبة الكونجرس المطبوع وسوف يؤدى هذا بالطبع إلى تسجيل عدد ضخم من الكتب غير مسجل الآن في الفهرس الموحد يقدر بحوالى ٤٠٪ من مجموع ما تملكه المكتبات الأمريكية من كتب. وهناك حركة أخرى مشابهة في الولايات المتحدة تجد لها أنصاراً ومؤيدين كثيرين ، وهي إنشاء فهارس موحدة إقليمية . ومع هذا فقد نظر بعض المكتبيين الرايخ الثالث وماتلا ذلك من تطورات سياسية فقد ظهر المجلد التاسع ١٩٣٦ يحمل عنوان الفهرس الألماني الموحد، ويسجل مقتنيات حوالى مائة مكتبة من جميع أنحاء المانيا الكبرى . وتعتبر المجلدات الأربعة عشر التي نشرت بين ١٩٣١ – ١٩٣٩ ، أداة ببليوجرافية ذات أهمية دولية ، كما ثبتت أهميتها في عملية تبادل الاعارة بين المكتبات الالمانية [1]. أما الكتب التي نشرت بعد ١ يناير ١٩٣٠ فقد سجلت في نشرة إضافات برلين ber- liner titelducke [2] التي تعتبر ملحقاً للفهرس الموحد : وقد استغلت بعض المكتبات الالمانية الفهرس الموحد بكتابة رقم طلب كتبها فيه ومثل هذا الاتجاه قد تعم فائدته إذا ما لجأت كل

(١) أنظر صفحة ١٣٨ (الفصل التاسع)

(٢) أوقفت الحرب صدور الفهرس الالماني الموحد.

المكتبات إليه ولكن مازال الشوط طويلا أمام هذا الاتجاه الذي لا نملك الآن إلا أن نرقبه عن كثب.

والحق أن أداة جرد دقيقة مثل هذا الفهرس الألماني الموحد الذي جاء ثمرة بلاشك إلى مدى التكاليف والجهد الذي يبذل في مثل هذا المشروع وأثر توسيع نطاق الفهرس الموحد في واشنطن فإذا تم هذا التوسيع فقد يغني عن تجمعيع الفهارس الموحدة الأصغر .

ويعتبر نشر عدد من الببليوجرافيات المتخصصة وقوائم الجرد – عن طريق التعاون – عاملاً على درجة كبيرة من الأهمية . فقبل الحرب العالمية الأولى مثلاً كان هناك الفهرس الدولي للإنتاج الفكري العلمي international catalogue of Scientific Literature الذي نشرته الجمعية الملكية Royal Society وفي سنة ١٩٢٧ كان هناك مشروع تعاوني على نطاق واسع بين المكتبات الأمريكية والكندية أسفر عن نشر القائمة الموحدة للمسلسلات Union list of serials وصدر لها ملحقا ثم طبعة ثانية في سنة ١٩٤٣ مع مراجعة ببليوجرافية دقيقة تشتمل على حوالى ١٥٠,٠٠٠ عنوان في ٦٠٠ مكتبة وتصدر لها ملاحق وطبعات على فترات معقولة . وثمة مشروع ببليوجرافي آخر على درجة كبيرة من الأهمية هو الفهرس الموحد لأوائل المطبوعات و (يصدر في المانيا) Gesont Katalog der Wiegendruke وقد صدر المجلد الأول سنة ١٩٢٥ ويهدف الى تسجيل جميع أوائل المطبوعات . المعروفة في جميع انحاء العالم (٣) وقد أشرنا سابقا إلى الفهرس العمومي لمخطوطات المكتبات العامة في فرنسا ، الذي قلدته عدد من الدول الأخرى مثل ألمانيا وبلجيكا . ونحتاج إلى مؤلف خاص لو أننا حاولنا حصر كل الببليوجرافيات الهامة المتخصصة في مختلف المجالات ، والتي أخذت في الظهور منذ سنة ١٩٠٠ .

ان الكثرة الهائلة في مواد البحث والتي أدت إلى الفهارس الموحدة والببليوجرافيات المتخصصة قد أبرزت إلى الوجود المشكلة العامة لمصادر البحث وهذه المشكلة هي كيف نضمن أن كل الكتب المطلوبة قد جرى اقتناؤها ، وأن مجموعات كافية منها قد أحسن توزيعها جغرافياً داخل القطر الواحد . وهذه المشكلة تبدو بكل ابعادها في بلد كبير مثل الولايات المتحدة

---

(٢) H. Fuchs:" The Gesamtkatalog of prussian libaries, library Quaterly IV, 1934. 36- 46.
وقد استمرت نشرة اضافات برلين خلال الحرب على الرغم من نشرها على نطاق ضيق.

(٣) في تقرير مخطوط اعدته لبعثة مكتبة الكونغرس ، بعثة الفهرس الموحد لاوائل المطبوعات المذكور أن مكتبة المراجع التي استخدمت في إعداد هذا الفهرس قد دمرت ونجد في :
The Library of Congress Information Bullettin; December 30, 1947- jan 5, 1948.
انه على الرغم من ذلك فان النسخة الخطية للفهرس لم تدمر، وسار العمل في الفهرس قدما.

الأمريكية باختلافاتها الثقافية الاقليمية وتركيز الكتب الشديد في الشمال الشرقي والجنوب الغربي منها . أما في ألمانيا فقد كان هناك بعد نظر خلال رئاسة ألتوف لوزارة التربية والتعليم إذ عين لكل جامعة من الجامعات العشرة في بروسيا مجالاً بعينه تركز عليه . وكان من نتيجة ذلك أن أصبح لكل جامعة مجموعة خاصة تتفوق فيها دون محاولة منها لتغطية كل مجالات المعرفة البشرية بعمق ، وكان لعملية تبادل الإعارة بين المكتبات الألمانية المصاحبة لسياسة التزويد هذه ، اثر فعال في اشباع الاحتياجات الفعلية في ألمانيا . وفي الدول الصغيرة أو المناطق المحدودة اتخذت مثل هذه الإجراءات التعاونية . ففي الدانمرك مثلا عقد اتفاق بين المكتبة الملكية ومكتبة الجامعة في كوبنهاجن بحيث تتخصص الأولى في التاريخ والأدب والعلوم الإنسانية وتتخصص الثانية في العلوم والطب والتكنولوجيا . وهناك اتفاق مماثل بين المكتبة الملكية السويدية ومكتبة الاكاديمية الملكية للعلوم وفي الولايات المتحدة عقدت مثل هذه الاتفاقيات المحلية نذكر منها تلك التي عقدت بين مكتبة جامعة دوك duke ومكتبة جامعة كارولينا ، وما حدث بين مكتبات العواصم مثل نيويورك وشيكاغو .

وقد دعا الأحساس المتزايد بهذه المشكلة في الولايات المتحدة إلى القيام بمسح مقتنيات المكتبات، واجري عدد من الدراسات تحت اشراف ر . ب . دونز R. B. Downs وتوفر اتحاد المكتبات المتخصصة Association of special libraries على نشر سلسلة من الأدلة لمجموعات متخصصة مختارة من الولايات المتحدة وكندا . وقد أدت صعوبة الحصول على المطبوعات الأجنبية خلال سني الحرب (الثانية) بالمكتبات الأمريكية إلى ادراك أهمية تخصص المكتبات في تغطية الكتب الاجنبية ، وعقب الحرب بدأ برنامج للتزويد التعاوني بين المكتبات الأمريكية في مجال الكتب الاجنبية . وهذا يتطلب من المكتبات محدودة المجال تضحيات في سبيل التوسع في اقتناء الكتب وقد اقترح الى جانب هذا التزويد الشامل ايجاد فهرس مصنف ليكون أداة جرد لمواد البحث في هذه المكتبات .(١).

ولابد من بذل جهود كبيرة لاخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود ، ومما يقوي الدعوة الى

(١) ابتداء من ١ يناير سنة ١٩٤٨ ينفذ ما يسمى «بخطة فارمنجتون Farmington Plan على أسس تجريبية في دول ثلاث هي : السويد ، وسويسرا ، وفرنسا ، والخطة مشروحة في:

K. D. Metcalf and E.E.Williams = "Proposals for a division of responsbility among American libraries in the acquisition and recording of library materials, college and Research libraries, VI, 1944. 105, 109.

وقد اشير إلى النقص في تزويد المكتبات الامريكية بالكتب الاجنبية في:

E.E.Williams = Research library acquisitions from eight Countries" Library quarterly . XV, 1945. 313- 323.

الاسراع بذلك أن الباحثين في طول البلاد وعرضها سوف يتمكنون من الحصول على مواد بحثهم بفضل هذه الأدوات وخاصة إذا ما تبعها نظام تبادل الإعارة بين المكتبات الأمريكية . وعلى المكتبات الأمريكية أن تدرس بعناية ماسبقتها اليه المكتبات البريطانية والألمانية في هذا السبيل . وقد يسرت وسائل التصوير الميكروفيلمي بالفعل استنساخ مواد البحث وتوزيعها على الرغم من أننا يجب ألا نتوقع حل جميع المشكلات بهذه الوسيلة وحدها . وأننا نحتاج بعد تجميع المواد بطريقة منطقية أن نعدها بطريقة عملية من وجهة نظر الباحثين والقراء الذين يتوفرون على استعمالها كما نضمن حصولهم عليها حيثما كانوا .

وللوصول الى هذه الأهداف ، يتطلب ذلك مصادر قوية وتنظيمات متطورة وموظفين ذوي درجة عالية من الكفاءة . كما يتطلب هذا الارتفاع بمستوى إعداد أمناء المكتبات . لقد بدأ هذا الإعداد – كما ذكرنا من قبل – في نهاية القرن الماضي إذ بدأت المحاضرات بطريقة رسمية سنة ١٨٨٦ في جامعة جوتنجن ، وكان يلقيها مكتبي عصره كارل دزياتزكو . وبعد سنة واحدة من هذا التاريخ أسس ملفيل أول مدرسة للمكتبات في الولايات المتحدة الأمريكية (١). إذن فعمر المكتبات يزيد على ثلاثة أرباع القرن مما يحتم علينا إدخال تعديلات وتطويرات عليها (٢). إذ إن عالم المكتبات في حقيقة أمره عرضة لتغيرات كثيرة سريعة.

وبحكم البناء المكتبي لكل من أوروبا وأمريكا توجد اختلافات جوهرية بينهما في اعداد أمناء المكتبات . ففي اوروبا يركز على المواد المساعدة مثل الباليوجرافيا (علم الكتابة والخطوط) ، وبعامة على علوم الكتاب والعناصر العلمية لتكوين مهنة المكتبيين . أما في أمريكا فيعطى الاهتمام الأكبر للطرق والنظم والعمليات الفنية وخاصة في المكتبات العامة . وتقدم مدرسة الوثائق في باريس المثل المتطرف لإعداد أمناء المكتبات في أوروبا ، والحق أن فرنسا لم تعر إعداد أمناء المكتبات العامة إلا أقل القليل من الاهتمام ، أما ألمانيا فتقدم برنامجاً لإعداد أمناء المكتبات يجمع بين التعليم النظري والتطبيق العملي . وكم دعا ألتوف في وقت مبكر إلى ضرورة تقنين وإقرار المعايير في هذا الصدد . ونظمت الحكومة الألمانية الامتحانات واعتمدت الشهادات

(١) Columbia university, School of Library Service. School of Library economy of columbia collehe, 1887 - 1889

(٢) أنظر العدد الخاص من library quarterly VII No. 2April 1937

(٢) أنظر العدد الخاص من Library quarterly Vll No. 2April 1937 .

المخصص عن تعليم علم المكتبات ومن أجل الحصول على تقييم عام شامل انظر: K. D. Metcalf, j. D. Russelland A.D Osborn; the program of instruction in Library schools. Urbanan; 1943.

وانظرأيضاً الموجز التحليلي العميق: J. P. Danton = Education for Librarianship: Crticisms, delimmas, and proposals, New York, 1946.

لنوعين من الإعداد (يقابل نوعين من الوظائف) شهادة علمية Wissenchaftlicher Dienst بالنسبة لهؤلاء الذين يتولون مناصب إدارية عليا في مكتبات الأبحاث ، وشهادة متوسطة Mit-tlerer Dienst للمساعدين الفنيين في مكتبات الأبحاث وأمناء المكتبات العامة . وقد نجحت ألمانيا في اجتذاب العلماء إلى الدخول في هذه المهنة ولكن الاهتمام بأمناء المكتبات العامة لم يأت إلا مؤخرا ، واعتمد اعتمادا كبيرا على جهود رجال مثل والترهوفمان الذي أسس «المدرسة الألمانية للمكتبات العامة Deutsche Volksbuchereischule في ليبزج ، وكانت أول مدرسة في هذا المجال ومثلها ويلهم كرابي Wilhelm krabbe في برلين . وقد دعم الرايخ الثالث إعداد أمناء المكتبات العامة اعترافا بتأثيرها في تثقيف جموع الشعب.

أما الدول الاسكندنافية فقد أرسلت كثيرا من أمنائها إلى الولايات المتحدة وأخيراً إلى بريطانيا – لإعدادهم وفي الدول الاوروبية الأخرى فإن هذا الإعداد إما ضعيف جداً وإما حديث جداً بحيث لا يستحق الإهتمام . وفي روسيا طورت دراسة المكتبات ، ونظمت عملية المكتبيين ويمزج فيها بين الطرق والمناهج الأمريكية والألمانية.

وفي بريطانيا العظمى كان هناك إحجام لفترة طويلة عن تنظيم إعداد رسمي لأمناء المكتبات وقد حاول إتحاد المكتبات (البريطاني) تحديد حد أدنى من المعايير عن طريق عقد امتحانات ومنح شهادات تبين مختلف المراتب المهنية ، ولكن المكتبيين البريطانيين أنفسهم لم يكونوا راضين عن هذا النظام فافتتحت في سنة ١٩٤٩ مدرسة جامعة لندن للمكتبات London univser-sity school for librarianship وقدمت جامعات أخرى دراسات في المكتبات من بينها جامعة ويلز القومية national university of wales وتعتبر المناهج والمقررات التي تقدم في بريطانيا وسطا بين المناهج الألمانية والأمريكية مع تركيز ملحوظ على العلوم المساعدة . ومع ذلك فان مدرسة لندن للمكتبات لم تلق قبولا في مهنة المكتبات مثلما لاقت مدارس المكتبات الألمانية والأمريكية . والنظام البريطاني في إعداد أمناء المكتبات ككل نظام غير مستقر يحير قادة المهنة وينبغي أن تحدث به تغييرات جذرية.

أما في أمريكا فقد نمت مدارس المكتبات وتطورت وأحدثت أثرها منذ البداية . وهناك اتفاق اساسي على العناصر الرئيسية في المناهج والأهداف العامة لهذه المدارس ، على الرغم من اختلاف فاعلية الأداء من مدرسة إلى أخرى . وقد شجع اتحاد المكتبات الأمريكية على قدر من التوحيد بينهما ، ومع ذلك فإنها تتفاوت كثيرا في معاييرها وتوع المعلمين بها وفئات الطلاب الذين يقبلون بها .

وقد عبر التقرير الناقد الذي قدمه وليامسون لشركه كارنيجي [1]. عن مدى السخط لدى كثير من المكتبيين إزاء هذه الحقيقة . وقد ألقى مجلس تعليم المكتبات Board of Education for librarian-ship وشركة كارنيجي بكل ثقلهما وراء الاقتراحات التي وردت في هذا التقرير . وكانت مدارس المكتبات الموجودة تعتمد تبعا لمعايير مهنية محددة، وانشىء عدد ممتاز من المدارس الجديدة (من بينها كاليفورنيا ، كولومبيا متشيجان، شيكاغو) وليس ثمة شك في أن قلة من المدارس الممتازة كان لها تأثير طيب على المهنة وبعد عشرين سنة (من تقرير وليامسون) بدأت علامات عدم الرضا عن هذه المدارس تظهر من جديد. ولا بد لنا أن نعترف أنه بذلت جهود طيبة لرفع المستوى المهني لأمناء المكتبات العامة العادية . وتعتبر هذه أروع انجازة قدمتها مدارس المكتبات الأمريكية . ولكن مازال هناك نقد موجه إلى افتقار المكتبيين الأمريكيين إلى المعلومات العامة وفشل مدارس المكتبات في تحسين هذا الوضع . وتأتي الشكوى بصورة خاصة من جانب مكتبات المراجع التي تتطلب أشخاصا ذوي قدرات علمية إلى جانب القدرة الإدارية في المناصب القيادية بها.

ولعل مصدر هذا الاضطراب يرجع إلى ظروف أخرى خارجة عن الإعداد المهني لأمناء المكتبات ، ففي الوقت الحاضر توجه انتقادات مريرة إلى التعليم العالي كله. أما بالنسبة للإدارة فإن الافتقار إلى مكتبيين شبان قادرين على تولى الوظائف ذات المسؤوليات الإدارية الكبيرة، فإن ذلك مرجعه إلى مجموعة من الظروف فشل معها كل من الإداريين وأمناء المكتبات الشبان في إيجاد نظام يكفل التدرج المهني الناجح يكتسب الأمين خلاله الخبرة اللازمة له . ويرجع جزء كبير من المشكلة الى علم الادارة بصفة عامة ذلك أنه لكي يدير الإنسان مؤسسة ما لا بد أن يعرف الهدف من هذه الادارة . إن الدراسات العميقة التي قام بها جويكل وماك كولفن يمكن أن تؤدى إلى تطوير المكتبات، اكثر مما يفعل العديد من المناهج والمقررات الدراسية ويستحسن في المستقبل القريب أن يبنى الاعداد المهني لأمناء المكتبات في أمريكا على أساس أكثر تخصصاً ، يراعى فيه التمييز بين إعداد هؤلاء الذين يريدون العمل فى المكتبات الصغيرة ، واعداد أولئك الذين يودون العمل في المكتبات الكبيرة أو مكتبات البحث.

***

ان مجرى تاريخ المكتبات في الدول المختلفة يحكمه عدد من العوامل حاولنا إبرازها في الصفحات السابقة . وكانت «القوميات » واحدة من أهم هذه العوامل خلال المائة سنة الماضية ،

(١) C .C Williamson = Training for library servi Ce. New york, 1923

وإذا لم تتفتت حضارتنا هذه تماماً فان السنوات القادمة ستحمل الينا نبأ انتهاء عصر القوميات. لقد خلقت التطورات العلمية والاقتصادية موقفا أصبح معه التعاون بين الامم أمرا حتمياً لبقاء هذه الحضارة . وفي دنيا المعرفة التي لا تعرف حدودا أو قوميات كان لمثل هذا التعاون تاريخ طويل. وفي عالم المكتبات علينا أن ننتظر نتائج هذا التعاون بعد أن لعبت العلاقات بين المكتبات القومية دورا هاما . وليس بغريب إذن أن المنظمات المكتبية الدولية مازالت حديثة نسبيا .

إن العلاقات الودية (في مجال المكتبات) بين الافراد والجماعات والامم لاتحتاج إلى دليل . فقد سبق أن عرضنا لعلاقات نانيتزى بالمكتبيين الألمان من جيله ، وكثير من أمناء المكتبات الأوروبين زاروا أمريكا لتبادل المنفعة . وقد كان التعاون الوثيق بين المكتبات في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة خيراً وبركة على المكتبات في كل من البلدين . وقد كان لإعادة تنظيم مكتبة الفاتيكان بالتعاون مع بعثة الولايات المتحدة أطيب الاثر على عالم المكتبات كله . ولا يذكر أي مكتبي مؤسسات مثل كارنيجي وروكفلر إلا بكل خير وعرفان بالجميل.

لقد كانت أول منظمة دولية تحدث أثرها في عالم المكتبات هي الاتحاد الدولي للتوثيق Intera-tional Federation for documentation الذى أسس عام ١٨٩٥ تحت اسم المعهد الدولي للببليوجرافيا institute of bibtiography international وعرف تحت اسماء متعددة وجرت عليه تعديلات مختلفه (١). ولقد أخذ الاتحاد على عاتقه المشروع الجرىء ، مشروع تجميع فهرس بالمؤلف والموضوع للإنتاج الفكري العالمي ، ولكنه لم ينفذ إلا على نطاق ضيق . ولقد كان هذا الاتحاد اكثر نجاحا في مشروع توسيع تصنيف ديوي العشري ونشر «توسيع بروكسل brus-sels expansion العشري العالمي » في عدد من اللغات، ويستخدم في تصنيف بعض المكتبات واستخدامه الاكثر في توثيق الوثائق العلمية والحكومية (الإدارية) والتجارية . وفي مجال التصوير الميكروفيلمي كان الاتحاد رائدا وقد تنبأ بأهمية هذه الوسيلة قبل أن تستعمل على نطاق واسع . ولقد ساعد هذا التصوير الميكروفيلمي المكتبات على إنقاذ المواد التي يهددها الفناء . وتوفير الحيز عن طريق تصوير المواد كبيرة الحجم مثل الصحف ، كما يسر الحصول على نسخ من الكتب النادرة والثمينة، ولعل فائدتها تكون أعم وأشمل في مجال التوثيق كما ثبت من تجربة دار الوثائق القومية National Archives في واشنطن . وما إن جاءت الحرب العالمية الاولى حتى سددت إلى الاتحاد ضربة قوية لم يشف منها تماما حتى سددت إليه الحرب العالمية الثانية ضربة أخرى.

---

(١) F. Donker Duyvis = The International Federation for Documentation Journal of Documentary Reproduction 111, 1940, 176-191.

ولكن في الفترة بين الحربين حاول الاتحاد جاهدا متابعة عمله كجهاز منظم يجمع المعلومات ويوزعها في مجالي البيليوجرافيا والتوثيق العلمي في كل انحاء العالم.

ولما جاءت عصبة الأمم انشأت المعهد الدولي للتعاون الثقافي International Institut of Intel-lectual Cooperation وكان هدفه عريضا وهو : أن يوثق الصلات بين المشتغلين بالثقافة من كل نوع ومن أي قطر . وبذلك ضمن تبادل المعلومات بين المكتبات القومية ، ونظم الاجتماعات بين المكتبيين وبين البيليجغرافيين ونشر عددا من المطبوعات القيمة من بينها كشاف الترجمات In-dex Translationum ودراسات في الاعداد المهني [١]. والمكتبات العامة [٢].

وفي سنة ١٩٢٧ وبعد سنين عديدة من المحاولات الأولية انشىء الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات International Federation Libary Association [٣]. وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية التي لحقت بالعالم صمد الاتحاد ومارس وظائفه حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية واستأنف نشاطه بعدها . ومن بين المهام التي يضطلع بها الاتحاد وضع أسس للتعاون بين المكتبات في مجال الاعارة ، وتنظيم لقاءات بين المكتبيين من مختلف الدول . وإنا لنجد كثيرا من المعلومات القيمة عن التطورات المكتبية في الدول المختلفة في مطبوعه Acte du comitè Internationale des bibliothques.

إن أحد الاتجاهات الهامة في وقتنا هذا هو تحسين العلاقات بين الدول في نصف الكرة الغربي، فقدت انتهت الحرب وحل محلها التبادل الثقافي . وسارع كل من مكتبة الكونجرس واتحاد المكتبات الأمريكية إلى القيام بمثل هذه العلاقات الطيبة. ويدعى المكتبيون الأمريكيون إلى أمريكا الجنوبية لتعليم فن المكتبات أو للمساعدة في تطوير المكتبات مثل مكتبة بنجامين فرانكلين في مدينة المكسيك.

وإن إنشاء اتحاد المكتبات بين الدول الأمريكية Association Inter - Americam library الذي عقد أول مؤتمر له في سنة ١٩٢٧ ، ليعطي الدليل على نمو وجدية هذا التعاون في نصف الكرة الغربي.

* * *

---

(١) Le role et la formation du bibliothécaire. Paris, 1935

(٢) Mission sociale et intellectuelle des bibliothéques populaires. Paris, 1937

انظر A.C. de Breycha-Vauthier = "The Federation of Library Assoiation" in William warner Bishop = a tribute. 1941. 34-49

إن مصير التعاون الدولي بين المكتبات يتوقف أساسا على تكوين عالم ما بعد الحرب . وعلى الرغم من احتمالات التفكك السياسي والثقافي بين مجموعات من الدول ، فإن جهدا رائعاً قد بذل في صمت لتقوية وتطوير التعاون الثقافي الدولي(١).

إن مجرد وجود اليونسكو Unesco ليشير إلى الثقة في مستقبل هذا التعاون الثقافي الذي يدعمه الدورية الرائعة :«مجلة اليونسكو للمكتبات Unesco Bulletin of Librairies لقد لعبت المكتبات دورا عظيما وقت الحرب في مواجهة الازمات الوطنية ويمكنها أن تلعب دوراً أكبر لتجنب أزمات المستقبل والمساهمة في بناء عالم أفضل . ان الدور الذي يمكن أن تقوم به المكتبات لهو مسؤولية كل مواطن مستنير وإن ما يمكن أن تحققه مكتبات المستقبل من انجازات لهو أمانة في عنق مؤرخ المستقبل.

●●●

E.E. williams (ed.) = Conference ofn International Cutural, educational and scientific exchanges; Princeton University November 25-26, 1946. Chicago, 1947.

المصادر والمراجع

Abel, Sigurd. Jahrbücher des fränkischen Reichs unter Karl dem Grossen. Leipzig, 1866-1883.

Ackerknecht, Erwin. "Das schwedische Bücherei - und Vortragswesen," Bücherei und Bildungspflege III (1923), 135-144.

---------- and Fritz, Gottlieb. Büchereifragen; Aufsätze zur Bildungsaufgabe und Organisation der modernen Bücherei. Berlin, 1914.

Adriani, Gert. Die Klosterbibliotheken der Spätbarock in Österreich und Süddeutschland; ein Beitrag zur Bau-und Kunstgeschichte des 17. und 18. Jahrhunderts. Graz, 1935.

Akademie der Wissenschaften, Munich. Mittelalterliche Bibliotheks-kataloge Deutschlands und der Schweiq. Muinich, 1918.

Akademie der Wissenschaften, Vienna. Mittelalterliche Bibliotheks Katuloge Österreichs, Vienna, 1915.

American Library Association. Manual of Library Economy. Preprints. Various eds. Chicago, 1911.

American Library Association. Manual of Library Economy. Preprints. Various eds. Chicago, 1911.

---------- A Survey of Libraries in the United States. Chicago, 1920-1927.

---------- Committee on Post-War Planning. A National Plan for Public Library Service. Chicago, 1948.

Apolloni, Ettore. Guida alle biblioteche italiane. Milan, 1939.

---------- and Circamone, Guido. Le biblioteche d'Italia foure di Roma; storia, classificazione, funzionamento, contenuto, cataloghi, bibliografia. Rome, 1934-1939. (Bibliothèque des "Annales institutorum." III)

Arnesen, Arne. "How Norway Became the Focus of American Library Methods in Europe," LQ IV (1934), 148-155.

Association of Research Libraries. A Catalog of Books Represented by Library of Congress Printed Cards Issued to July 31, 1942. Ann Arbor, 1942-1946.

Aufsätze Fritz Milkau gewidmet. Leipzig, 1921.

• Aus den Tagen eines erloschenen Regentenhauses in seiner ehemaligen Residenz. Hessische Nachrichten Aus alter und neuer Zeit. Aus dem grösseren Nachlass eines kürzlich verstorbenen staatsdieners. Hannover, 1878.

Axon, William E. A. "An Italian Librarian of the XVII and XVIII Centuries. Antonio Magliabechi," Library Association Record V (1903), 59-76.

Baasech, Ernst. "Die Kommerzbibliothek in Hamburg," ZfB XXXVI (1919), 147-157.

Bähr, J.C.F. "Die Entführung der Heidelberger Bibliothek nach Rom im Jahre 1623," Serapeum VI (1845), 113-127, 129-144, 145-159.

Baker, Ernest A. The Public Library. London, 1922.

---------- ed. The Uses of Libraries. London, 1920.

Balcke, Curt. Bibliographie zur Geschichte der Preussischen Staats-bibliothek. Leipzig, 1925. (Mitteilungen aus der Preussischen Staatsbibliothek, VI).

---------- "Fünfzig Jahre Jahresverzeichnis der deutschen Universitäts-und Record, n.s. V (1927). 101-121.

---------- " The German Library World and its System," Library Association Record, n.s. V (1927), 101-121.

Bartholomew, Augustus T. Richard Bentley, D.D.: a Bibliography of his Works and of all the Literature Called Forth by his Acts or Writings, Cambridge, 1908.

Barwick, George F. The Reading Room of the British Museum. London, 1929.

Batiffol, Pierre. La Vaticane de Paul III à Paul V, d'après des documents nouveaux. Paris, 1890. (Petite bibliotheque d'art et d'archéologie, II)

Beck, Richard. "Die BEziehungen des Florentiners Antonio Magliabechi zu Christian Daum, Rektor zu Zwickau," ZfB XV (1898), 97-111, 145-176.

Becker, Gustav H. Catalogi bibliothecarum antiqui. Bonn, 1885.

Beddie, James S. "The Ancient Classics in the Medieval Libraries," Speculum V (1930), 3-20.

----------- "Libraries in the 12th Century. Their Catalogues and Contents," in Anniversary Essays in Medieval History by Students of Charles Homer Haskins (Boston, 1929), p. 1-23.

Beer, Rudolf. "Bemerkungen über den ältesten Handschriftenbestand des Klosters Bobbio," Anzeiger der K. Akademie der Wissenschaften in Wien, Philospohicsh-historische Klasse XLVIII (1911), 78-104.

----------- "Bobbienser Mischhandschrift: Patristische und grammatische Schriften, Zum Teil auf reskribierten Blättern mit Klassischen, biblischen und apokryphen Texten," in Monuneneta plaeographica Vindobonensia II (Leipzig, 1913), 1-45.

Beeson, Charles H. Isidor-Studien. Munich 1913. (Quellen und Untersuchungen zur lateinischen Philologie des Mittelalters. IV, 2)

Behrend, Fritz. "Corveys elfundertjährige Geschichte im Spiegel seiner Büchersammlungen," Zeitschrift für Bücherfreunde, n.s. XV (1928), 11-21.

Beiträge zum Bibliotheks-und Buchwesen Paul Schwenke zum 20. März 1913 gewidmet. Berlin, 1913.

Beltrami, Luca. La Biblioteca Ambrosiana. Milan. 1896.

Benedictus, Saint. The Rule of Saint Benedict, tranlated with an introduction by Abbot Gasquet. London, 1909.

Bergkamp, Joseph U. Dom Jean Mabillon and the Benedictine Historical School of Saint-Maur. Washington, 1928.

Berlin, Preussische Staatsbibliothek, Fünfaehn Jahre Könligliche und Staatsbibliothek. Dem scheidenden Generalirektor Adolf von Harnack zum 31. März 1921 überreicht von den wissenschaftlichen Beamten der Preussischen Staatsbibliothek. Berlin, 1921.

Bern. Schweizersiche Landesbibliothek. Fünfzig Jahre Schweizerische Landesbibliothek. Bern, 1945.

Berthold, Arthur B. "Survey of Recent Russian Library Literature," LQ XVII (1947), 138-147.

Bertoni, Giulio. La Biblioteca Estense e la coltura ferrarese ai tempi del duca Erocole I (1471-1505). Turin, 1903.

Besterman, Theodore. The Beginnings of Systematic Bibliography. 2nd ed. London, 1936.

Beyerle, Konrad, ed. Die Kulture der Abtei Reichenau, Erinnerungsshrift zur zwölfundertsten Widerkehr des Gründungsjahres des Inselklosters, 724-1924. Munich, 1925.

Bezold, Carl. "Bibliotheks - und Schriftwesen im alten Ninive," ZfB XXI (1904), 257-277.

Biagi, Guido. "Le biblioteche nel passato e nell'avvenire," Rivista delle biblioteche e degli archivi XVI (1905), 1-11.

"Bibliotheca," in Thesaurus linguae latinae, Vol. II.

"Bibliotheken," in Pauly-Wissowa, Realencyclopedie der Classischen Altertumswissenschaften, Vol. III.

"Les Bibliothèques," L'Architecture d'aujourd'hui IX, no. 3 (March, 1938).

"Bibliothèques," Bulletin du livre français, no. 49 (July/August, 1938)

Binz, Gustav. "Literarische Kriegsbeute aus Mainz in schwedischen Bibliotheken," Mainzer Zeitschrift XII/XIII (1918), 157-165.

Birt, Theodor. Alexander der Grosse und das Weltgriechtum bis zum Erscheinen Jesu. 2nd ed, Leipzig, 1925.

---------- Das antike Buckwesen. Berlin, 1882.

---------- Die Buchrolle in der Kunst. Leipzig, 1907.

Bloch, Hermann. "Ein karolingischer Bibliothekskatalog aus Kloster Murbach," in Strassburger Frstschrift zur XLVI VErsammlung deutscher Philolgen und Schulmänner (Strassburg, 1901), p. 257-285.

Bodley, Thomas. Letters... to the University of Oxford. Oxford. Oxford, 1927.

---------- Letters... to Thomas James, First Keeper of the Bodleian Library. Oxford, 1926.

---------- The Life of Sir Thomas Bodley, Written by himself, Together with the First Draft of the Statutes of the Public Library at Oxon. Chicago, 1906. (Literature of Libraries in the Seventeenth and Eighteenth Centuries, III).

* Bömer, Alois. "Das literarische Leben in Münster," in Aus dem geistigen Leben und Schaffen in Westfalen; Festschrift zur Eröffnung des Neubaus der Königl. Unversitätsbibliothek in Münster (Westfalen) am 8. November 1906. Münster, 1906.

Böhme, Paul. Nachrichten über die Königl. Bibliothek der Landesschule Pforta. Naumburg, 1880-1883.

Börsenverein der deutschen Buchhändler. Historische Kommission. Geschichte des deutschen Buchhandels. Leipzig, 1886-1923.

Bogeng, Gustav A.E. "Über Zacharias Conrad von Uffenbachs Erfahrungen und Erlebnisse bei der Benutzung deutscher, englischer, holländischer öffentlicher Büchersammlungen in den Jahren 1709-11," in Beiträge... Schwenke gewidmet. p. 30-46.

Bohn, Richard. Das Heiligtum der Athena Polias Nikephoros. Berlin, 1885. (Alterümer von Pergamon, II).

Bollert, Martin. "Johann Joachimm Winckelmann als Bibliothekar," ZfB LIII (1936), 482-489.

Bonfort, Helene. Das Bibliothekswesen in den Vereingiten Staaten. Hamburg, 1896.

Borden, Arnold K. "Seventeenth-Century American Libraries," LQ II (1932), 138-147.

Bosca, Pietro P. De orignine et statu Bibliothecae Ambrosianae. Milan, 1672.

Bostwick, Arthur E. The American Public Library. 4th ed. New York, 1929.

Bosca, Pietro P. De orginie et statu Bibliothecae Ambrosianae. Milan, 1672.

Bostwick, Arthur E. The American Public Library. 4th ed. New York, 1929.

---------- ed. Popular Libraries of the World. Chicago, 1933.

Boulting, William. Aeneas Silvius (Enea Silvio de Piccolomini--Pius II), Orator, Man of Letters, Statesman, and Pope. London, 1918.

Boyd, Clarence E. Public Libraries and Literary Culture in Ancient Rome. Chicago, 1916.

Boysen, Karl. "Systematischer oder Schlagworkkatalog," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 19-36.

Brandes, Ernst. Über die gegenwärtige Zustand der Universität Göttingen. Göttingen, 1802.

Branusberger, Otto. "Ein Freund der Bibliotheken und ihrer Handschriften," in Miscellanea Francesco Ehrle, Vol. V, p. 455-472.

Bresslau, Harry. "Bamberger Studien," Neues Archiv der Gesellschaft für ältere deutsche Geschichtskunde XXI (1896), 141-1234.

---------- Handbuch der Urkundenlehre für Deutschalnd und Italien. 2nd ed. Leipzig, 1912-1931.

Breycha-Vauthier, Arthur C. de. "The Federation of Library Associations," in William Warner Bishop, a Tribute, 1941, p. 34-49.

British Museum. Dept. of Egyptian and Assyrian Antiquities. Catalogue of the Cuneiform Tablets in the Kouyunjik Collection of the British Museum. London, 1889-1899.

---------- Dept. of Printed Books. The British Museum Catalogue of Printed Books, 1881-1990. Published under the auspices of a committee of the Association of Research Libraries. Ann Arbor, 1946.

---------- Catalogue of Printed Books. London, 1881-1900.

---------- General Catalogue of Printed Books. London, 1931.

---------- Subject Index of Books Published up to and including 1880. Series 1-3. London, 1933-1939.

---------- Subject Index of the Modern Works Added to the Library, 1881 London, 1902.

Brodrick, James. Saint Peter Canisius, S.J., 1521-1597. London, 1935.

Brooks, Constance. Antonio Panizzi: Scholar and Patriot. Manchester, 1931. (University of Manchester Publications, no. 208, Itlaian Series, no. 1).

Brown James. Saint Peter Canisius, S.J., 1521-1597. London, 1935.

Brooks, Constance. Antonio Panizzi: Scholar and Patriot. Manchester, 1931. (University of Manchester Publications, no. 208, Italian Series, no. 1).

Brown, James D. Library Classification and Cataloguing. London, 1912.

---------- Manual of Library Economy. 5th ed. London, 1907.

Brown, Karl, comp. A Guide to the Reference Collections of the New York Public Library. New York, 1941.

Bruch, Bernhard. "Die Entwicklung der deutschen Stadtbibliothken vom Beginn des 19. Jahrhunderts bis zur Gegenwart," ZfB LIV (1937), 591-610.

Buchholtz, Arend. Die Volksbibliotheken und Lesehallen der Stadt Berlin, 1850-1900. Berlin, 1900.

Bürger, Richard. Friederich Adolf Ebert; ein biographischer Verscuh. Leipzig, 1910. (Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, XXXI)

Burckhardt, Jakob C. The Civilization of the Renaissance in Italy. Oxford, 1937.

Burdach, Konrad. "Die pfälzischen Wittelsbacher und die Handschriften der Palatina," ZfB V (1888), 111-133.

---------- "Zur Kenntnis altdeutscher Handschriften und zur Geschichte altdeutscher Lirtreratur und Kunst," ZfB VIII (1891), 1-21, 145-176. 324-344, 433-488.

Burton, Margaret and Vosburgh, Marian E. A Bibliography of Librarianship. London, 1934.

Cagnat, M.R. "Les bibliothèques municipales dans l'empire romain," Mémoires de l'Academie des Inscritions et Belles-Lettres XXXVIII (1909/1911), I, 1-26.

Cahier, Charles. Bibliothèques. Paris, 1877. (His Nouveaux mélanges d'archeologie, d'historie et de littérature sur le moyen âge, IV)

Carini, Isidoro. La Biblioteca Vaticana. 2nd ed. Rome, 1893.

Carnegie Corporation of New York. Carnegie Grants for Library Buildings, 1890-1917. Philadelphia, 1943.

Castellani, Carlo. Le biblioteche nell'antichità. Bologna, 1884.

I Cataloghi delle biblioteche italiane. Rome, 1943.

Centenary of the Birth of Andrew Carnegie. The British Trusts and their Work, with a Chapter on the American Foundations. Edinburgh, 1935.

Champion, Pierre. La librarie de Charles d'Orléans. Paris, 1910. (Bibliothèque du XVe siècle, X1).

Champman, John. St. Benedict and the Sixth Century. London, 1929.

Chiera, Edward. They Wrote on Clay. Chicago, 1938.

Christ, Karl. Die Bibliothek des Klosters Fulda im 16. Jahrhundert: die Handschriften-Verzeichnisse. Leipzig, 1933. (ZfB. Beithet 64).

---------- Die Bibliothek Reuchlins in Pforzheim. Leipzig, 1924. (ZfB. Beitheft 52).

---------- "Kardinal Franz Ehrle," ZfB LII (1935), 1-47.

Christ, Wilhelm von. Geschichte der griechischen Literatur. 6th ed. Munich, 1912-1924. (Handbuch der classischen Altertumswissenschaft, VII).

Clark, James M. The Abbey of St. Gall as a Center of Literature and Art. Cambridge, 1926.

Clark, James W. The Care of Books. 2nd ed. Cambridge, 1909.

---------- Richard Bentley. Cambridge, 1908.

Calrke, Archiblad L. "Leibnitz as a Librarian," The Library, ser. 3, V (1914), 140-154.

Clauss, Hermann. Die Schwabacher Kirchenbibliothek. Munich, 1921.

Clément, Claude. Musei sive bibliothecae, tam private quam publicae. extructio, instructioo, cura. usus. Lyon, 1635.

Coggiola, Giulio. "Il prestito della Marciana dal 1474 al 1527," ZfB XXV (1908), 47-70.

Columbia University. School of Library Service. School of Library Economy of Columbia College, 1887-1889; Documents for a History. New York, 1937.

Comparetti, Domenico P.A. and Petra, Giulio de. La villa ercolanese dei Pisoni; i suoi monumeti e la sua biblioteca. Turin, 1838.

Conze, Alexander, "Die pergamenische Bibliothek," Sitzungsberichte der K. Presussichen Akademie der Wissenschaften, 1884, II, 1259-1270.

Cotton des Houssayes, Jean Baptiste, The Duties and Qualifications of a Librarian; a Discourse pronounced in the General Assembly of the Sorbonne, December 23, 1780. Chicago, 1906. (Literature of Libraries in the Seventeenth and Eighteenth Centures, I).

Crouzel, Robert. Le dépôt légal. Toulouse, 1936.

Crüwell, G.A. "Der Bücherfluch," Mitteilungen des Österreichischen Vereins für Bibliothekswesen

VIII (1904), 178-184; IX (1905), 27-31, 96-101, 129-135.

Dahl, Svend. Geschichte des Buches. Leipzig, 1928.

----------- ed. Haandbog i Bibliotekskundskab, 3rd ed. Copendhagen, 1924-1930.

----------- "Uber die neueste Entwicklung des wissenschaftlichen Bibliothekswesens in Danemark," ZfB LVI (1939), 395-409

D'Angelo, Maria. Il cardinale Girolamo Casanate (1620-1700). Luzzatti, 1923.

Danton, J. Periam. Education for Librarianship; Criticisms, Dilemmas, and proposals. New York, 1946.

Dawe, Grosvenor. Melvil Dewey. Lake Placid, 1932.

Decker, A. "Die Hildeboldsche Manuskriptensammlung des Kölner Doms," in Festschrift der 43. Versammlung deutscher Philologgen und Schulmänner, dargeboten von den höheren lehranstalten Kölns (Bonn, 1895), p. 215-251.

Degener, Hermann. "Die Bibliothek des British Museum," Zeitscherift für Bücherfreunde VI (1902/03), I, 1-39.

----------- "Die Bodleian Library in Oxford, "Zeitschrift für Bücherfrunde VIII (1904/05), I, 89-119.

Degering, Hermann. "Französischer Kunstraub in Deutschland, 1794-1807," Internationale Monatsschrift für Wissenschaft, Kunst und Technik XI (1916/17), 1-47.

Delisle, Léopold V. Le cabinet des manuscrits de la Bibliothèque Impériale. Paris, 1868-1887.

----------- Inventaire des manuscrits de la Bibliothèque Nationale. Fonds de Cluni. Paris, 1884.

----------- "Notice sur un livre annoté par Pétrarque (Ms. Latin 2201 de la Bibliothèque Nationale," Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale et autres bibkliothèques XXXV (1896/97). II, 393-408.

----------- Rechrerches sur la librairie de Charles V. Paris, 1907.

Delitsch, Friederich. Assurbanipal und die assyrische Kultur seiner Zeit. Leipzig, 1907. (Der alte Orient, XI, 1)

Delougaz, Nathalie. "Some Problems of Soviet Librarianship as Reflected in Russian Library Periodicals," LQ XV (1945), 213-223.

Denifle, Heinrich. "Die Constitutionen des Predigerordens vom Jahre 1228," Archiv für Litteratur und Kirchengeschichte des Mittelalters I (1885), 164-227.

Denk, Victor M.O. Geschichte des Gallo-fränkischen Unterrichts-und Bildungswesen von den ältesten Zeiten bis auf Karl den Grossen. Mainz, 1892.

De Roover, Florence E. "The Scriptorium," in J.W. Thompson, The Medieval Library, p. 594-612.

Des Coudres, Hans, P. "Das verbotene Schrifttum'und die wissenschaftlichen Bibliotheken," ZfB LII (1935), 459-471.

Ditzion, Sidney H. "The Anglo-American Library Scene: a Contribution to the Social History of the Library Movement," LQ XVI (1946), 281-301.

----------- Arsenals of a Democratic Culture; a Social Historey of the American Public Library Movement in New England and the Middle States from 1850 to 1900. Chicago, 1947.

----------- "Mechanics' and Mercantile Libraries," LQ X (1940), 192-219.

Döbner, Richard. ed. Annalen und Akten der Brüder des gemeinsamen Lebens im Lüchtenhofe zu

Hildscheim. Hannover, 1903. (Quellen und Darstellungen zur Geschichte Niedersachsens, IX).

Donker Duyvis, F. "The International Federation for Documentation," Journal of Doumentary Reproduction III (1940), 176-191.

Douais, C. "Assignations des livres aux religieux du convent des Freres Prècheurs de Barcelone," Revue des bibliothèques III (1893), 49-83.

Doutrepont, Georges. La littérature française à la cour de Bourgogne: Philippe le Hardi - Jean sans Peur - Philippe le Bon - Charles le Téméraire. Paris, 1909. (Bibliothèque du 15e siecle, VIII).

Downs, Robert B,. Resources of New York City Libraries; a Survey of Facilities for Advanced Study and Research. Chicago, 1942.

---------- Resources of Southern Libraries; a Survey of Facilities for Research. Chicago, 1938.

---------- ed. Union Catalogs in the United States. Chicago, 1942.

Düntzer, Heinrich. "Goethe und die Bibliotheken zu Weimar und Jena," ZfB I (1884), 89-105.

Duffus, Robert L. Our Starying Libraries; Studies in Ten American Communities during Depression Years. Boston, 1933.

Dummer, El Heyse. "Cardinal Franz Ehrle: in Commemoration of a Double Anniversary," LQ XVI (1946), 335-340.

---------- "Johann Christian von Aretin: a Re-evaluation," LQ XVI (1946), 108-121.

Duncker, Albert. "Landgraf Wilhelm IV von Hessen, gennant der Weise, und die Begründung der Bibliothek zu Kassel in Jahre 1580. Kassel, 1881.

Dury, John. The Reformed Librarie Keeper, Chicago, 1906. (Literature of Libraries in the Seventeenth and Eighteenth Centureis, II).

Dovrak, Max. "Die Illuminatoren des Johann von Neumarkt," Jahrbuch der kunsthistorischen Sammlungen des allerhöchsten Kaiserhauses XXII (1901), 35-126.

Dziatzko, Karl. "Die Bibliothek und der Lesesaal des Britischen Museums," Preussische Jahrbucher XLVIII (1881). 346-376.

---------- "Die Bibliotheksanlage von Pergamon," in his Beiträge zum Kenntnis des Schrift-, Buch- und Bibliothekswesens, III. Leipzig, 1896. (Summlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, X)

---------- "Eine Reise durch die grösseren Bibliotheken Italiens," in Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten VI (1894), 96-128.

---------- Entwicklung und gegenwärtiger Stand der wissenschaftlichen Bibliotheken Deutschlands mit besonderer Berücksichtigung Preussens. Leipzig, 1893. (Summlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, V)

---------- "Die Göttinger Bibliothek in westfälischer Zeit," in Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten XVII (1904), 25-49.

Ebert, Friederich A. "Bibliotheken," in Ersch and Gruber, Allgemeine Encyclopädie der Wissenschaften und Künste, X.

---------- A General Bibliographical Dictionary. Oxford, 1837.

---------- Geschichte und Beschreibung der königlichen öffentlichen Bibliothek zu Dresden. Leipzig, 1822.

---------- The Training of the Librarian. Woodstock, 1916. (The Librarian's Series, V)

---------- Über öffentliche Bibliotheken, besonders deutsche Universitätsbibliotheken. Freiburg, 1811. Cf. also the review by M. Schrettinger in Jenaische allgemeine Literaturzeitung, 1814, Ergänzungsblätter, II, 337-344, 346-347.

Ebrard. Friedrich. C. Die Stadtbibliothek in Frankfut am Main. Frankfurt. 1896.

Edwards, Edward. Lives of the Founders of the Birtish Museum, with Notice of its Chief Augmentors and Other Benefactors. London, 1870.

---------- Memoris of Libraries, of Museums, and of Archives. 2nd ed. London, 1901.

Ehl, Heinrich. Die Ottonische Kölner Buchmalerei. Bonn, 1922.

Ehrhardt, Albert. "Die grienchische Patriarchal-Bibliothek zu Jerusalem. Ein Beitag zur griechischen Palaeographie," Römische Quartalschrift für christliche Altertumskunde und für Kunstgeschichte V (1891), 217-265, 329-331.

Ehrle, Franz, "Bibliotheketechnisches aus der Vaticana,"ZfB XXXIII (1916), 197-227.

---------- "Die Frangipani und der Untergang des Archivs und der Bibliotheken der Päpste am Anfang des 13. Jahrhunderts," in Mélanges offerts a M. Emile Chatelaine (Paris, 1910), p. 448-485.

---------- Historia bibliotheca Romanorum pontificum tum Bonifatianae tum Avenionensis, I. Rome, 1890.

Ehwald, Rudofl. "Geschichte der Gothaer Bibliothek," ZfB XVIII (1901), 434-463.

Eliot, Charles W. "The Division of a Library into Books in Use and Books not in Use, with Different Storage Methods for the two classes of Books," LJ XXVII (1902), II, 51-56, Cf. also ibid. I, 256-260.

Eneström, Gustaf. "Schwedische Bibliotheken," ZfB IV (1887), 329-335.

Erfurt. Stadtbücherei. Beschribendes Verzeichnis der Amplonianishcen Handschriften zu Erfurt. Berlin, 1887. Introduction by Wilhelm Schum.

Erman, Adolf. Aegypten und aegyptisches Leben im Altertum. Tübingen, 1923.

---------- Life in Ancient Egypt. London, 1894.

Erman, Wilhelm. Geschichte der Bonner Universitätsbibliothek (1818-1901). Halle a.S., 1919. (Sammlung bibliothekswissenschatlicher Arbeiten. XXXVII/XXXVIII)

Ernesti, Johann A. Narratio de Ionne Matthia Gesnero et I.N. Niclasii de eodem Gesnero epistola familiaris... Accedit memoria Genseri ab I.D. Michaeli. Leipzig, 1826. (Eloquentium virorium narrationes de vitis hominum doctrina et vritute excellentium... ed. C.H. Frotscher, II).

Escher, Hermann. Aus dem amerikanischen Bibliothekswesen. Tübingen, 1923.

---------- "Vom schweizersichen Bibliothekswesen," ZfB XXVIII (1911), 537-544.

Esdaile, Arundell, "Between two Wars at the British Museum," LQ XII (1942), 794-804.

---------- The British Museum Library. London, 1946.

---------- and Burton, Margaret. The World's Great Libraries. London, 1934-1937.

Essays offered to Herbert Putnam by his Colleagues and Friends on his Thirtieth Anniversary as Librarian of Congress, 5 April 1929; ed. by William Warner Bishop and Andrew Keogh. New Haven, 1929.

Estienne, Henri. The Frankfort Book Fair, ed. and tr. by J.W. Thompson, Chicago, 1911.

Evans, Joan. Monastic Life at Cluny, 910-1157. London, 1931.

Fabre, Paul. "La Vaticane de Sixte IV." Mélanges d'archéologie et d'histoire XV (1895), 455-483.

Fagan, Louis A. The Life of Sir Anthony Panizzi. 2nd ed. London, 1880.

Faider, Paul. "Le Catalogue gééral des manuscrits des bibliothèques de Belgique," LQ VIII (1938), 523-527.

Falk, Franz. Beiträge zur Rekonstruktion der alten Bibliotheca Fuldensis und Laureshamensis. Leipzig, 1902. (Beihefte zum ZfB, 26).

---------- Die ehemalige Dombibliothek zu Mainz. Leipzig, 1897. (Beihefte zum ZfB, 18).

Farrar, Clarissa P. and Evans Austin P. Bibliography of English Translations from Medieval Sources. New York, 1946.

Faucon, Maurice. La librariee des papes d'Avignon. Paris, 1886-1887. (Bibliothèque des Ecoles françaises d'Athènes et de Rome, 43,50).

Fava, Domenico. La Biblioteca Nazionale Centrale di Firenze et le sue insigni raccolte. Milan, 1939.

Felder, Hilarin. Geschichte der wissenschaftlichen Studien im Franziskanerorden bis um die Mitte des 13. Jahrhunderts. Freiburg i.Br., 1904.

Festschrift für Georg Leidinger zum 60. Geburstag am 30. Dezember 1930. Munich, 1930.

Festschrift Georg Leyh. Aufsätze zum Bibliothekswesen und zur Forschungsgeschichte dargebracht zum 60. Geburtstag am 6. Juni 1937 von Freunden und Fachgenossen. Leipzig, 1937.

Festschrift Martin Bollert zum 60. Geburtstag. Dresden, 1936.

Festschrift zur Feier des hundertfünfzigjahrigen Bestehens der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Berlin, 1901.

Fick, Richard, Ein Bericht Heynes aus der westfälischen Zeit und seine programmatische Bedeutung. Göttingen, 1924. (Vorarbeiten zur Geschichte der Göttinger Universität und Bibliothek, I).

Fifty Years of Education for Librarianship. Papers Presented for the Celebration of the Fiftieth Anniversary of the University of Illinois Library School. March 2, 1943. Urbana, 1943.

Fischer, Hans. "Die Kgl. Bibliothek in Bamberg und ihre Handschriften," ZfB XXIV (1907), 364-394.

Fishcer, Ludwig, König Matthise Gervinus und seine Bibliothek. Vienna. 1878.

Fliegel, M. "Die Dombibliothek zu Breslau im ausgehenden Mittelalter," Zeitschrift des Vereins für Geschichte Schlesinens LIII (191), 84-133.

Florence, Biblioteca Mediceo-Laurenziana. Biblioteca Mediceo-Laurenziana die Firenze. Florence. 1872.

Focke, Rudolf. "Das Volksbibliothekswesen in der provinz Posen," Blätter für Volksbibliotheken und Lesehallen X (1909), 73-76, 109-119.

Folz, Karl. Geschichte der Salzburger Bibliotheken. Vienna, 1877.

Franke, Johannes. Die Abgabe der Pflichtexemplare von Druckerzeugnissen, mit besonderer Berücksichtigung Deutschlands und des Deutschen Reiches. BErlin, 1889. (Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, III).

Franklin, Alfred. Guide des savants, des littérateurs et des artistes dans les bibliothèques de Paris. Paris, 1908.

---------- Historie de la Bibliothèque Mazarine et du palais de l'Institut. 2nd ed. Paris, 1901.

Franz, Adolph. M. Aurelius Cassiodiorus Senator; ein Beitrag zur Geschichte der theologischen Literatur. Breslau, 1872.

Friedensburg, Walter. "Petruc Lambecuis an Lucas Holsteinus über die Errichtung der Hamburgischen Stadtbibliothek und den Stand der Gelehrsamkeit in Hambug (1651)," ZfB XIX (1902), 321-328.

Fritz, Gottlieb. Das moderne Volksbildusgswesen. Leipzig, 1909. (Aus Nature-und Geisteswelt, 266).

---------- and Plate, Otto. Volksbüchereien (Bucher- und Lesehallen), ihre Einrichtung und Verwaltung, Berlin, 1924. (Sammlung Göschen, 332)

Fuchs, Hermann. "Der Deutsche Gesamtkatalog als Organisation und Leistung," ZfB LV (1938), 443-457.

---------- "The Gesamtkatalog of the Prussian Libraries," LQ IV (1934). 36-49.

Fussler, Herman H. Photographic Reproduction for Libraries. Chicago, 1942.

Gardner, Alice, Theodore of Studium, his Life and Times. London, 1905.

Gardthausen, Victor. "Die alexandrinische Bibliothek, ihr Vorbild, Katalog und Betrieb," Zeitschrift des deutschen Vereins für Buchwesen und Schrifttum V (1922), 73-104. Cf. the review by Carl Wendel in ZfB XL (1923), 258-259.

---------- Handbuch der wissenschaftlichen Bibliothekskunde. Leipzig, 1920.

Garnett, Richard. "Librarianship in the Seventeenth Century," in his Essays in Librarianship and Bibliography (London, 1899), p. 174-190.

---------- "The Printing of the British Museum Catalgoue," ibid., p. 67-86.

---------- "Sir Anthony Panizzi, K.C.B.," ibid., p. 288-303.

Gasquet, Francis A. Monastic Life in the Middle Ages, with a Note on Great Britain and the Holy See, 1792-1806. London, 1922.

Gautier. Jean. Nos bibliothèques publiques, leur situation légale; avec appendice contenant les décrets, arrêtés et circularies relatifs aux bibliothèques parus dans les vingt dernières années. 2nd ed. Paris, 1902.

Gebhardt, Oscar von. "Ein Bücherfund in Bobbio," ZfB V (1888), 383-431, 538.

Gedike, Friedrich. Der Universitäts-Bereiser Friederich Gedike und sein Bericht an Friedrich Weilhelm II. Mitgeteilt von Dr. Richard Fester. Berlin, 1905. (Ergänzungshefte des Archivs für Kulturgeschichte, I).

Geiger, Karl. "Jeremias David Reuss und seine Bibliothek," ZfB XXII (1905), 465-490.

---------- "Robert von Mohl als Vorstand der Tübinger Universitäts-Bibliothek," ZfB XVII (1900), 161-191.

Germany. Statistisches Reichsamt. Die deutschen Volksbüchereine nach Ländern, Provinzen und Gemeinden. 1933/34. Berlin, 1935. (Statistik des Deutschen Reiches. Bd. 471).

Gesellschaft der Freunde der Deutschen Bücherei. Deutsche Bücherei (German Library). Objects and Functions. Leipzig, 1925.

Gesellschaft der Wissenschaften, Göttingen. Festschrift zur Feier des hundertfünfzigjährigen Bestehens der Königlichen Geselsssschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Berlin, 1901.

Gesner, Johann M. "Ein Gutachten Gesners über die Anforderungen des biliothekarischen Berufes," in Sammlung bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, VII, p. 98-104.

Gessert, Dr. "Theiner über die Schenkung der Heidelberger Bibliothek durch Kurfürst Maximilian I von Bayern an Papst Gregor XV," Serapeum VI (1815), 1-11.

Gibson, Strickland. Some Oxford Libraries. London, 1914.

Gillett, Charles R. Burned Books: Neglected Chapters in British History and Literature. New York, 1932.

Giordani, Igino. "The Vatican Library during Recent Years," LQ VII (1937), 1-25.

---------- "The Work of Itlaian Libraries," LQ IX (1939), 145-155.

Giubileo di cultura, MCMXI, per la pure Biblioteca Nazionale Centrale. Florence, 1911.

Glauning, Otto. "Ein Jahrhundert bibliothekarischer Vergangenheit," ZfB XL (1923), 1-18.

Götze, Bernt. "Antike Bibliotheken," Jahrbuch des deutschen archäologischen Instituts LII (1937), 225-247.

Gomoll, Heinz. "Zu Cassiodors Bibliothek und ihrem Verhältnis zu Bobbio," ZfB LIII (1936), 185-189.

Gosnell, Charles F. and Sch¨tz, Genza. "Goethe the Librarian," LQ II (1932), 367,374.

Gottlieb, Theodor. Büchersammlung Kaiser Maximilians I. Leipzig, 1900.

---------- Über mittelalterliche Bibliotheken. Leipzig, 1890.

---------- Die Weissenburger Handschriften in Wolfenbüttel. Vienna, 1909. (Sitzungsberichte der Philosophich-historichen Klassse der K. Adademie der Wissenschaften in Wien, CLXIII, 6).

Gourley, James E. and Lester, Robert M. The Diffusion of Knowledge; a List of Books Made Possible Wholly or in Part by Grants from the Caranegie Corporation of New York and Published.... during the Years 1911-1935. Philadelphia, 1935.

Graesel, Arnim. Handbuch der Bibliothekslehre. 2nd ed. Leipzig, 1902.

---------- "Otto Hartwig," ZfB XXI (1904), 97-103.

Grässe, Johann G.T. "Zur Geschichte der Bibliotheken in Frankreich," Serapeum IV (1843), 332-336; 344-348.

Graham, Hugh. The Early Irish Monastic Schools. Dublin, 1923.

Gray, Austin K. Benjamin Franklin's Library. New York, 1937.

Great Britian. Borad of Dducation. Public Libraries Committee. Report on Public Libraries in England and Wales. London, 1927. (Parliamnetary Papers by Command, no. 2868).

Great Britian. Roayl Commission on National Museums and Galleries. Final Report. London, 1929-1930.

Green. Samuel S. The Public Library Movement in the United States, 1853-1893. Boston, 1913. (Useful Reference Series, 8).

Greenwood, Thomas. Edward Edwards, the Chief Pioneer of Municipal Public Libraries. London, 1902.

Grimm, Werner von. "Studien zur ältern Geschichte der Kaiserlichen Öffentlichen Bibliothek in St. Pertersburg (Leningrad), 1794-1861," ZfB L (1933), 301-315, 353-377.

Grisar, H. "Le biblioteche nell'antichità classica e nei primi tempi cristiani," La civilita cattolica, ser. 18, vol. VII (1902), 715-729; VIII (1902), 463-477.

Guasti, C. "Inventario della Libraria Urbinate, compilato nel secolo XV da Federigo Veterano, bibliotecario di Federigo I da Montefeltro, duca d'Urbino," Giornale storico degli archivi toscani VI (1862), 127-147; VII (1863), 46-55, 130-154.

Guide to Catholic Literature, 1888-1940, Detroit, 1940.

Haeberlin, Carl. "Beiträge zur Kentniss des antiken Bibliotheks- und Buchwesens," ZfB VII (1890), 271-302.

Haebler, Konrad. Deutsche Bibliophilen des 16. Jahrhunderts; die Fürsten von Anhalt, ihre Bücher und Bucheinbände. Leipzig, 1923.

Hamburg. Staats- und Universitätsbibliothek. Mitteilungen aus der Stadtbibliothek zu Hamburg. Vol. XI. Hamburg, 1894.

Hamdorff, G. "Die dänischen Volksbüchereien im Johre 1912," Monatshefte der Comenius-Gesellschaft für Volkserzicheung, n.s. V (1913), 7-12.

Hamel, Frank. "The Lirarians of the royal Library at Fontainebleuau," The Library III, ser. 1 (1910). 190-1199.

Handbuch der deutschen Volksbüchereien. hrsg. vom Verband deutscher Volksbibliothekeare. Leipzig, 1935. (Jahrbuch der deutschen Volksbücherien, V).

Handwerker, Otto. Geschichte der Würzburger Universitäts-bibliothek bis zur Säkularisation. Wu-rszburg, 1904.

Hanslik, Josef A. Geschichte und Beschreibung der Prager Universitätsbibliothek. Prague, 1851.

Hanson, James C.M. A Comparative Study of Cataloguing rules Based on the Anglo-American Code of 1908. Chicago, 1939.

Hardy, Thomas D. Describtive Catalogue of Materials Relating to the History of Great Britain and Ireland, to the End of the Reign of Henry VII. London, 1862-1871. Cf. especially the Introduction to Vol. III.

Harnack, Adolf von. "Die älteste Inschrift über eine öffentilichen Kirchen-Bibliothek," in Beiträge... Schwenke gewidmet. p. 111-114.

----------- "Die Benutzung der Königlichen Bibliothek und die deutsche Nationalbibliothek." in his Reden und Aufsätze. N.F. III (Giessen, 1916), p. 227-261.

----------- "Die Benutzung der Königl. Bibliothek," ibid., III, p. 263-276.

----------- "Die Königliche Bibliothek zu Berlin," ibid., I (Giessen, 1911), p. 126-162.

----------- "Tertullians Bibliothek christilcher Schriften," Sitzungsberichte der K. Preussischen Akademie von Wissenschaften, 1914, I, 303-334.

Hartig, Otto. Die Gründung der Münchener Hofbibliothek durch Alberchť V und Johann Jakob Fugger. Munich, 1917. (Abhandlungen der K. Bayerische Akademie der Wissenschaften. Philosohische-Philologiche und historiche Klasse, XXVIII< 3)

Hartmann, Karl J. and Füchsel, Hans, eds. Geschichte der Göttinger Universitäts-Bibliotheke. Verfasst von Göttinger Bibliothekaren. Göttingen, 1937.

Hartwig, Otto. "Karl August Barack," ZfB XVII (1900), 542-544.

----------- Schema des Realkatalogs der Universitätsbibliothek zu Halle. Leipzig, 1888. (Beithefte zum ZfB, 3).

Hauck, Albert. Kirchengeschichte Deutschlands. 3rd & 4th ed. Leipzig, 1929. See especially Vol. I and VI.

Hausmann, Sebastian. Die Kaiserliche Universitäts-und Landesbibliothek in Strassburg. Strassburg, 1895.

Heberdey, Rudolf. "Vorläufiger Bericht über die Granunge in Ephesus, 1904," Jahreshefte des österreichischen aechäologischen Instituts in Wien VIII (1905), Beiblatt, 61-80.

Heeren, Arnold H. L. Christian Gottlob Heyne. Gottingen, 1813.

Heiberg, Johan L. "Bobbio," Nordisk Tidskrift för Bok- och Biblioteksväsen V (1918), 112-138.

Heinemann, Otto von. Die Herzogliche Bibliothek zu Wolfenbüttel. 2nd ed. Wolfenbüttel, 1894.

The Hellenistic Age; Aspects of Hellenisitc Civilization. Cambridge, 1923.

Herramann, Max. Albrecht von Eyb und die Frühzeit des deutschen Humansimus. Berlin, 1893.

---------- Die Reception des Humanismus in Nürnberg. Berlin, 1898.

Hessel, Alfred. "Heyne als Bibliothekar," ZfB XLV (1928), 455-470.

---------- Leibniz und die Anfänge der Göttinger Bibliothek. Göttingen, 1924. (Vorarbeiten zur Geschichte der Göttinger Universität und Bibliothek, III)

Heuser, Emil, Beiträge zur Geschichte der Universitätsbibliothek Giessen. Leipzig, 1891. (Beihefte zum ZfB, 6).

Hevesy, André de. La bibliothèque du roi Matthias Corvin. Paris, 1923.

Hilgers, Joseph. "Zur Bibliothek Nikolaus' V," ZfB XIX (1902), 1-11.

Hill, Richard S. "The Former Prussian State Library," Music Library Association Notes III (1945/46), 327-350, 404-410.

Hilsenbeck, Adolf. "Eine Denkschrift Aretins," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 153-161.

---------- "Martin Schrettinger und die Aufstellung in der Kgl. Hof- und Staatsbibkliothek München," ZfB XXXI (1914), 407-433.

Himmelbaur, J. "Eduard Reyer," Blätter für Volksbibliotheken und Lesehallen XVI (1915), 1-4.

Hirsche, Felix E. "The Scholar as Librarian; to the Memory of Adolf von Harnack," LQ IX (1939), 299-320.

Hirschfeld, Otto. Die kaiserlichen Verwaltungsbeamten bis auf Diocletian. 2nd ed. Berlin, 1905.

Hirsching, Friederich K.G. Versuch einer Beschreibung sehenswürdiger Bibliotheken Teutschlands, nach alphabetischer Ordnung der Oerten. Erlangen, 1786-1791.

Hoecker, Rudolf. "Zum undertjährigen Bestehen der Universitätsbibliothek zu Berlin." ZfB XLVIII (1931), 105-113.

Hörle. Georg H. Frühmittelalterliche Mönchs- und Klerikerbildung in Italien. Feeiburg i.Br., 1914. (Freiburger theologische Studien, XIII)

Hoffmann, Friedrich L. "Christoff Hendreich," Serapeum XXIX (1868). 257-266.

Hoffmann von Fallersleben, August H. "Universitäts-Bibliotheken und ihre Verwaltung," Serapeum I (1840), 3-8.

Hofmann, Walter and Erdberg, Robert von. "Die Lausteiner Tagung," Hefte für Büchereiwesen IX (1924-25), 269-289.

Hortaschansky, Adalbert, Die Königliche Bibliothek zu Berlin, ihre Geschichte und ihre Organisation. Berlin, 1908.

Hoalette, William D. "Parish Libraries and the World of the Reverend Thomas Bray," LQ IV (1934), 588-609.

Hulth, Johan M. "Upsala Universitets Bibliotek," Nordisk Tidskrift för Bok-och Biblioteksväsen VIII (1921), 225-230.

Ihm. Max. "Die Bibliotheken im alten Rom," ZfB X (1893), 513-532.

Inter American Bibliographical and Library Association. Proceedings. New York, 1938-1940.

International Federation of Library Associations. Répertoire des associations de bibliothécaries membres de la Fédération Internationale. La Haye, 1938.

----------- "Report of the Sub-Committee on Uniform Catalog Rules," actes du Comité International des Bibliothèques X (1938), 55-69.

International Institute of Intellectual Cooperation. Mission sociale et intellectuelle des bibliothèque populaires; son organisation, ses moyens d'action. Paris, 1937.

----------- Le rôle et la formation du bibliothécaire. Paris. 1935.

Italy, Direzioe Generale delle Accademie e Biblioteche. Le accademie e le biblioteche d'Italia nel sessennio 1926/27-1931/32. Rome, 1933.

Italy, Ministero dell'Educazione Nazionale. Le biblioteche governative italiane nel MDCCXCVIII. Rome, 1900.

Jacobs, Emil. "Eine Instruktion Noccolò Niccolis für die Durchsuchung deutscher Klöster nach Handschriften," Wochenschrift für kalssische Philologie XXX (1913), 701-702.

----------- "Neue Forschungen über antike Bibliotheksgebäude," ZfB XXIV (1907), 118-123. Cf. also ibid. XXVI (1909), 31-33.

Jaerger. Werner, Aristotle; Fundamentals of the History of his Development. Oxford, 1934.

James, Montague R. The Ancient Libraries of Canterbury and Dover. Cambridge, 1903.

Joachimsohn, Paul. "Aus der Bibliothek Sigismund Gossembrots," ZfB XI (1894), 249-268, 297-307.

Joeckel, Carleton B. The Government of the American Public Library. Chicago, 1935.

----------- Library Service. Washington, 1938. (Advisory Committee on Education. Staff Study no. 11).

----------- and Carnovsky, Leon. A Metropolitan Library in Action; a Survey of the Chicago Public Library. Chicago, 1940.

Johnson, Alvin. The Public Library - a People's University, New York, 1938.

Johnston, William D. History of the Library of Congress. Vol. I, 1800-1864. Washington, 1904.

Jourdain, Abbé. "La Bibliothèque du Roi au début du règne de Louis XV (1718-1736); journal de l'abbé Jourdain, secrétaire de la Bibliothèque, publié par Henri Omont," Mémoires de la Société de l'Historie de Paris et de l'Isle de France XX (1893), 207-294.

Juchhoff, Rudolf. "Englische Bibliotheken)," ZfB XLII (1925), 46-51.

Judeich, Walther. Topographie von Athen. Munich, 1905. (Handbuch der klassischen Alterumswissenschaft 3, II, 2).

Jürgens, Adolph. "Skandinavische Bibliotheken," ZfB XXXIX (1922), 208-213; XLII (1925), 183-189.

Juntke, Fritz. "Magazinierung der toten Literature," ZfB XLVIII (1931), 391-421, 565.

Justi, Karl. Winckelmann und seine Zeitgenossen. 3rd ed. Vol. I. Leipzig, 1923.

Kaerst Julius. Geschichte des Hellenismus. 2nd ed. Leipzig, 1926-1927.

Karlsruhe. Badische Landesbibliothek. Die Reichenauer Handschriften; beschrieben und erläutert von Alfred Holder. Leipzig, 1906-1918, (Handschriften der Grossherzoglich badischen Hof- und Landesbibliotthek in Karlsurhe V-VII)

Kelchner, Ernst. "Eine Bibliotheksordunung aus dem Jahre 1259," ZfB I (1884), 307-313.

Keller, Ferdinand. bauriss des Klosters St. Gallen vom Jahre 820. Zurich, 1844. Cf. Alfons

Dopsch, Wirtschaftsentwicklung der Karolinger, vornehmlich in Deutschland, 2nd ed. (Weimar, 1921-22), I, 100-101.

Kenyon, Frederick G. Books and Readers in Ancient Greece and Rome. London, 1935.

---------- Libraries and Museums. London, 1930.

Keogh, Andrew, "English and American Libraries; a Comparison," Public Libraries VI (1901), 388-395.

Ker. Neil R. Medievial Libraries of Great Britain, a List of Surviving Books. London, 1941. (Royal Historical Society Guides and Hand-books, no. 3).

Kibre, Pearl. The Library of Pico della Mirandola. New York, 1936.

Klette, Anton. Die Selbständigkeit des bibliothekarischen Berufes in Deutschland als Grundlage einer allgemeinen Bibliotehsereform. Jubiliäums-Ausgabe. Marburg. 1897.

Knod, Gustay C. Aus der Bibliothek des Beatus Rhenanus. Strassburg, 1889. (Sélestat, Alsace, Bibliothèque Municipale. Die Stadtbibliothek zu Schlettstadt. Festschrift zur Einweihung des neuen Bibliotheksgebäudes am 6. Juni 1889. 2. Buch).

Koch, Theodore W. "The Bibliothèque Nationale," LJ XXXIX (1914), I, 339-350, 419-430.

---------- "The Bodleian Library at Oxford," LJ XXXVIII (1913), II, 499-509, 547-556.

---------- "The Imperial Public Library, St. Petersburg," LJ XL (1915), I, 5-23, 93-108.

König, Erich. Peutingerstudien. Freiburg i.Br., 1914. (Studien und Darstellungen aus dem Gebiete der Geschichte, IX. 1/2).

Königsberg. Staats- und Universtätsbibliothek. Die Silberbibliothek Herzog Albrechts von Preussen und seiner Gemahlin Anna Maria. Festgabe der Königlichen und Universiätsbibliothek Königsberg i/Pr. zur 350-jahrigen Jubelfeier der Albertus-Universität. Bearb. von. P. Schwenke... und K. Lange. Leipzig. 1894.

Kohlfeldt. Gustav. "Zur Geschichte der Büchersammlungen und Büchersammlungen und des Bücherbesitzes in Deutschland." Serapeum XXVI (1865), 113-121.

Kohl, Johann G. "Etwas über die Geschichete der Stadtbibliothek der freien Stadt Bremen." Serapeum XXVI (1865), 113-121.

Kortum, Albert. "Anlage und Einrichtung von Bibliotheken." Allgemeine Bauzeitung XLIX (1884), 49-52, 57-64.

---------- "Bibliotheken," in Handbuch der Architekture, 2nd ed., Teil 4, Bd. VI, Heft 4, p. 53-218.

Kramm, Heinrich. Deutsche Bibliotheken unter dem Einfluss von Humanismus und Reformation. Leipzig. 1938. (Beihefte zum ZfB. 70).

Krassovsky, Dimitry M. "Bibliographical Works in Russia," LQ IV (1934). 449-466.

Kreis, Friedrich. "Wilhelm von Humboldt und die Bibliotheken." ZfB LIII (1936), 196-209.

Kraus, Franz X. "Zur Geschichte des Bücherwesens im 15. Jahrhundert," Publikationen des Börsenvereins der deutschen Buchhändler, N.F. VII (1882), 250-252.

Kremer, Alfred von. Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Vol. II. Vienna, 1877.

Krestschmayr, Heinrich. Geschichte von Venedig. Vol. II. Gotha, 1920.

Krieger, ogdan. Frederick the Great and his Books. New York, 1913.

Krüss, Hugo A. Die Stadtbibliothek zu Berlin als Zentralbibliothek. Berlin, 1928.

Krumbacher, Karl. Geschichte der by zantinischen Literatur von Justinian bis zum Ende des Oströmischen Reiches (527-1453). 2nd ed. Munich, 1897. (Handbuch der klassischen Altertumswissenschaft, IX, 1).

Künstle, Karl. Reichenau, seine berühmteste Äbte, Lehrer und Theologen. Freiburg i.Br., 1924.

Kuhnert, Ernst. "Die Nova Bibliotheca des Herzog Albrecht," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 209-219.

Kummer, Rudolf, "Das wissenschaftliche Bibliothekswesen im nazionalsozialistishcen Deutschland," ZfB LV (1938), 399-413.

Kurpiun, Robert. "Der Stand der Volksbüchereien in Oberschlesien," Blätter für Volksbibliotheken und Lesehallen VI (1905). 113-116.

Ladewig, Paul. Politik der Bücherei. 3rd ed. Leipzig, 1934.

Lambeck, Peter. Commentarii de augustissima Bibliotheca Caesarea Vindobonesi liber I-VIII> Vienna, 1665-1679.

Lampros, Spyridon P. Die Bibliotheken der Klöster des Athos. Bonn, 1881.

---------- Catalogue of the Greek Manuscripts on Mount Athos. Cambridge, 1895-1900.

Lanciani, Rodolfo A. The Ruins and Excavations of Ancient Rome. Boston, 1897.

Lange, Hans O. "Über einen Katalog der Erfurter Universitätsbibliothek aus dem 15. Jahrhundert," ZfB II (1885), 277-287.

Langfeldt. J. "Die Entwicklung der Volksbüchereien in Dänemark," Bücherei und Bildungspflege IV (1924), 87-91.

Learned, William S. The American Public Library and the Diffusion of Knwoledge. New York, 1924.

Ledos, Eugène G. Historie des Catalogues des livres imprimés de la Bibliothèque Nationale. Paris, 1936.

Lehmann, Paul. Corveyer Studien. Munich, 1919. (Abhandlungen der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-philologische und historische Klasse, XXX, 5).

---------- Iohannes Sichardus und die von ihm benutzten Bibliotheken und Handschriften. Munich, 1911. (Quellen und Untersuchungen für lateinische Philologie des Mittelaters, IV, 1).

---------- "Nachrichten von der Sponheimer Bibliothek des Abtes Johannes Tritheimus," in Hermann Grauert zur Vollendung des 60. Lebensjahres gewiidment von seinen Schülern (Freiburg i.Br., 1910), p. 205-220.

Lehmann-Haupt, Hellmut, et. al. The Book in America; a History of the Making, the Selling, and the Collecting of Books in the United States, New York, 1939.

Leidinger, Georg. "Aus der Geschichte der K. Hof- und Staatsbibliothek zu München," ZfB XXIX (1912), 339-349.

Leipzig. Deutsche Bücherei. Denkschrift zur Einweihungsfeier der Deutschen Bücherei, Leipzig, 1916.

---------- Deutsche Bücherei des Börsenvereins der deutschen Buchhändler zu Leipzig: Urkunden und Beiträge zu ihrer Begrundung und Entwicklung

Leipzig, 1915.

---------- Die Deutsche Bücherei nach dem ersten Jahrzehnt ihres Bestehens, Rückblicke und Ausblicke. Leipzig, 1925.

Leistle, David, "Über Klosterbibliotheken des Mittelalters," Studien und Mittheilungen zur Geschichte des Benediktiner-Ordens und seiner Zweige XXXVI (1915), 197-228.

Lemaitre, Henri. Historie du dépôt légal. Ire partie (France). Paris, 1910.

---------- Léopold Delisle," Zeitschrift des österreichischen Vereins für Bibliothekswesen I (1910), 113-121.

---------- "Les richesses des bibliotheques municipales de France," ZfB L (1933), 94-106.

Leo, Friedrich. "Heyne," in Festschrift zur Feier des hundertfünfzigjährigen Bestehenes der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, p. 153-234.

Le Prince, Nicolas T. Essai historique sur la Bibliothèque du Roi. Paris, 1782.

Lerche, Otto. "Das älteste Ausleihverzeichnis einer deutschen Bibliothek," ZfB XXVII (1910), 441-450.

---------- Goethe und die Weimarer Bibliothek. Leipzig, 1929.

Leroy, Emile. Guide pratique des bibliothèques de Paris. paris, 1937.

Lesne, Emile. Les livres, "Scriptoria," et bibliothèques du commencement du VIIIe à la fin du XIe siècle. Lille, 1938. (Historie de la propriété ecclésiastique en France, IV).

Lester, Robert M. Forty Years of Carnegie Giving. New York, 1941.

Leyh, Georg. "Aus der älteren Bibliothekspraxis," in Beiträge... Schwenke gewidmet, p. 159-174.

---------- "Chr. F. Heynes Eintritt in die Göttinger Bibliothek," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 220-228.

---------- Die deutschen wissenschaftlichen Bibliotheken nach dem Krieg. Tübingen, 1947.

---------- "Das Dogma von der systematischen Aufstellung," ZfB XXIX (1912), 241-259; XXX (1913), 97-136.

---------- "Friederich Adolf Ebert zum 100-jährigen Todestag," ZfB LI (1934), 599-606.

---------- "Die Gesetze der Univrsitätsbiblitohek zu Göttingen vom 28. Oktober 1761," ZfB XXXVII (1920), 1-30.

---------- "Die wissenschaftliche Stadtbibliothek. Tübingen, 1929.

"Libraries," Encyclopedia Britannica. 11th ed. Vol. XVI.

Lindsay, Wallace M. "The Bobbio Scriptorium: its Early Minuscule Abbreviations" ZfB XXVI (1909), 293-306.

---------- "The (Early) Lorsch Scriptorium," Palaeographia latina III (1924), 5-48.

Linneborn, Johannes. "Die Reformation der westfälischen Benedictinerklöster im 15. Jahrhundert durch die Bursfelder Congregation," Studien und Mitteilungen aus den Benedictiner- und Cistercienser-Order XX (1899), 266-314, 531-570; XXI (1900), 53-68, 315-332, 554-578; XXII (1901), 48-71, 396-418.

Lipsius, Justus. A Brief Oultine of the History of Libraries. Chicago, 1907. (Literature of Libraries in the Seventeenth and Eighteenth Centuries, V).

Löffler, Karl. Geschichte der Württembergischen Landesbiblithek. Leipzig, 1923. (Beihefte zum ZfB, 50).

Löffler, Karl. Geschichte der Württembergischen Landesbiblithek. Leipzig, 1923. (Beithefte zum ZfB, 50).

---------- Deutsche Klosterbibliotheken. 2nd ed. Bonn, 1922. (Bücherei der Kultur und Geschichte, 27).

---------- "Die Fuldaer Klosterbibliothek," Zeitschrift für Bucherfreunde, N.F.X (1918/19), 194-202.

----------- Kölnische Bibliotheksgeschichte in Umriss. Cologne, 1923.

----------- "Papst Nikolaus V. als Brüder vom gemeinsamen Leben,: Zeitschrift für Bücherfreunde XI (1907/08), II, 286-293.

Loserth, Johann. "Der älteste Katalog der Prager Universiäts-Bibliothek," Mitteilungen des Institus für österreichischen Geschichtsforschung XI (1890), 301-318.

Loubier, Hans. Der Bucheinband von seinen Anfängen bis zum Ende des 18. Jahrhunderts. 2nd ed. Leipzig, 1926. (Monographien des Kunstgewerbes, XXI/XXII).

Lowe, Elias A. The Beneventan Script; a History of the South Italian Minuschule. Oxford, 1914.

Lydenberg, Harry M. History of the New York Public Library. New York, 1923.

----------- John Shaw Billings. Chicago, 1924.

Lyle, G.R. "A Royal Book-Collector," LQ III (1933), 180-191.

Lynd, Robert S. and Helen M. Middletown. New York, 1929.

----------- Middletown in Transition. New York, 1937.

Maass, Ernest. "Leibnitz' Contribution to Librarianship," College and Research libraries IV (1942/43), 245-249.

McColvin, Lionel R. The Public Library System of Great Britain. London, 1942.

Mackensen, Ruth s. "Arabic Books and Libraries in the Umaiyad Period," American Journal of Semitic Languages and Literatures LII (1935/36), 245-253; LIII (1936/37), 239-250; LIV (1937), 41-61.

----------- "Background of the History of Moslem Libraries," American Journal of Semitic Lanaguages and Literatures LI (1934/35), 114-125; LII (1935/36), 22-23, 104-110.

MacLeish, Archibald. "The Reorganization of the Library of Congress, 1939-44," LQ XIV (1944), 277-315. Reprinted in the Annual Report of the Librarian of Congress... 1945.

Macleod, Robert D. Country Rural Libraries; their Policy and Organization. London, 1923.

McMurtrie, Douglas C. The Book; the Story of Printing and Bookmaking. New York, 1943.

Madan, Falconer. The Bodleian Library at Oxford. London, 1919.

----------- Books in Manuscript. 2nd ed. London, 1927.

Maderus, J.J. "De scriptis et bibliothecis antediluvianis," in his De bibliothecis atque archivis virorum clarissimorum libelli et commentationes. 2nd ed. Helmstedt, 1702.

Mancini, Griolamo. Giovanni Tortelli, cooperatore de Niccolò V nel fondare la Biblioteca Vaticana, con appendice di Giovanni Mercati. Florence, 1921.

Manitius, Maximilianus. Handschriften antiker Autoren in mittlealterlichen Bibliothekskatalogen. Leipzig, 1935. (Beihefte zum ZfB, 67).

----------- Geschichte der lateinischen Literature des Mittlealters. Munich, 1911-1923. (Handbuch der kalssichen Altertumsiwissenschaft, IX, 2).

Marin, Eugène. Les moines de Constantinople depuis la fondation de la ville jusque'à la mort de Photius (330-898). Paris, 1897.

Martin, Lowell. "The American Public Library as a Social Institution," LQ VII (1937), 546-563.

Marx, Jakob. Verzeichnis der Hass.- Sammlung des Hopsitals zu Cues bei Bernkastel a. Mosel. Trier, 1905. Introduction.

Mazzinati, Giuseppe. La biblioteca dei rei d'Aragona in Napoli. Rocca S. Casciano, 1897.

Mearns, David C. The Story up to Now; the Library of Congress, 1800-1946. Washington, 1947.

Medical Library Association. A Handbook of Medical Library Practice. Chicago, 1943.

Meier, Gabriel. Heinrich von Ligerz. Bibliothekar von Einsiedeln im 14. Jahrhundert. Leipzig, 1896. (Beihefte zum ZfB, 17).

---------- "Die Schweizer Landesbibliothek (Bibliothèque Nationale Suisse)", ZfB XIX (1902), 165-172.

Meiners, Christoph. Göttingische akademische Annalen. Vol. I. Hannover, 1804.

Meinsma, Koenraad O. Middleeuwsche Bibliotheken. Zutphen, 1903.

Meinsser, Bruno. Babylon und Assyrien. Vol. II. Heideblerg, 1925. (Kulturgeschichtliche Bibliothek... 1. Reihe: Ethnologische Bibliothek...4).

---------- "We hat Assurbanipal seine Bibliothek zusammengebracht?" in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 244-248.

Mélanges offerts à M. Marcel Godet... à l'occasion de son soixantième anniversaire. Neuchatel, 1937.

Menant. Joachim. La biblothèque du palais de Ninève. Paris, 1880.

Mercati, Giovanni. "Il catalogo della biblioteca di Pomposa," Studi e documenti di storia e diritto XVII (1896), 143-177.

Merryweather. Frederick S. Bibliomania in the Middle Ages. New ed. London, 1933.

Metcalf, Keyes D. "The New England Deposit Library," LQ XII (1924), 622-628.

---------- "Some Trends in Research Libraries," in William Warner Bishop; a Tribute, 1941, p. 145-166.

---------- "Captial Growth in University Libraries," Harvard Library Bulletin I (1947), 133-154.

---------- and Williams, Edwin E. "Proposal for a Division of Responsiblity among American Libraries in the Acquisition and Recording of Library Materials," Coolege and Research Libraries VI (1944), 105-109.

---------- et. al. The Program of Insturction in Library Schools. Report of a Study Financed by the Carnegie Corporation and Made for the University of Illinois Library School on the Occasion of its Fiftieth Anniversary. Urbana, 1943.

Meyer. Adolf B. Amerikanische Bibliotheken und ihre Bestrebungen. Berlin, 1906.

Meyer, Conrad Ferdinand. "Plautus in the Convent," in German Classics of the Nineteenth Century, ed. Kuno Francke, Vol. XIV.

Meyer, Ernst. "Einige Mitteilungen über die Volksbibliotheken Schwedens," Blätter für Volksbibliotheken und Lesehallen VIII (1907), 109-113.

Meyer, Hermann. "Mittelaterliche Bibliotheksordnungen fur Paris und Erfurt," Archiv für Kulturgeschichte XI (1914), 152-165.

Meyer, José. "The Bibliothèque Nationale During the Last Decade: Fundamental Changes and Construcitive Achieveement," LQ XII (1942), 805-826.

Meyer, Kuno. Learning in Ireland in the Fifth Century and the Transmission of Letters. Dublin, 1913.

Mez, Adam. The Renaissance of Islam. London, 1937.

Michaelis, Johann D. Raisonnement über die protestantishcen Universitäten. Teil 4. Frankfurt, 1776.

Middeldorpf, Heinrich. Commentatio de insitutis literariis in Hispania quae autores habuerunt. Göttingen, 1810.

Milan. Biblioteca Ambrosiana. La Bibliothèque Ambrosienne. Paris, 1923. (A translation of Guida sommaria... della Biblitoeca Ambrosiana... Milan, 1907).

Milkau, Fritz. "Die Bibliotheken," in Die Kulture der Gegenwart, 2nd ed... I. 1.

----------- Geschichte der Bibliotheken im alten Orient. Leipzig, 1935.

----------- ed. Handbuch der Bibliothekswissenschaft. ~Leipzig, 1931-1941.

----------- Die internationale Bibliographie der Natruwissenschaften nach dem Plane der Royal Society. Berlin, 1899.

----------- Die Königliche Universitäts-Bibliothek zu Breslau. Breslau, 1911.

----------- "Léopold Delisle," ZfB XXVII (1910), 385-401.

----------- Centralkataloge und Titeldrucke. Leipzig, 1898. (Beihefte zum ZfB, 20).

Minto, John. A History of the Public Library Movement in Great Britian and Ireland. London, 1932.

Molhuysen, Philip C. Geschiedenis der Universiteits-Bibliothek te Leiden. Leyden, 1905.

Mone, Franz J. "Bibliothek zu Alzey," Zeitschrift für diie Geschichte des Oberrheins XIV (1862), 143-147.

----------- "Bibliotheken (Bibliothek zu Alzey)," Anzeiger für Kunde der teutschen Vorzeit VI (1837), 255.

Monnier, Philippe. Le Quattrocento; essai sur l'historie du XVe siècel italien. Paris, 1901.

Mortet, Charles. "The Public Libraries of France National Communal, and University," Library Association Record, n.s. III (1925), 145-159.

Mortreuil, Théodore. La Bibliothèque Nationale: son origine et ses accrobssements jusqu'à nos jours. Paris, 1878.

Mosel, Ignzz F. von. Geschichte der Kaiserl, Königl. Hofbibliothek zu Wien. Vienna, 1835.

Müller, K.K. "Neue Mitteilungen über Janos Laskaris und die Mediceische Bibliothek," ZfB I (1884), 333-412.

Müntz, Eugène and Fabre, Paul. La bibliothèque du Vatican au XVe siècle d'après des documents inédits. Paris, 1887. (Bibliothèque des Ecoles Fmçaises d'Athènes et de Rome, XLVIII).

Müntz, Eugène. La biblitohèque du Vatican au XVIe siècle. Paris, 1886.

Munich Bayerische Staatsbibliothek. Catalongus codicum manu scriptorum Bibliothecae Regiae Monacensis. Munich, 1866-1915.

Munn, Ralph. Conditions and Trends in Education for Librarianship. New York, 1936.

Munthe, Wilhelm. "Die bibliothekarische Ausbildung in Norwegen," ZfB L (1933), 177-181.

----------- American Librarianship from a European angel. Chicago, 1939.

----------- "The Library History of Norway," LJ XLV (1921), 19-24, 57-62.

----------- "Die neuesten amerikanischen Bibliotheksbauten," ZfB XLVIII (1931), 447-478.

Naudé. Gabriel. Instructions Concerning Erecting of a Library Presented to My Lord the President De Mesme.. interpreted by Jo. Evelyn. Cambrigde, 1903. (Reprint of the 1661 edition).

----------- News from France; or a Decription of the Library of Cardinal Mazarin, preceded by The Surrender of the Library. Chicago. 1907. (Literature of Libraries in the Seventeenth and Eighteenth Centuries, VI).

Neuburger, Otto. Official Publications of Present-Day Germany, Washington, 1942.

Neveux, Pol L. and Dacier, Emile. Les richesses des bibliothèques provinciales de France. Paris, 1932.

Nicholson, Reynold A. A Literary History of the Arabs. 2nd ed. Cambridge, 1930.

Niederländisches Bibliothekswesen; eine Übersicht in acht Aufsätzen. Utrecht, 1914.

Niepce, Léopold. Les biblitohèques anciennes et modernes de Lyon. Lyon, 1876.

Nörrenberg, Constantin. Die Bücherhallenbewegung im Jahre 1897. Berlin, 1898. (Vorträge und Aufsätze aus der Comenius-Gesellschaft. VI, 2).

Nolhac, Pierre. Pétrarque et l'humanisme. New ed. Paris, 1907. (Bibliothèque de la renaissance. Nouv. sér. I-II).

Norris, Dorothy M. A History of Cataloguing and Cataloguing Methods, 1100-1850. London, 1939.

Ogilvy, J.D.A. Books Known to Anglo-Latin Writers from Adelhelm to Alcuin (670-804). Cambrigde, 1936. (Medieval Academy of America. Studies and Documents, 2).

Ogle, John J. The Free Library. London, 1897. (The Library Series, I).

Omont, Henri. "La bibliothèque de Ferdinand Ier d'Aragon, Roi de Naples (1481)," Bibliothèque de l'Ecole de Chartes LXX (1909), 456-470.

---------- La Collection Moreau. paris, 1891.

Oppenheim, Gustav. Christoff Hendreich, churfürstlich brandenburgischer Rat and Bibliothekar. Berlin, 1904.

Ornstein, Martha. The Role of Scientific Societies in the 17th Century. Chicago, 1928.

Osborn, Andrew D. "Books for the Deposit Library," Harvard University Library Notes IV (1942), 80-83.

---------- "The Crisis in Cataloging," LQ XI (1941), 393-411.

Otten. Bennata. Die deutschen Volksbibliotheken und Lesehallen in Städten über 10.000 Einwohner. Leipzig, 1910. (Ergänzungsheft der Blätter für Volksbibliotheken, II).

Oxford University. Bodleian Library. Pietas Oxoniensis, in Memory of Sir Thomas Bodley, Knt., and the Foundation of the Bodleian Library. Oxford, 1902.

---------- Trecentale Bodleianum; a Memorial Volume for the Three Hundredth Anniversary of the Public Funeral of Sir Thomas Bodley. Oxford 1913.

painter, Franklin V.N. Luther on Education. Philadelphia. 1890.

Paris. Biblitohèque Nationale. La Bibliothèque Nationale. Paris. 1907.

---------- Catalogue des livres imprimez de la Bibliothèque du Roy. Vol. I. Introduction. Paris, 1739.

---------- Catalogue général des livres imprimés. Vol. I. Introduction. Paris, 1897.

Partridge, Robert C.B. The History of the Legal Deposit of Books Throughout the Biritish Empire. London. 1938.

Pastor, Ludwig. History of the Popes, from the Close of the Middle Ages. London, 1891-1914.

Perels, Ernst. Nikolaus I. und Anastasius Bibliothecarius; ein Beitrag zur Geschichte des Papstums im 9. Jahrhundert. Berlin, 1920.

Perlbach, Max. Versuch einer Geschicthe der Universiätsbibliothek zu Greifswald. Greifswald, 1882.

Perrot, Georges. "Notice sur la vie et les travaux de Léopold-Victor Delisle," Bibliothèque de l'Ecole de Chartes LXXIII (1912), 1-72.

Peschek, paul. "Die Entwicklung des neueren Bibliotheksbaues," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 264-280.

Petrarca, Francesco. Phisicke against Fortune, as well Prosperous as Adverse... Englished by Thomas Twyne. London, 1579.

petzholdt, Julius. Adressbuch der Bibliotheken Deutschlands, mit Einschluss von Oesterreich-Ungarn und der Schweiz. Dresden, 1875.

---------- "Preusker, ein Veteran der Bibliothekswissenschaft," Neuer Anzeiger für Bibliographie und Bibliothekswissenschaft, 1870, p. 69-75.

Pfeiffer, H.F. "Roman Library at Timgad," Memoirs of the American Academy in Rome IX (1931), 157-165.

Pick, Hermann. "Der unvollendet gebliebene Bibliotheksbau des Grossen Kurfusten," in Beitrage... Schwenke gewidmet, p. 211-215.

Pietschmann, R. "Bibliotheken," in Handwörterbuch der Staatswissenschaften, 4th ed., Vol. II.

Pittoni, Laura, La libraria di S. Marco. Pistoia, 1903.

Poland, Franz. "Oeffentliche Bibliotheken in Griecheland und Kleinasien," in Historische Unterseuhungen Ernst Förstemann zum fünfzigjährigen Docotrsjubiläum gewidment von der Historischen Gesellschaft zu Dreesden (Leipzig, 1894), p. 7-14.

Potter, Alfred C. The Library of Harvard University; Descriptive and Historical Notes. 4th ed. Cambridge, 1934.

Pratt, R.A. "Chaucer and the Visconti Libraries," ELH; a Journal of English Literary History VI (1939), 191-200.

Predeek, Albert. A History of Libraries in Great Britain and North America, tr. by Lawrence S. Thompson. Chicago, 1947.

---------- Das moderne englische Bibliothekswesen. Leipzig, 1933. (Beihefte zum ZfB, 66).

The Prussian Instruction; Rules for the alphabetical Catalogs of the Prussian Libraries, Tranlated from the second edition... by Andrew D. Osborn. Ann Arbor, 1938.

Pütter, Johann S. Versuch einer academischen Gelehreten-Geschichte von der Georg-Augustus-Universität zu Göttingen. Göttingen, 1765-1838.

Putnam, George H. Books and Their Makers in the Middle Ages. New York, 1896-1897.

Quentin-Bauchart, Ernest. La bibliothèque de Fontainebleau et ses livres des dernier Valois à la Bibliothèque Nationale (1915-1989). Paris, 1891.

Rabbow, Paul. "Zur Geschichte des urbkundlichen Sinns," Historische Zeitschrift CXXVI (1922), 58-79.

Rabe, Hugo. "Konstantin Laskaris," ZfB LXV (1928), 1-7.

Radlach, O. "Die Bibliotheken der evangelischen Kirche in ihrer rechtsgeschichtlichen Entwicklung," ZfB XII (1895), 153-173.

Rae, Walter S. C. Public Library Administration. London, 1913.

Rashadall, Hastings. The Universitites of Europe in the Middle Ages. New ed. Oxford, 1936.

Rawlings, Gertrude B. The British Museum Library. London, 1916.

Reece, Ernest J. Programs for Library Schools. New York, 1943.

Reichmann, Felix. "The Book Trade at the Time of the Roman Empire," LQ VIII (1938), 40-76.

Ribbeck, Otto. Friedrich Wilhelm Ritschl; ein Beitrag zur Geschichte der Philologie. Leipzig, 1879-1881.

Ribera y Trarragó, Julian, Bibliófilos y bibliotecas en la Espana Musulmana. Saragossa, 1896.

Rice, James V. Gabriel Naudé, 1600-1653. Baltimore, 1939. (The Johns Hopkins Studies in Romance Literatures and Languages, XXXV).

Richard de Bury. Philobilon. London, 1925.

Richardson, Ernest ç. The Beginnings of Libraries. Princeton, 1914.

---------- Biblical Libraries. Princeton, 1914.

Richou, Gabriel. Traité de l'administration des bibliothèques publiques. Paris, 1885.

Richter, Otto L. Topgraphie der Stadt Rom. Munich, 1901. (Handbuch der klassischen Altertumswissenschaft, 3, III, 2).

Rider Fnmont. Melvil Dewey. Chicago, 1944.

---------- The Scholar and the Future of the Research Library. New York, 1944.

Robathan, Dorothy M. "The Catalogues of the Princley and Papal Libraries of the Italian Renaissance," Transactions and Proceedings of the American Philological Association LXIV (1933), 138-149.

Robert, Ulysse. Recueil des lois, décrets, ordonnances, arrêtés, circulaires, etc. concernant les bibliotheques publiques communales, universitaires, scolaries et popularies. paris, 1883.

Roberts, Ethel D. "Notes on Early Christian Libraries in Rome," Speculum IX (1934), 190-194.

Rocholl, Rudolf. Bessarion; Studie zur Geschichte der Renaissance. Leipzig, 1904.

Rockinger, Ludwig. "Zum baierischen Schriftwesen im Mittelalter," Abhandlungen der Historischen Klasse der K. Bayerischen Akademie der Wissenschaften XII (1872/73), I, 1-72; II, 167-230.

Roethe, Gustav. "Göttingische Zeitungen von gelehreten Sachen," in Festschrift.... der K. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, p. 567-688.

Roland-Marcel, Pierre. R. L'évolution des bibliothèques en France. Paris, 1929.

Romanis, Humbertus de. Liber de instructione officialum Ordonis Fratrum Praedicatorum," in L. Holstenius, Codex regularum monasticarum et canonicarum quas ss. parters monachis, canonicis et virginibus sanctimonialibus servandaas praescripserunt, Vol. IV (Augusburg, 1759), p. 150-218.

Rome. Biblioteca Angelica. Bibliotheca Angelica litteratorum litterarumque amatorum commoditati dicata Romae in Aedibus Augustinianis. Rome, 1608.

Rosse, Giovanni B. "Introduction" to Enrico Stevenson, Codices Palatini latini Bibliothecae Vaticanae, Vol. I. Rome, 1886.

Roth, Friedrich. Willibald Pirkheimer, ein Lebensbild aus dem Zeitalter des Humanismus und der Reformation. Halle, 1887. (Schriften des Vereins fur Reformationsgeschichte, 5, IV, 21).

Rother, Karl. "Die Philologie in den Realkatalogsystmen seit 1600 mit besonderer Berücksichtigung der klassischen Altertumswissenschaft," in Aufsätze Fritz Milkau gewidmet, p. 300-320.

Rott, Hans. Ott Heinrich und die Kunst. Heidelberg, 1905. (Mitteilungen zur Geschichte des Heidelberger Schlosses, V, 1/2).

Rózycki, K. von. "Die kaiserliche Bibliothek in St. Petersburg," ZfB (1900), 497-505.

Ruland, Anton, "Zur Geschichte der alten, nach Rom entführten Bibliothek zu Heidelberg," Serapeum XVII (1856), 185-191.

---------- "Die Vorschriften der Regular-Cleriker über das Anfertigen oder Abschreiben von Handschriften," Serapeum XXI (1860), 183-192.

Runge, Sigismund. "Some Recent Developments in Subject Cataloging in Germany," LQ XI (1941), 49-50.

Ryan, John, Irish Monasticism. London, 1931.

Sabbadini, Remigio. Le scoperte dei codici latini e greci ne' secoli XIV e XV. Florence, 1905-1914.

Sachse, Arnold. Friedrich Althoff und sein Werk. BErlin, 1928.

Sackur, Ernst. Die Cluniacenser in ihrer kirchlichen und allgemeingeschichtlichen Wirksamkeit, bis zur Mitte des eelften Jahrhunderts, Vol. II. Halle a.S., 1894.

Sainte-BEuve, Charles A. Portraits littéraries (Naudé). 2nd ed. Paris, 1884. Vol. II, p. 467-512, 522-524.

Salamanca, Lucy. Fortress of Freedom; the Story of the Library of Congress. Philadelphia, 1942.

Savage, Erenest A. Old English Libraries; the Making, Collection and Use of Books in the Middle Ages. London, 1911.

---------- The Story of Libraries and Book - Collecting, London, 1909.

Sayle, C. "Annals of Cambrigde University Library," The Library, ser. 3, vol. VI (1915), 38-76, 145-182, 197-227, 308-345.

Schachner, Nathan. The Medieval Universities. New York, 1938.

Scheffen, W. "Zwanzig Jahre 'Grenzbüchereidienst'," Die Bücherei VII (1940), 254-263.

Schildt, A. "Die Hamburger Bücherhalle, 1895-1905," Blätter fur Volksbibliotheken und Lesehallen VIII (1907), 5-11.

Schleimer, Hans. "Der Bibliothekarische Schlagwortkatalog," ZfB XL (1923), 66-97.

Schamarsow, August. Melozzo da Forli; ein Beitrag zur Kunst- und Kulturgeschichte. Berlin, 1886.

Schmidt, Erich. Lessing; Geschichte seines Lebens und seiner Schriften. 4th ed. Vol. II. Berlin, 1923.

Schmidt, Friedrich. Die Pinakes des Kallimachos. Berlin, 1922. (Klassisch-philologische Studien, I).

Schmidt, Otto E. "Die Visconti und ihre Bibliothek zu Pavia," Zeitschrift für Geschichte und Politik V (1888), 444-474.

Schmidt, Philipp. "Die Bibliothek des Dominikanerklosters in Basel," Basler Zeitschrift für Geschichte und Altertumskunde XVIII (1919), 160-254.

Schmidt-Ott, Friedrich. "Althoff und die Bibliotheken," ZfB LVI (1939), 101-254.

Schneider, Georg. Handbuch der Bibliogrpahie. 4th ed. Leipzig, 1930.

---------- Theory and History of Bibliography, tr. by Ralph R. Shaw. New York, 1934.

Schneider, Heinrich. Beiträge zur Geschichte der Universitätsbibliothek Helmstedt. Helmstedt, 1924. (Schriften des Helmstedter Universitätsbundes, I).

Schneider, Karl. "Die Bibliothek Petrarcas und ihre Schicksale," Zeitschrift für Bücherfreunde, N.F.I (1909/10), I, 157-160.

Schnürer, Gustav. Kirche und Kultur im Mittelalter, Paderborn, 1924-1929.

---------- Katholische Kirche und Kultur im 18. Jahrhundert. Paderborn, 1941.

---------- Katholische Kirche und Kultur in der Barockzeit. Paderborn, 1937.

Schottenloher, Karl. "Bamberger Privatbibliotheken aus alter und neuer Zeit," ZfB XXIV (1907), 417-460.

---------- "Schicksale von Büchern und Bibliotheken im Bauernkrieg," Zeitschrift für Bücherfreunde XII (1908/09), II, 391-408.

Schrettinger, Martin. Handbuch der Bibliothekswissenschaft. Vienna, 1834.

---------- Versuch eines vollständigen Lehrbuchs der Bibliothekswissenschaft. Munich, 1829.

Schriewer, Franz. Das ländliche Volksbüchereiwesen. Jena, 1937.

Schubart, Wilhelm. Das Buch bei den Griechen und Römern. Berlin, 1907. (Handbücher der Königlichen Museen zu Berlin, XII).

Schubert, Hans von. Geschichte der christlichen Kirche im Frühmittelalter, Tubingen, 1921.

Schubert, Otto. Geschichte des Barock in Spanien. Erlangen, 1908. (Geschichte der neueren Baukunst, VIII)

Schubring, Paul. "Vespasiano da Bisticci," Mitteilungen des Kunsthistorischen Instituts in Florenz III (1919), 64-70.

Schürmeyer, Walter. Bibliotheksräume aus f'nf Jahrhunderte. Frankfurt, 1929.

Schütz, Géza. "Bibliotheca Corvina," LQ IV (1934), 552-564.

Schultze, Frnst. Freie öffentliche Bibliotheken, Volksbibliotheken und Lesehallen. Dannenberg, 1900.

---------- Volksbildung und Volkswohlfahrt in England. Munich, 1912. (Die Kultur des modernen England in Einzeldarstellungen, II).

Schultze, Vicor. Altchristliche Städte und Landschaften. I: Konstantinopel. Leipzig, 1913.

Schultze, Walther. "Die Bedeutung der iroschottischen Mönche für die Erhaltung und Fortpflanzung der mittelalterlichen Wissenschaft," ZfB VI (1889), 185-198, 223-241, 281-298.

Schulze, Werner. "Die Bibliothek Heinrich von Bünaus," ZfB LII (1935), 337-345.

Schuster, Willhelm. "Neue Aufgaben der wissenschaftlichen Stadtbibliotheken," ZfB LIII (1936), 542-552.

---------- "Das neue deutsche Volksbüchereiwesen," ZfB LIII (1936), 144-154.

---------- "Die Zusammenarbeit der Stadtbibliothek mit den Volksbüchereien," ZfB LV (1938), 547-467.

Schwarber, Karl. Die Entwicklung der Universitätsbibliothek zu Basel. Basel, 1944.

Schwenke, Paul. "Eindrücke von einer amerikanischen Bibliotheksereise," ZfB XXIX (1912), 408-500; XXX (1-17, 49-58.

---------- "Friedrich Althoff," ZfB XXV (1908), 485-489.

---------- "Karl Dziatzko," ZfB XX (1903), 133-137.

Sélestat. Alsace. Bibliothèque Municipale. Die Stadtbibliothek zu Schlettstadt. Festschrift zur Einweihung des neuen Bibliothekgebäudes am 6. Juni 1889. Strassburg, 1889.

Serres de Mesplès, Christian de. Les bibliothèques publiques françaises, leur organisation--leur réforme. Thèse. Montpellier, 1933.

Sforza, Giovanni. La patria, la famiglia e la giovinezza di Papa Niccolo V. Lucca, 1884.

Shelley, Henry C. The Bititsh Museum: its History and Treasures. Boston. 1911.

Shera, Jesse H. Foundations of the Public Library; the Origins of the Public Library Movement in New England, 1629-1855. Chicago, 1949.

Sisson, M.A. "the Stoa of Hadrian at Athens," Papers of the British School at Rome XI (1929), 58-66.

Smith, George. "Gabriel Naudé: a Librarian of the 17th Century," Library Association Record I (1899), 423-431.

Sparn, Enrique. Las bibliotecas con 50,000 y mas volumenes y su distribuctin geografica sobre la tierra. Cordova, 1924. (Academia Nacional de Ciencias, Miscellanea, VIII).

Special Libraries Association. Special Library Resources. New York, 1941.

Spencer, Gwladys. The Chicago Public Library: Origins and Backgrounds. Chicago, 1943.

Stauber, Richard and Hartig, Otto. Die Schedelsche Bibliothek. Ein Beitrag zur Geschichte der itlienischer Renaissance, des deutschen Humanismus und der medizinischen Literature. Freiburg i.Br., 1908. (Studien und Darstellungen aus dem Gebiete der Geschichte, VI, 2/3).

Steenberg, Andreas S. "Die Volksbibliotheken in Dänemark," Blätter für Volksbibliotheken und Lesehllen VII (1906), 117-120; XI (1910), 48-49.

Steiner, Bernard C., ed. Rev. Thomas Bray; his Life and Selected Works Relating to Maryland. Baltimore, 1901.

Stois, Max. "Die neuen Gesetze über die Freistücke im Dritten Reich," ZfB LIV (1937), 313-334.

Streck, Maximilian. Assurbanipal und die letzten assyrischen Könige bis zum Untergang Ninevahs, Leipzig, 1916. (Vorderasiatische Bibliothek, VII, 1).

Streeter, Burnett H. The Chanied Library; a Survey of Four Centuries in the Evolution of the English Library. London, 1931.

Suchier, Wokfram, Kuraze Geschichte der Universitätsbibliothek zu Halle, 1696 bis 1876. Halle, 1913.

Tatham, E.H.R. "The Library of Petrarch," Fornightly Reivew, n.s. LXXIX (1908), 1056-1967.

Taylor, ARcher. Renaissance Guides to Books; an Inventory and Some Conclusions. berkelye, 1945.

Tews, Johannes. Freiwillige Bibldungsarbeit in Deutschland. Die Gesellschaft für Verbreitung von Volksbildung und ihre Wirksameit in den 25 Jahren ihres Bestehens. 1871-1896. Berlin, 1896.

Theele, Jospeh. Die Handschriften des Benediktinerklosters S. Petri zu Erfurt. Leipzig, 1920. (Beihefte zum ZfB, 48).

Theiner, Augustin. Schenkung der Heidelberger Bibliothek durch Maximilian, I, Herzong und Churfürsten von BAyer,nb, an Papst Gregor XV und ihre Versendung nach Rom. Munich, 1844.

Thompson, Alexander H., ed. Bede: his Life, Times, and Writings; Essays in Commemoration of the Twelfth Centenary of his Death. Oxford, 1935.

Thompson, James W, Ancient Libraries. Berkeley, 1940.

----------- The Medieval Library. Chicago, 1939.

Thompson, Reigionald C. and Hutchinson. Richard W. A Century of Exploration at Nibneveh. London, 1929.

Thornton, John L. The Chronology of Librariaship. London, 1941.

Ticknor, George. Life, Letters and Journals. Boston, 1909.

Tiedemann, Von. "Die Universiätsbibliothek in Halle a.S." Zeitschrift für Bauwesen XXXV (1885), 331-354.

Tisserant, Eugène. "Pius XI as Librarian" LQ IX (1939), 389-403.

---------- "The Preparation of a Main Index for the Vatican Library Manuscripts, in William Warner Bishop; a Tribute, 1941, p. 176-185.

---------- and Koch, Theodore W. The Vatican Library. Jersey City, 1929.

Traube, Ludwig. Textgeschichte der Regula S. Benedicti. Ind ed. Munich, 1910. (Abhandlungen der K. Bayerischen Akademie der Wissenschaften. Philosophisch-philogogische und historische Klasse, XXV, 2).

---------- Vorlesungen und Abhandlungen. Vol. I-II. Munich, 1909-1911.

---------- and Ewald, Rudolf. Jean-Baptiste Maugérard. Ein Beitrag zur Kulturgeschichte. Munich, 1906. (Abhandlungen der K. Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Historische Klasse, XXIII, Abt. II, 301-387.

Trebst, Hans. Die Kataloge der grösseren Bibliotheken des deutschen Sprachgebietes. Berlin, 1935.

Treitschke, Heinrich von. "Die Königliche Bibliothek in Berlin", Preussische Jahrbücher LIII (1884), 473-492.

Turin. Biblioteca Nazionale. Codici Bobbiesi nella Biblioteeca Nazionale di Torino, ed. C. Cipolla. Vol. I. Turin, 1907.

Uffenbach, Zacharias K. von. Merkwürdige Risen durch Niedersachesen, Holland und Engleland. Ulm, 1753.

Uhlendahl, Heinrich. "25 Jahre Deutsche Bücherei," ZfB LVI (1939), 1-17.

Uhlirz, Karl. "BEiträge zur Geschichte des Wiener Bücherweswens (1326-1445)," ZfB XIII (1896), 79-103.

Ullman, Berthold L. Ancient Writing and its Influence. New York, 1932.

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization. Survey of Losses and Needs of Libraries in Some European Countries. Paris, November 14, 1946. (UNESCO. Prep. Com/ L&M/13. App. I).

U.S. Library of Congress. The Hispanic Acitivites of the Library of Congress, with an Address by Archibald MacLeeish. Washington, 1946.

---------- Adviosry Committee on Descriptive Cataloging. Report... to the Librarian of Congress. Washington, 1946.

---------- Catalog Maintenance Division. Cumulative Catalog of Library of Congress Printed Cards. Washington, 1947.

---------- Processing Department. Studies of Descriptive Cataloging. Washington, 1946.

---------- Subject Cataloging Division. Subject Headings Used in the Dictionary Catalogs of the Library of Congress. 5th ed. Washington, 1948.

---------- Supplement. July 1947- Washington, 1949.

Usener, Hermann. "Organization der wissenschaftlichen Arbeit," in his Vorträge und Aufsätze (Leipzig, 1907), p. 67-102.

---------- "Unser Platontext," in his Kleine Schriften, Vol. III (Leipzig, 1914), p. 104-162.

Valentinelli, Giuseppe. "Delle biblitoeche della Spagna," Sitzungsberichte der K. Akademie der Wissenschaften in Wien, Philosophisch-historishce Klasse, XXXIII (1860), I, 4-178.

Vatican, Bibliotieca Vaticana. Codices Urbinates greaeci Bibliothecae Vaticanae. Rome, 1895. Intrudcution.

---------- Rules for the Catalog of Printed Books, tr. from the 2d Italian ed., by Thomas J. Shanahan, Victor A. Schaefer and Constantin T. Vesselowsky, ed. by Wyllis E. Wright. Chicago, 1948.

Vienna. Nationalbibliothek. Festschrift der Nationalbibliothek in Wien. Hrsg. Zur Feier des 200-jährigen Bestehens des Gebäudes. Vienna, 1926.

Vitruvius, Pollio. De architectura libri decem, ed. Fridrich Krohn. Leipzig, 1912.

Vogel, Ernest G. "Die Bibliothek der Benediktinerabtei Saint Benoit oder Fleury an der Loire," Serapeum V (1844), 16-29, 46-48.

---------- "Die Bibliothek der Bendiktiner-Abtei zu Clugny," Serapeum V (1844), 123-128, 138-144.

---------- "Einiges über Amt und Stellung des Armrius in den abendländischen Klöstern des Mittelalters," Serapeum IV (1843), 17-29, 33-34, 49-55.

---------- "Einiges zur Geschichte der Escurialbibliothek unter Philipp II," serapeum VIII (1847), 273-285.

---------- "Errinerungen an einige verdiwenstovlle Bibliophilen des vierzehnten und fünfzehnten Jahrhunderts. Vierter Artikel: Janus Laskaris. Quellen und Vorarbetiten," Serapeum X (1849), 65-74, 81-88.

---------- "Historisch-chronologische Übersicht des Ursprungs und Wachstums der literarischen Sammlunger im Britischer: Museum zu London," Serapeum IV (1843), 219-223, 225-240, 241-252, 262-269.

---------- ""Humphrey Herzog von Glocester," Serapeum VI (1845), 11-16.

Vogelsang, Friedrich. "Altägyptische Bibliothekare," ZfB XXX (1913), 17-22.

Voigt, Georg. Die Wiederbelebung des classichen Alterutms, oder das erste Jahrhundert des Humanismus. 3rd ed. Berlin, 1893.

Vorstius, Joris. Grundzüge der Bibliotheksgeschichte. 3rd ed. Leipzig, 1941.

Vouilliéme, Ernst.H. Die Inkunabeln der Königlichen Bibliothek und dedr anderen Berliner Sammlungen. Lepzig, 1906.

W.S. "Eione Katholische Zentralbibliothek für deutschland," Historischpolitische Blätter für das katholische Deutschland CXXXIV (1904), 677-684.

Waas, Adolf. "Gegenwart und Zukunft der deutschen Vokksb¨chereien," Hefte für Büchereiwesen IX (1924/25), 325-332.

Waskernagel, Rudolf. Geschichte der Stadt Basel. Vol. III> Basel, 1924.

Wadlin, Horace G. The Public Library of the City of Boston, a History. Boston, 1911.

Walde, Otto W.C. Storbhestidens litterära Krigsbyten, en kulturhistoriskbibliografisk Studie. Vol. I. Uppsala, 1916.

Walser, Ernst. Poggius Florentinus. Leben und Werke. Leipzig, 1914. (Beiträge zur Kulturgeschichte des Mittelaltes und der Renaissance, XIV).

Walpes, Douglas. "The Public Library in the Depression," LQ II (1932), 321-343.

Wattenbach, Wilhlem. Das Schriftwesen im Mittlealter. 3rd ed. Leipzig, 1896.

Weinberger, Wilhelm. Beiträge zur Handschrrfitenkunde. I. (Die Bibliotoheca Corvina). Vienna, 1908. (Sitzungsbrichte der K. Akademie der Wissenschaften in Wien. Philoosphise-historiche Klasse, CLIX, 6).

West, Andrew F. Alcuin and the Rise of Christian Schools, New York, 1892.

Westfälishce Studien. Beiträge zur Geschichte der Wissenschaft, Kunst und Literatur in Westflaen Alois Bömer zum 60. Geburtstag gewidmet. Leipzig, 1928.

Wheeler, Joseph L. Progress and Problems in Education for Librarianship. New York, 1941.

Wickhoff, Franz. "Die Bibliothek Julius' II," Jahrbücher der kgl. preussischen Kunstsammlungen XIV (1893), 49-64.

Wiedemann, Alfred. Das Alte Ägypten. Heidelberg, 1920. (Kulturgeschichtliche Bibliothek, ser. 1, vol. II).

Wieser, Max and Ackerknecht, Erisn. Der Volksbuchereibau. Stettin, 1930.

Wilamowitz-Moellendorff, Ulrich von. Antigonos von Karystos. Berlin, 1881. (Phililogishce Unerscuhungen, IV)

---------- Hellensitische Dichtung. Berlin, 1924.

Wilberg, Wilhelm. "Die Fassade der Bibliothek in Ephesusk," Jahreshefte des österreichichen archäologische Instutius in Wien, XI (1908), 118-135.

Wild, Helen. Aus englischen und schottischen Public and Country Libraries. Zurich, 1924. (Publiskationen der Vereinigung schweizerischer Bibliothekare, V).

Wilken, Friederich. Geschichte der Bildung, Beraubung und Vernichtung der altern Heidelbergischen Büchersammlungen. Heidelberg, 1817.

---------- Geschichte der Königlichen Bibliothek zu Berlin. Berlin, 1828.

Wilkens, Nicolaus. Leben des Gelehrten Petri Lambeck. Hamburg, 1724.

Wille, Jakob. "Aus alter und neuer Zert der friedelberger Bbliothek," Neue Heidelberger Jahrbücher XIV (1906), 215-240.

William Warner Bishop; a Tribute, 1941. New Haven, 1941.

Williams. Edwin E. "Research Library Acquistions from Eight Countries," LQ XV (1945), 313-323.

---------- ed. Conference on International Cutlural, Educational and Scientific Exchanges. Princeton University, Noeember 25-26, 1946. Chicago, 1947.

Williamson, Charles C. Training for Library Service. New York, 1923.

Wilson, Louis R. The Georgraphy of Reading; a Study of the Distribution and Status of Libraries in the United States. Chicago, 1938.

---------- ed. The Role of the Library in Adult Education; Papers Presented before the Library Institute at the University of Chicago, August 2-13, 1937. Chicago, 1937.

---------- and Tauber, Maurice F. The University Library; its Organization, Administration, and Function. Chicago, 1945.

World's Libraries and Librarians. London, 1939 - (British Unviersities Encyclopedia, II).

Wustmann, Gustav. Geschichte der Leipziger Stadtbiblithek. Leipzig, 1906. (Neujahrsblätter der Bibliothek der Stadt Leipzig, II).

Wyss, Wilhelm, von. Die Biblitiotheken des Alterutms und ihre Aufgabe. Zürich, 1923. (Neujahrsblatt des Waisenhauses in Zürich, 86).

Zahn-Harnack, Agnes von. Adolf von Harnack. Berlin, 1936.

Zarncke, Eduard. Leipziger Bibliothekenführer. Leipzig, 1909.

Zimmermiann, Friedrich. Die ägyptsiche Religion nach der Darstellung der Kirchenschriftsteller und die ägyptischen D^nkmäler. Paderborn. 1912. (Studien zur Geschichte und Kultur des Altertums. V, 5/6).

Zimmermann, Heinrich, et al. Die beiden Hofnuseen und die Hofbibliothel Der Werdegang der Sammlungen, ihre Eigenart und BEdeutung. Vienna 1920.

Zimmermann, Paul. "Ein neuer Beitrag zu Lessings Wolfenb"ttler Bibliothekariat," ZfB XL (1923), 181-184.

----------- "Herzog August der Jüngere zu Braunshcwieg und Lüneberg als Bibliothekear," ZfB XLV (1928), 665-679.

ILLUSTRATIONS

The illustrations in the original text were all reproduced from other sources and are therefore not reduplicated. References to the plates have been retained in the text of the translation for the conventience of readers who wish to consult the German edition of Hessel.

رقم الإيداع : ١٨٢١ / ٩٣

هـذا الكتـاب

هذا الكتاب . . الذى أتشرف بتقديمه إلى قراء العربية ، كتاب أكاديمي بذل فيه مؤلفه جهداً مضنياً فى سبيل تحرى الحقيقة ، ويتضح هذا الجهد أكثر ما يتضح فى الحواشى والمصادر الكثيرة التى رجع إليها المؤلف .

وقد عالج هذا الكتاب تاريخ المكتبات معالجة أفقية من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر مبتدأ بالمكتبات فى العالم القديم ، فى مصر وفى بلاد ما بين النهرين وفى بلاد اليونان والرومان . ثم تناول تاريخ المكتبات فى العصور الوسطى على امتدادها : العصور الوسطى الباكرة ثم من القرن التاسع إلى القرن الثانى عشر بعد الميلاد ثم العصور الوسطى المتأخرة . ثم يتناول الكتاب تاريخ المكتبات فى عصر النهضة الأوربية وعصر الإصلاح الدينى فى القرن السابع عشر . ثم عالج تاريخ المكتبات فى القرن الثامن عشر أو ما اصطلح على تسميته بعصر التنوير . ولم يغفل الكتاب تأثير الثورة الفرنسية على المكتبات فى القرن التاسع عشر . وقد خص الكتاب التطورات المكتبية فى القرن العشرين بالقسط الأوفر من المعالجة على اعتبار أنها محصلة كل العصور السابقة .

الناشر

ISBN: 977 - 5201-20 - 9

ACADEMIC BOOKSHOP